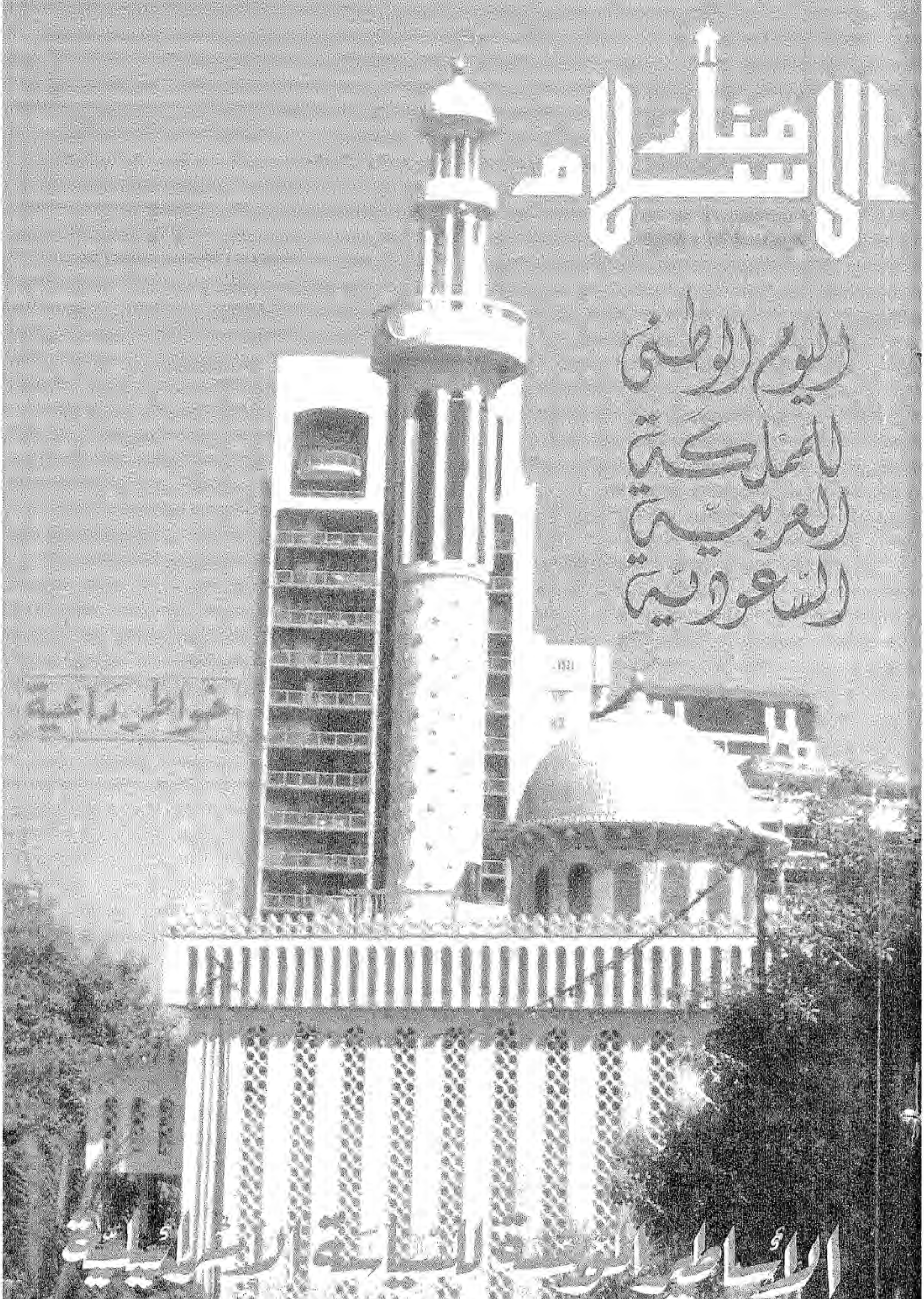

منار الإسلام
اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية
خواطر داعية
الأساطير الوثنية السابقة لإسلام الليبيين

منار الإسلام
إسلامية . ثقافية . شهرية

تصدر في غرة كل شهر عربي
عن وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف
في دولة الامارات العربية المتحدة

MANAR UL-ISLAM
Monthly Islamic Comprehensive Magazine
Published by Ministry of Islamic Affairs
in U.A.E. - ABU DHABI

مدير التحرير	مصبح محمد السويدي

عنوان المراسلات

أبوظبي	ص.ب	٢٩٢٢
تليفون	بدالة	٢١٢٣٠٠
تليفون	مباشر	٣٣٨٢٨٦ - ٢٦٥٥٦٠
فاكس	الوزارة	٣٣١١١٦

المراسلات
باسم مدير التحرير

قيمة الاشتراك في مجلة منار الاسلام لمدة ١٢ عدداً

- دولة الإمارات العربية المتحدة [٣٥ درهماً]
- الدول العربية [٢٥ دولاراً]
- دول المغرب العربي [٢٥ دولاراً]
- الدول الآسيوية والافريقية [٣٥ دولاراً]
- الدول الأوروبية وأمريكا واستراليا [٣٥ دولاراً]

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مقبول الدفع أو حوالة بريدية باسم مجلة منار الاسلام ص.ب: ٢٩٢٢ أبوظبي



صورة الغلاف

في هذا العدد

أضواء على شخصية الرسول (ﷺ) في مرآة الغرب

ماذا قال المستشرق الفرنسي بلانشيه؟ وماذا قال غوستاف لوبون؟ ثم ماذا قال كارليل عن شخصية الرسول (ﷺ)؟.
وهناك أقوال واعترافات من عربنا النصارى أدلوا بها بإنصاف وحق، حتى ميشيل عفلق..

حول رؤية الدكتور مراد هوفمان للإسلام عام ٢٠٠٠

كان الدكتور مراد هوفمان سفيراً لألمانيا في المغرب واعتنق الإسلام عام ١٩٨٠، وهو يستعرض هنا منهجه في التعامل مع الحقائق والمقدمات، ويقيّم وضع العالم الإسلامي وهو على

العـــــدد السادس
السنة الثانية والعشـــرون
جمادى الآخــرة ١٤١٧هـ
١٣ أكتوبــــــر ١٩٩٦م

مشـــــارف القـــرن الحادي والعشـرين.

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

قـراءة في كتــاب «رجـاء جـارودي» الـــذي روّع الصهيونية العـالمية.. يقول فيـه - ضمن مـا يقـول - إن النصـــوص التـــوراتيـــة واضطهـاد هتلـر لليهـود، لا يبرر سرقة أراض فلسطينية، واقتلاع سكانها وقمعهم، ولا يبرر الخطـة الإسرائيليـــة الـراميـــة إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

حول ملامح الرسالة الحضارية للمرأة في فكر مالك بن نبي

تـــوضيح للمعـــالم الأسـاسيـة لـرسـالـة المرأة الحضـاريـة، وفقـاً لتصور مـالك بن نبي، الـذي جـاءت معطياتـه مترعة بـديناميـة الأصالـة القرآنيـة بلمساتها الإيجابية الحانية.

الوكيل العام للتوزيع

مؤسسة الأهرام للتوزيع
القاهرة - ٧ شارع الجلاء

وكلاء التوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد - أبوظبي ص.ب: ٧٩١ ت: ٤٦١١٦٧٠

المملكة العربية السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع - الرياض - ص.ب ٥٥٢٠٢ ت: ٤٧٧٩٤٤٤
الشركة السعودية للتوزيع - جدة - ص.ب: ١٣١٩٥ ت: ٦٦٩٤٧٠٠
الشركة السعودية للتوزيع - الدمام ت: ٨٢٧٢٥٧٥

قطر : مؤسسة العروبة - ص.ب: ٦٣٣ - ت: ٢٦٢٨٦٠ الدوحة

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة
ص.ب: ٢٢٤ ت: ٢١٥٠١٥

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات. ص.ب: ٦٥٨٨
ت: ٢٤٢١٤٦٨ - ٢٤١٢٨٢٠

سلطنة عمان: الشركة المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط ت: ٧٠٧٩٢٢ - فاكس: ٧٠٦٥١٢ ص.ب: ٢٣٠٥ - روي

الأردن : وكالة التوزيع الأردنية - عمان - ص.ب ٢٧٥ ت ٢٠١٩١ - ٢٠١٩٢

اليمن : دار القلم للتوزيع والنشر والإعلان صنعاء - ص.ب. ١١٠٧ ت: ٧٧٨١٢

مصر : القاهرة مؤسسة الإهرام - ٧ شارع الجلاء ٧٤٥٦٦٦ - ٧٥٨٣٣٣

السودان : دار التوزيع - الخرطوم - ص.ب: ٢٥٨ - ت: ٧٢٥٢٤

المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع - الدار البيضاء ص ب: ٦٨٣

ثمن العدد

دولة الإمارات العربية المتحدة	(٣ دراهـم)	سلطنة عُمان	(٢٠٠ بيسة)
		الأردن	(٣٠٠ فلس)
السعودية	(٥ ريـالات)	الجمهورية اليمنية	(٤٠ ريالاً)
قطـر	(٣ ريـالات)	مصـر	(٦٠ قرشاً)
البحرين	(٣٠٠ فلس)	السودان	(٢٥٠ جنيه)
الكويت	(٢٠٠ فلس)	المغرب	(٥ دراهم)

الاشتراكات

داخل دولة الإمارات نقداً ولا تقبل شيكات

ما ينشر بالمجلة يعبر عن رأي كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام.. دين.. ودُنيا

كتاب الله، وسُنّة رسوله ﷺ، هما المصدران الأساسيان لتقرير الأحكام وبيانها، وإليهما ترجع جميع المصادر الأخرى، لكن الكتاب، يُعَدُّ المصدر الأول، والأساس الذي تقوم عليه السُنّة، ولا تختلف عنه، فكان لذلك أصل الأدلة.

وكان من أعظم مقاصد القرآن، أن شرّع للناس، ما ينظمون به أحوالهم المعاشية، ويضبطون به أمور الحياة الدنيا – من قوانين وأحكام – غيَّرت في وجه كل وَضْعٍ، من طرق البشر في هذا الصدد، لأنها صانت مصالح وحقوق الفرد والجماعة، وحمت حقوق الناس، جملة وتفصيلا، وكان رائدها، تحقيق التكافل الاجتماعي، والحرص على التعاون، والترابط بين عباد الله .. فإنها لم تقم للإنسان ميزاناً، إلاّ ميزان التقوى – أي الاستقامة –.

أما، ما نريد بالسُّنة هنا، فهي ما صدرت عن الرسول ﷺ، هداية للناس، وشريعة لهم، فلا تتناول إلاّ ما أوحي به إليه – مما ليس بقرآن – أو وصل إليه بنظرة وعُرْفِهِ واستنباطه، فأقره الله عليه، وجماع ذلك: ما جاء به ﷺ، بياناً لعقيدة، أو تعليماً لعباده، أو إرشاداً إلى قُرْبَة، أو تهذيبا لخلق، أو إصلاحا لمعاملة، أو أمرا بمعروف، أو نهيا عن منكر، أو إبعادا عن فساد، أو تحذيراً من سوء؛ فكل ما أثر عنه ﷺ – في هذه النواحي – يُعَدُّ سنَّة، يُطلب إلى الناس اتّباعها.. أمّا، ما لا يتصل بذلك، مما أشرنا إليه آنفا، فلا يُعَدُّ شريعة، يُطلب إلى الناس إتّباعها: كالأكل والشُرب، والنوم واللباس، ونحو ذلك، يقول الرسول ﷺ: «إنما أنا بشر، اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر».

يدل على ذلك، ما كان يشير به ﷺ، إلى معالجة بعض الأمراض، فإنه قد لا

يصدر ذلك عن وحي، ولكن عن تجربة ومعرفة اكتسبها في بيئته، فقد ذكر أبو داود بسنده عن أسامة بن شريك، قال: أتيت النبي ﷺ - وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير - فسلمت، ثم قعدت .. فجاء الأعراب من ههنا وهناك، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «تداووا فإن الله عز وجل، لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: السّام» - أي الموت .. كذلك، روى عمر بن دينار، أن رسول الله ﷺ، عاد مريضاً، فقال لأهله: «أرسلوا إلى الطبيب»، فقال قائل: أنت تقول ذلك، يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، فإن الله عز وجل، لم ينزل داءً، إلاّ وأنزل له دواء»..

وكذلك الحال في لباسه ﷺ، هيئة ووضعاً وشكلاً، وفي طعامه: نوعاً ولوناً وتناولاً، فمرد ذلك، إلى عادات قومه، ومقتضيات وطنه وجوِّه، التي صارت له عادة، وإن كان قد وضع في ذلك، أخلاقيات وآدابا، ولو عاش رسول الله ﷺ، في جو آخر، لكان له وضع آخر.

وقد جاءت السُّنة مفسرة للقرآن الكريم، تبين مجمله وتُقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتفصل أحكامه، وتوضح مشكله، ثم هي مع هذا البيان، إذا أتت بزيادة على القرآن الكريم يجب ألاّ تتعارض مع أصوله العامة، وقواعده الأساسية، بل تدور في محيطه، غير متجاوزة نطاقه، وذلك شأن التابع مع المتبوع، فكانت بسبب ذلك، تابعة له، إذ التفسير تابع للمفسر، مرتبط وجوده بوجوده.

ولن يتم صلاح هذه الأمة، إلاّ بما صلح به أولها، من استمساك قويٍّ بعرى الإسلام، وتطبيق كامل وأمين، لسُنّة المصطفى ﷺ.. فإذا تحقق لها ذلك، نالت وفازت بسعادتي الدنيا والآخرة، وعاشت آمنة مطمئنة، وإن عاش الآخرون الأزمات والاضطرابات وهول المصائب والفتن..

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وجلاء همنا وحزننا، واجعله الوارث منا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا.. ولا تجعل الدنيا أكبر همنا.. ومبلغ علمنا.

الإسلام

أضواء على شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مرآة الغرب

بقلم:
د. صبري عبد المعطي زغلول

□ حين يقف المرء باحثاً عن ضوء يضيء له الطريق حتى يعيش في رحاب رسول الله (ﷺ).. فإنه سوف يجد الشمول والكمال في كل جوانب الحياة الإنسانية في شخصيته (ﷺ).

ولم لا يجد ذلك ورب العالمين قد كمّله وجمّله وقال له: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ - «القلم/٤». وحسن منطقه بقوله تعالى:: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ - «النجم/٣». وأشار إلى عموم رسالته فقال عز وجل: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ - «الفرقان/١».

ورحم الله البوصيري حين قال:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

المستشرق بلانشية

أما المستشرق الفرنسي ديزريه بلانشيه فقد وجد في شخصية الرسول (ﷺ) مزيجاً نادراً من الكفاءات فقد حقق إنجازات عظيمة ما زالت راسخة ثابتة تعلن عظمة شخصية رسول الله (ﷺ) ثم يقول:

إن النبي محمداً (ﷺ) يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ.. فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة وهي:

١) أنه أحيا شعباً.
٢) وأنشأ امبراطورية.
٣) وأسس ديناً...

وبتأمل موجز في هذه الكلمات الثلاث التي نطق بها هذا الباحث، نجده يتعجب بل يتحدى جميع العظماء ويثبت أن المدة الزمنية التي قضاها الرسول في تبليغ رسالة ربه، والدعوة إلى الله.. والتي لم تتعد ثلاثة وعشرين عاماً فقد أحيا شعباً: والحياة التي يعنيها هذا المفكر، هي حياة الإنسانية والكرامة، والحب والإخلاص وتكريم الإنسان كما أراد الله تعالى له.. وهي المبنية على شرع

الله والنابعة من كتاب الله وسنّة رسوله (ﷺ) والتي تشير إليها أنوار القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ - «الأنفال/ ٢٤».

وذلك بغض النظر عن حياة الجاهلية وما كانت تحمله من مساوىء حتى أفسدت كل شيء فيها، وضاعت القيم الانسانية فجاءت رسالة الإسلام فنظمتها وأعطت للإنسانية مكانتها وللقيم أصالتها.. وأصبح المجتمع الإسلامي يحيا الحياة الكريمة التي ربطت بينهم جميعاً بِرباط الأخوة في الإسلام لاعتبارات متعددة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ - «الحجرات/ ١٣».

وفي إشارته بأن رسول الله (ﷺ) أنشأ امبراطورية، كان يعني مدى اتساع رقعة الإسلام والفتوحات الإسلامية التي تمت على يد الفاتحين الأوائل الذين أزالوا الظلمة والصدأ الذي حلّ بالقلوب، وأحلوا نور الإسلام والعلم والحلم والأخلاق والقيم محل الجهل والقسوة التي كانت تقيم الحروب بينهم لأتفه الأسباب ولم تكن فتوحاتهم بالسيف والقوة كما يدعي أعداء الإسلام وإنما كانت بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة والأخلاق الكريمة والمعاملة التي أمر بها الإسلام وإقامة العدل بين الناس، وكما وصفهم رب العالمين بقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ - «الفتح/ ٢٩».

ثم كانت اللفتة التي تشير إلى إحقاق الحق وهو قول هذا المفكر الفرنسي (إنه أسس ديناً).

وهو يعني بهذا أن النبي (ﷺ) قام بالدعوة إلى الدين الإسلامي الذي اختاره الله للعالمين جميعاً وقال في حقه ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ - «آل عمران/ ٨٥».

واختار له الرسول محمداً (ﷺ) حتى يقوم بتبليغ الدعوة إليه.. وقال في حقه: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ - «المائدة/ ٦٧».

وقال في حقه كذلك: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ - «الفتح/ ٢٨». وظل الرسول (ﷺ) يدعو إلى الله على بصيرة للدخول في هذا الدين الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ - «النحل/ ١٢٥».

ولقد ظلت دعوته في مكة المكرمة في بناء العقيدة الصحيحة وهي عقيدة التوحيد ثلاث عشرة سنة... ثم انتقل إلى المدينة المنورة مهاجراً إليها لكي يؤسس المجتمع الإسلامي المثالي وظل بها عشر سنين مبيناً ومطبقاً تشريعات هذا الدين، حتى اكتمل البناء في ثلاث وعشرين سنة وهي ما يعنيها المفكر الفرنسي الذي يتعجب من شخصية رسول الله (ﷺ) الذي (أحيا شعباً.. وأنشأ إمبراطورية.. وأسس ديناً).

ولقد صدق الله العظيم حيث يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ - «المائدة/ ٣».

وقد نضع في عين الاعتبار أن هذا الدين لم يكن محلياً أو لفئة معينة وإنما كان للبشر كافة قال جل شأنه: ﴿تبارك الذي نزل

الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ – «الفرقان/١». وقال جل شأنه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾ – «سبأ/٢٨».

ولقد تجلت حكمة الله وهو يوجه قلوباً بعيدة عن الإسلام ورسوله لتتحدث عنه.

غوستاف لوبون

□ يقول غوستاف لوبون:

إذا كانت قيمة الرجال تقدر بعظمة أعمالها فمن المستطاع القول إن محمداً كان من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ(٣).

ويشير مولانا محمد علي في مقدمة كتابه (حياة محمد ورسالته) إلى شخصية الرسول (ﷺ) وعبقريتها فيقول:

إن أحكامنا على الرجال يجب أن تبنى على ما حققوه من أعمال، ولقد أنجز سيدنا محمد (ﷺ) في مدى ثلاثة وعشرين عاماً ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين من اليهود والنصارى برغم السلطة الزمنية التي كانت تساندهم.

لقد استأصل من بلد كامل تراث أجيال من الوثنية والخرافة وسرعة التصديق والجهل والبغاء والقمار ومعاقرة الخمر واضطهاد الضعيف والحرب الضروس وليس في وسع التاريخ واستطاعته أن يدلنا على أي مصلح وُفّق كل هذا التوفيق.

كارليل

يقول كارليل: مشيراً إلى حياة النبي (ﷺ) «إن حياة محمد (ﷺ) حياة رجل عاش لله ومات في سبيل الله وإن يكن قد قدّر لإنسان أن يقف حياته لخدمة الله بدافع خيّر وعظيم فليس من ريب أن نبي بلاد العرب هو ذلك الرجل»(٤).

ولا يسعني في نهاية مقالي إلا أن أقف بإجلال وخشوع أمام عظمة رسول الله (ﷺ) وشخصيته الجامعة لكل أنواع الخير والقيم النبيلة، والمفكرون قاطبة مهما أوتوا من الفصاحة والبيان فهم كمن نظر إلى السماء في ارتفاعها.. وزرقتها واتساعها وما تحمله من أسرار لهذا الكون لا يحيط بها علماً إلا الله تبارك وتعالى... وهذا مثلهم حين يقفون.. أمام شخصية رسول الله (ﷺ) لكي يأخذ كل واحد منهم قطرة من بحر متلاطمة أمواجه.

وصدق الله العظيم: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

المنصفون من نصارى العرب

ومن هذا المنطلق فقد وقف المفكرون والأدباء موقف العارف بما تجمعه شخصيته (ﷺ).

يقول الأستاذ رشيد سليم الخوري في كلمة له ألقاها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الكريم: «إن محمداً (ﷺ) أعظم عظماء العالم ولم يَجُدِ الدهر بعد بمثله... والدين الذي جاء به أرقى الأديان وأتمها وأكملها»(١).

ويقول البحّاثة اللبناني (لبيب الرياش)(٢) في كتابه «نفسية الرسول العربي» حين اطلع على سيرة حياته ودرس سيرته (ﷺ).. وأيقن في البحث في رسالته شعر بالندم كيف جهل عظمة رسول الله (ﷺ) ثم قال في رسالته موجهاً إياها للمسلمين.

أما لو أدرك المسلمون سيرة رسول الله (ﷺ) بجوهرها، وشرع رسول الله بسنائه، وحكم الرسول بجلالها، وإيقاظ الضمائر التي أيقظها رسول الله بحكمته، ولو عمل المسلمون بما أدركوا من شرع الله لتغير حال

المسلمين ولكان العالم غير هذا العالم.. ثم قال بعد ذلك: أما لو درس عشاق الرسول بحق حياته كعظيم غيّر مجرى الحياة بما جاء به من الكتاب والحكمة لاكتشفوا أعظم شخصية عرفها التاريخ وأقدس رسالة. ولقد طالعت مئات المجلدات وقرأت حياة ألوف العظماء ولكنها ما فعلت في نفسي وهذبت سلوكي وأثرت في عقلي مثلما فعلت حياة الرسول العربي العالمي «محمد بن عبدالله (ﷺ)».. وكأنه بهذا التحليل العبقري الدقيق قد شخّص جراح الأمة ودعاها من جديد أن ترجع إلى القرآن الكريم وتتذوق وتتدبر معنى قول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ - «الأحزاب / ٢١».

حتى ميشيل عفلق

يقول ميشيل عفلق (في كتابه سبيل البعث) حتى الآن كان الناس ينظرون لحياة الرسول محمد (ﷺ) من الخارج كصورة رائعة لنعجب بها ونقدسها.. ولكن علينا الآن أن نبدأ بالنظر في داخلها لنحياها تطبيقاً عملياً بل ويحياها كل عربي بقدر استطاعته ما دام ينتمي إلى هذه الأمة التي اختارها الله لهذا الدين وجعلها خير أمة أخرجت للناس، إن الأمة التي اختار الله منها محمداً (ﷺ) جدير بها أن تعمل وأن يعمل كل فرد فيها ولو بنسبة الحصاة إلى الجبل حتى تزيل ما لحق بها من بعد عن طريقها المرسوم لها.

وبهذا المنطق والفكر السوي توصل من يحاربون الإسلام ويتصدون لدعوته إلى أن يقولوا قولة الحق.. والفضل ما شهدت به الأعداء.

■ **هوامش:**

(١) فارس الخوري نقلاً عن الإسلام والعلم الحديث ص ٦٢.

(٢) لبيب الرياس - نفسية الرسول (ﷺ).

(٣) غوستاف لوبون (نقلاً عن كتاب إيتين دينيه محمد رسول الله (ﷺ) ص ٣٢٥).

(٤) محمد في الدراسات الاستشراقية ص٢٤٨.

قطوف

إضاعة الوقت.. والموت

● إضاعة الوقت أشد من الموت. لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة. والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

خروج العارف.. من الدنيا

● يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين.. بكائه على نفسه وثنائه على ربه.

نصيحة

● قال أستاذ ينصح تلميذه: «تعلَّم قول «لا أدري»، فإنَّك إنْ قلتَ لا أدري، علّموك حتى تدري وإن قلتَ أدري، سألوك حتى لا تدري!».

خواطر داعية

فضيلة الشيخ: وحيد الدين خان

إذا سألت زعيماً ديموقراطياً: ما هي الغاية التي تنشدها الديموقراطية؟ رد عليك من فوره قائلاً: تشكيل الدولة بحيث تكون فيها السيادة للشعب.. وإذا سألت رجلاً مناصراً للمذهب الاشتراكي عما تهدف إليه الاشتراكية؟ كان جوابه التلقائي: إنها تهدف إلى إقامة نظام الملكية الجماعية.. وهكذا لو سألت زعماء الدين وقادة الفكر الإسلامي الذين قاموا بإثارة حركاتٍ انقلابيةٍ (ثورية) في العصر الحاضر عن هدفهم المنشود لقالوا لك: إننا نهدف إلى إقامة الدولة على أساسٍ من التشريع الإسلامي.. وإنني وإن كنت لا أوافق شخصياً على صواب ما يسعى إليه هؤلاء من أغراضٍ، إلا أن عباراتهم تلك من شأنها أن تنقل فوراً إلى ذهن السامع صورةً محددةً واضحةً لهدفهم.. وهذا ما أقصد لفت الانتباه إليه.

إن هذا الأسلوب لعرض الهدف من خلال جملةٍ قصيرةٍ مفيد جداً.. إذ بذلك يتمكن السامع من أن يفهم رسالتك بمنتهى اليسر والسهولة، كما أن ما يريده الداعي ينتقل إلى المدعو بسرعةٍ بالغةٍ.. إن أسلوب العرض هذا ضروري لتحقيق أي هدف، سواء أكان ذلك

الهدف خاطئاً أم صحيحاً.. وهو سلاح لفظي فعال يتمتع بنفس الأهمية بالنسبة إلى كل من أصحاب الأهداف الصحيحة والخاطئة على حدٍ سواء؛ وإن كان المستفيد الأكبر منه في هذا الزمان، والحق يُقال، ذوي الأغراض المشبوهة والأفكار المنحرفة الضالة.

ومنذ سنواتٍ عديدةٍ وأنا أفكر وأفكر كيف يمكننا – نحن الدعاة الإسلاميون – أن نعبر عن الرسالة الإسلامية الصحيحة بجملةٍ واحدةٍ؟. وكيف نعرض الجانب الأساسي في دعوتنا بكلماتٍ معدوداتٍ واضحات بحيث يفهمها السامع بدون جهدٍ أو عناءٍ؟.

ومما لا جدال فيه أن الجانب الأساسي أو الجوهري لدعوة الإسلام هو التوحيد. بيد أنني كنت أبحث عن جملةٍ قصيرةٍ تؤدي هذا المعنى بوضوح تام، حتى اهتديت إليها أخيراً بمحض الصدفة؛ وذلك في شهر أغسطس عام ١٩٩٠ أثناء رحلتي إلى ما كان يسمى آنذاك بالاتحاد السوفياتي.

الإنسان حيوان متدين

إن الكرملين من الأماكن الهامة في موسكو.. يقع في بعض جوانبه ضريح لينين (Lenin) مؤسّس روسيا الاشتراكية.. وقد صحبني دليلي إلى الضريح الفخم حيث وضعت جثة لينين المحنّطة (المومياء) في صندوقٍ من الزجاج الأنيق.. ويكتظ هذا المكان كل يوم بعددٍ هائل من الزوار الذين يتوافدون من أجل زيارته من شتى أنحاء الاتحاد السوفياتي.. أما هندسة الضريح وكل ما حوله فتتمتع بروعةٍ وجلالٍ مما يجعل الزائر تطرأ عليه مشاعر الهيبة والخشوع من نوعٍ خاصٍ.

وعندما دنوت من الضريح لمحت جنديين واقفين على جانبي المدخل، وقد لبس كل منهما بزّة سابغةً وزُوّدا بعدّة سلاح كاملة.. وقد كان هذان الجنديان ساكنين لا يتحركان لدرجة أنه خيّل إليّ عند الوهلة الأولى كأنهما تمثالان حجريان نُصبا على جانبي المدخل. ولما سألت دليلي عن ذلك قال: تمهل، فسوف تتضح لك حقيقة الأمر بعد قليل.

ثم تراجعت قليلاً ووقفت إزاء المدخل على بعد بضعة أمتار فقط.. وعلى مقربةٍ من الضريح كان هناك برج عالٍ فيه ساعة كبيرة.. وكان الوقت الثالثة إلا ربعاً.. وظل عقربا الساعة يدوران حتى إذا بلغ أحد العقربين إلى ثلاثة والآخر إلى اثنتي عشرة دقت الساعة «تن تن تن».

وما إن دقت الساعة الثالثة حتى فوجئت بجنديين آخرين يطلعان من الجهة المقابلة، وأخذا يمشيان نحو الضريح مشية الجنود الخاصة، ولم يكادا يقتربان من المدخل حتى تحرك الجنديان الواقفان هناك وتنحيا عن مكانهما ثم أخذا بدورهما يمشيان مشيتهما الخاصة إلى أن اختفيا وراء جدران الكرملين واحتل مكانهما بالتالي الجنديان الجديدان ملتزمين حالة التماسك والسكون شأنهما شأن الجنديين السابقين.

وفي معرض الرد على استفساراتي المتلاحقة التي أثارها الفضول أخبرني دليلي الروسي بأن هذا النظام دائم، وهو تقليد متبع هنا منذ بضعة عقودٍ.. حيث لا ينفك جنديان مزودان بالسلاح الكامل واقفين هنا ليل نهار على هذا الوضع، وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يظل واقفاً في حالة سكونٍ لمدةٍ طويلةٍ، فإنه يتم تغيير الجنديين باثنين آخرين بالمناوبة بعد كل ساعةٍ.

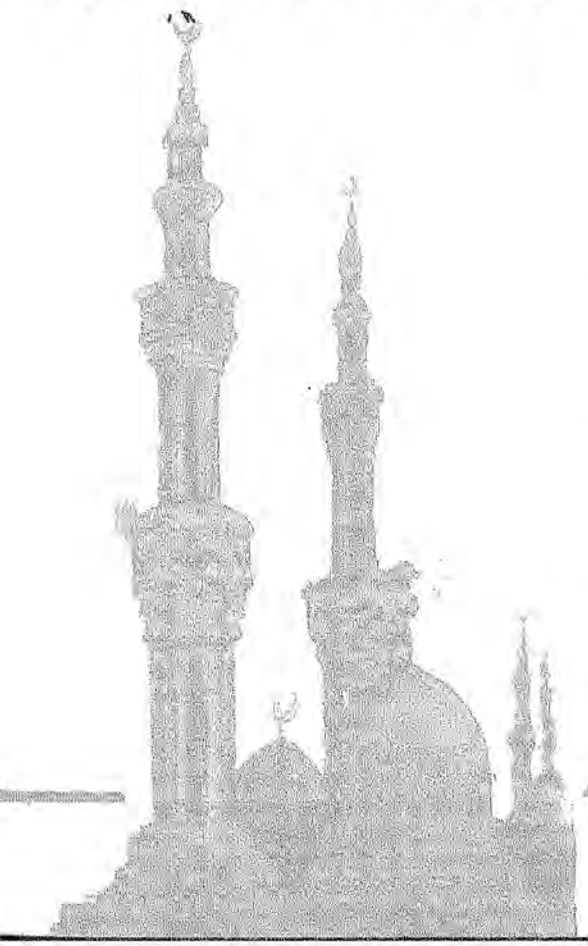
وإن وقوف الجنديين أمام ضريح لينين على هذا الوضع يرجع إلى ما كانت تتمتع به شخصيته (قبل انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١) من الحب والاحترام غير العاديين لدى الشعب الروسي، إذ كان الروس يعتبرونه كائناً فوق البشر واتخذوا منه مركز عواطفهم العليا، وتجسيداً لهذه العقيدة الشعبية التزم المسؤولون بالتقليد الآنف الذكر والذي يبدو فيه الجنديان واقفين بالقرب من ضريح لينين وكأنهما يؤديان الصلاة أمام زعيمهم «المعبود»!!.

ولو سألت مواطناً روسياً في تلك الأيام التي نتحدث عنها عما إذا كان يؤمن بالله، لما كان جوابه إلا أن يقول: «لا» بملء فيه.. غير أنني بعد طول مشاهدة توصلت إلى أن زعم الروس القائل بأنهم لا يؤمنون بوجود الله لم يكن له أساس من الصحة، إذ كان القوم يؤمنون بالله على وجه اليقين، ولكن الفارق بينهم وبين غيرهم من المؤمنين أنهم غيّروا إلّههم؛ حيث اتخذوا إلهاً آخر بدلاً من الإلّه السماوي، وقد كان إلّههم المزعوم المصطنع هذا يتمثل في «لينين»!.

والحقيقة أن الإنسان كائن «عابد» لله بالفطرة.. وكما أن دوافع الجوع والعطش مندمجة في فطرة الإنسان بصورةٍ جِبِلّيّةٍ، كذلك التطلع إلى الله مطلب فطري لا يجد الإنسان محيصاً عنه.. والإنسان لا يقدر على أن ينكر أو يتجاهل فطرته.. فكما أنه لا يستطيع أن يقضي على دوافع الجوع والعطش الكامنة في أعماقه، فليس بإمكانه أيضاً أن يمحو التطلع نحو الله من أعماق وجوده.. وقد تم إعلان هذه الحقيقة من خلال الآية القرآنية التالية: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ – «الروم/ ٣٠». وفي الحديث ورد نفس المعنى بعبارة أخرى تقول: «كل مولودٍ يولد على الفطرة»، يعني على فطرة الإسلام.. وقد اعترف بذلك الاختصاصيون في علم الإنسان قائلين: إن الإنسان حيوان ديني (Man is a religious animal).

حقيقة الشرك: الظلم

وفي ضوء هذه الحقائق نتأمل قوله تعالى: ﴿لا تُشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾ – «لقمان/ ١٣». فقد وُصف الشرك في هذه الآية بـ «الظلم». واللغويون عرّفوا الظلم بأنه: «وضع الشيء في غير موضعه». وإذا كان الشرك يعني وضع الشيء في غير موضعه، فإنه يستتبع بطبيعة الحال أن يكون معنى التوحيد – بوصفه نقيضاً للشرك – هو: «وضع الشيء في موضعه». ومن هنا نعلم أن جميع البشر مخلوقون على فطرة العبودية لله الواحد، وأنهم ليسوا



بقادرين على محو هذه الفطرة أو اقتلاع جذورها من نفوسهم. والخطأ الأساسي الذي يقع فيه الإنسان هو أنه ينسى الله تحت ضغطٍ من شتى العوامل والمؤثرات الخارجية، وبالتالي يتخلى عن إلّه «الغيب». بيد أنه لا يتمكن - مع ذلك - من القضاء على الشعور بالإلّه المنغرس في صميم كيانه. لذا فإن ما يحدث للإنسان بين الحين والآخر أنه لا يكاد يترك إلّه الغيب ويتخلى عنه حتى يتخذ - في الوقت نفسه - إلّهاً من الأشياء المرئية، وهكذا هو يحاول تسكين عاطفته الداخلية بصورةٍ مصطنعةٍ..

الهدف الأساسي للدعوة الإسلامية

ويتضح من هذا بجلاء ما هي النقطة المحورية للدعوة الإسلامية على وجه التحديد. إنها تتلخص في تحويل إنسان «مشركٍ» إلى إنسانٍ «موحِّدٍ». وبعبارةٍ أخرى: إن البشر كلهم يمارسون اليوم بشكلٍ أو آخر جريمة «وضع الشيء في غير موضعه»، والهدف الأساسي للدعوة هو إخراجهم من حالة الظلم هذه إلى حالة «وضع الشيء في موضعه». وما علينا إلا أن نقوم بعرض الدعوة الإسلامية على شعوب الأرض قاطبةً بهذا الأسلوب الفطري البسيط.

مغزى إسلام جارودي

وسأسوق هنا مثالاً آخر يبين الأمر بمزيدٍ من الوضوح..

كان الدكتور رجاء جارودي (المولود سنة ١٩١٣) مفكراً وزعيماً اشتراكياً.. وقد انقطع للبحث عن الحق؛ مما حدا به إلى دراسة الدين الإسلامي بعمق وشمولٍ، حتى أشهر إسلامه في عام ١٩٨٢. وقد اتفق لي أن قابلت الدكتور جارودي في مؤتمرٍ عقد في يوليو ١٩٨٤ بكوالا لامبور، فسألته عن الدافع الذي كان وراء اعتناقه الإسلام، فأجابني قائلاً: «عندما درست الإسلام وجدت أنه ليس بشيءٍ غريب على فطرتي، بل وجدت بينهما تجانساً وانسجاماً كاملين.. فالإسلام إنما ظهر في حياتي بوصفه مكمّلاً أو تكملةً (comple-ment) لفطرتي..».

وقد مُنح الدكتور جارودي جائزة الملك فيصل من المملكة العربية السعودية لسنة ١٩٨٦. وبهذه المناسبة سافر إلى الرياض حيث ألقى محاضرةً مستفيضةً بلغته الأم (الفرنسية) عن المراحل التي اجتازها في طريقه إلى الإسلام.. وقد نشرت جريدة «الرياض» السعودية ترجمةً عربيةً كاملةً لهذه المحاضرة في عددها الصادر في ١٢ مارس ١٩٨٦ بعنوان: «كيف أسلمت؟».

وفي هذه المحاضرة يقول جارودي: «لقد وجدت في الإسلام ما كنت أبحث عنه طوال حياتي».. وثمة حقيقة أخرى وردت في المحاضرة الآنفة الذكر من شأنها أن تؤرق الداعية وتقض عليه مضجعه.. حيث قال الدكتور جارودي في معرض الحديث عن الأسباب التي دفعته إلى اعتناق الإسلام: «إنني اتخذت قرار اعتناق الإسلام حتى أعطي لحياتي معنى».

وهذا يعني أن الشخص الذي لا يكون على الدين الحق تكون حياته خاليةً من أي معنىً. ومع أنه يرفع شيئاً ما إلى درجة الإلّه الحقيقي إلا أن هذا التأليه - لكونه زائفاً ومصطنعاً - لا يمكنه أن يزوّد صاحبه بأية سكينةٍ قلبيةٍ صادقةٍ، وإنما هو يظل يعاني من الحيرة والشرود الفكري كنتيجةٍ لأزمةٍ

نفسية «وضع الشيء في غير موضعه»، وأنه لو تمكن من التعرف على الإله الحقيقي وانشرح صدره لذلك لدرجة أن يرضى به رباً ويتشبث به متخلياً عن حياته السابقة المصطنعة، لصار وجوده بأكمله مصداق «النفس المطمئنة»، وأصبحت نفسيته نفسية «وضع الشيء في موضعه».. وإنه سوف لا يلبث طويلاً حتى يرفع عقيرته بقبول الدين الإسلامي تماماً كما فعل الدكتور جارودي، كي يجعل حياته ذات معنىً وجديرةً بأن تعاش.

إن قصة الدكتور جارودي هي مثال يكشف عن واقع إنسان العصر الصناعي الحديث.. فالأغلبية العظمى من البشر اليوم تخلوا عن الله ونسوه. وقد تعرضت حياتهم، نتيجةً لذلك، لفراغٍ روحي هائل، فهم يحسون في قرارة أنفسهم بأن حياتهم فارغة لا تنطوي على أي معنىً أو مضمون.. وفي مثل هذه الحالة فإن أكبر وأحسن خدمة يمكن أن نسديها إلى إنسان العصر الحديث هي أن نمد إليه يد العون لانتشاله من ظلام الشرك إلى نور التوحيد.. إنه مصاب بمرض وضع الشيء في غير موضعه، والمطلوب هو أن تُعاد إليه الحالة النفسية السليمة الناتجة عن وضع الشيء في موضعه من جديدٍ.

غريتا غاربو والفراغ الروحي

وقد يكون من المفيد أن أشير هنا إلى قصة تحمل بين ثناياها - دروساً ذات مغزىً.. إنها - على ما يبدو لي كافية لكي تقلق إنساناً مؤمناً يبغي رضا الله، كما أنها - بالإضافة إلى ذلك - ربما تكون قوة دافعة تحث الدعاة على مضاعفة جهودهم لإبلاغ رسالة الحق إلى البشرية جمعاء..

إنها قصة غريتا غاربو - الممثلة الأمريكية الشهيرة. ولدت غريتا غاربو في سنة ١٩٠٥. ونظراً لما كانت تتمتع به من جمالٍ فائقٍ وشخصية جذابة ومواهب فنية رائعة سرعان ما أصبحت أنجح وألمع نجمات السينما الأمريكية.. وقد حصلت على ثروةٍ هائلةٍ، كما طبقت شهرتها الآفاق.. غير أن ذلك كله لم يمكنها من قهر فطرتها.. فهي تشكو، من جهةٍ، العقلية الانتهازية التي يتعامل بها مخرجو الأفلام في هوليود، ومن جهةٍ أخرى وجدت نفسها في بيئةٍ لا تزودها بأية إجاباتٍ شافيةٍ عما يدور في ذهنها من أسئلة الحياة الروحية الأكثر عمقاً وخطورةً.. وقد انتهى بها الأمر نهائياً إلى أن اعتزلت صناعة الأفلام بعد أن ضجرت منها ضجراً شديداً..

وفي السادسة والثلاثين من عمرها أخذت غريتا غاربو تقضي حياتها في شبه عزلةٍ تامةٍ في منزلها بنيويورك - وظلت على هذه الحال نحو خمسين سنةً، حتى وافاها الأجل المحتوم سنة ١٩٩٠. وبعد وفاتها بقليلٍ نشرت ترجمة حياتها التي قام بتأليفها أنطوني جرونويز (Antony Gronwiez)، وقد أورد المؤلف في كتابه تفاصيل الحوار الذي دار بينه وبين غريتا غاربو وهي لا تزال على قيد الحياة.

وأول شيءٍ يتضح لمن يقرأ في ترجمة حياتها هو أن حياة غريتا غاربو - في العزلة - كانت عبارةً عن سلسلةٍ من الهموم والأحزان لا تنقطع، حيث تقول للمؤلف: «إني فقدت ثقتي بالناس تماماً، وكذلك فقدت إيماني بالله الذي تركني وشأني بدون أن يزودني بإجاباتٍ واضحةٍ عن الأسئلة التي تؤرقني.. وكأنما أنا أطفو على سطح البحر،

ليس لي هدف ولا غاية، حتى انني أجهل أيضا لماذا يحدث كل هذا و إلى متى سيدوم؟».

(The Times of India, New Delhi, September 9, 1990).

إن قصة غريتا غاربو تمثل المعاناة التي يتجرع مرارتها كل الناس في عالم اليوم، و إن الصرخة التي أطلقتها هي صرخة كل إنسان يعيش في عالمنا المعاصر.. إن إنسان اليوم يصرخ بلسان غريتا غاربو ليقول إنني أشكو وأتظلم من الله الذي خلقني ولم يخبرني بالغاية التي خلقني من أجلها؟. فكيف يمكنني إذن، أن أومن وأثق بالإله الذي ألقاني في اليم دون أن يهيىء لي ما يلزم من أسباب هدايتي ونجاتي؟.

مقام الشهادة

آخذين في الاعتبار هذا الوضع المأساوي السائد في العالم اليوم، لنتدبر الآن هذه الآية القرآنية التي تبين الغاية الرئيسية من إرسال الرسل: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ - «النساء/١٦٥». لقد خلق الله الإنسان لأجل الامتحان والابتلاء.. وعلى أساس النتيجة النهائية لهذا الامتحان سوف يتحدد مصيره الأبدي: إمّا إلى الجنة و إمّا إلى النار.. مما اقتضى أن ينشىء الله سبحانه وتعالى نظاماً محكماً يتم من خلاله تحذير بني البشر وإنذارهم على اختلاف العصور.. وقد أُدِّيتْ هذه المهمة بواسطة الأنبياء الكرام بدءاً بأبي البشر آدم (عليه السلام) وانتهاءً بالنبي العربي محمد (ﷺ).. وبعد ختم النبوة ألقيت مسؤولية إبلاغ الرسالة هذه على عاتق الأمة المحمدية إلى يوم القيامة.. فالأمة المحمدية هي المسؤولة الآن عن



الاضطلاع بأعباء ذلك الواجب العظيم الذي كان الأنبياء يقومون بتأديته من قبل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ - «الحج/٧٨».

إنها مسؤولية خطيرة للغاية، بل هي أعظم وأشد خطورةً من كل المسؤوليات الأُخر على الإطلاق.. ذلك أنه إذا لم يتم إخبار الناس بحقيقة الأمر، ولم يطلعوا على الخطة التي رسمها الخالق سبحانه لهم؛ فعلى أي أساسٍ سيؤاخذون في عالم الآخرة؟.

والحقيقة أنه إذا لم يؤدِّ واجب الإنذار والبلاغ هذا على أكمل وجهٍ فإن الحجة ستقوم على الله عز وجل، في حين أن الله عز وجل أغير من كل غيورٍ، وأنه - لذلك - لن يرضى أبداً بأن تقوم الحجة عليه على أية حالٍ.. إن هذا الأمر خطير لدرجة أن إحساس نبي الإسلام (ﷺ) بذلك شيبه قبل الأوان، حيث قال (ﷺ): «شيّبتني هود وأخواتها».

إن هذه الحجة ليست قائمةً بالفعل على الناس اليوم، ذلك لكونهم لم ينبؤوا بحقيقة الأمر بعد، كما أنها لا تقوم على الله سبحانه،

لأنه تعالى قد عهد بهذه المهمة إلى الأمة الإسلامية.. ولم يبق الآن إلا المسلمون الذين يمكن أن تقوم عليهم هذه الحجة.. لنتفكر إذن، كيف ستكون عاقبة المسلمين فيما لو ألقى الله عز وجل هذه الحجة برمتها على عواتقهم وأخذهم يوم القيامة باعتبارهم مسؤولين عن ضلال الناس وعدم اهتدائهم إلى الإسلام؟!.

الصبر من طرفٍ واحدٍ

والواقع أن مسلمي العصر الحاضر تقاعسوا إلى حدٍ كبيرٍ عن أداء واجبهم نحو الدعوة الإسلامية.. وإنها لجريمة لا تغتفر.. فقد باتوا غارقين في كسب متاع الدنيا كغيرهم من الشعوب تماماً... مما يدل على أنهم لم يعودوا واعين بأنهم حملة رسالةٍ ساميةٍ.. وقد كان المطلوب منهم أن يكونوا على درجةٍ عاليةٍ من السلوك والأخلاق، حتى تكنّ لهم الأمم الأخرى كل الاحترام والتقدير.. غير أن الوضع - والحق يُقال - عكس ذلك تماماً.. كما أنهم مطالبون أيضاً بالعمل على رفع مستواهم الفكري والعلمي كي يتسنى لهم تمثيل الإسلام على المستوى العقلي للعصر الحديث.. ولكنهم - مع الأسف - متخلفون جداً من الناحية العلمية والتكنولوجية في عالم اليوم.. وإن الأمم الأخرى هي بمثابة «المدعو» إلى دينهم، وينبغي على الداعية أن يعامل الأمم «المدعوة» بالإحسان والصبر من طرفٍ واحدٍ، كما قال تعالى حكايةً عن بعض أولي العزم من الرسل: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا..﴾ - «إبراهيم/١٢».. ولكننا نراهم مشغولين في كل أنحاء المعمورة بالصراعات والنزاعات المادية والقومية مع الأمم المدعوة.. والمؤسف - أيضاً - أن هذه المنازعات قد أدت بالأمم المدعوة للإسلام إلى النفور من الإسلام نفسه، وبالتالي اتسعت الفجوة بينه وبينهم إلى حدٍ بعيدٍ جداً..

أفدح أخطاء الإسلاميين

والخطأ الذي هو أفدح وأخطر من كل ذلك هو ما ارتكبه الزعماء الإسلاميون ومنظرو الجماعات الإسلامية المنبثة في طول العالم الإسلامي وعرضه..من أن الإسلام، على حد تعبيرهم، نظام سياسي شامل. ولا يمكن أن يوضع هذا النظام الشامل موضع التنفيذ بدون السلطة، لذا يجب - أولاً وقبل كل شيءٍ - تنحية الحكام العلمانيين من مراكز السلطة والتشريع، وانتزاع مقاليد الأمور من أيديهم، حتى يمكن تطبيق الإسلام الفعلي . بوصفه نظاماً سياسياً وتشريعياً شاملاً.

والذين قاموا لأجل تنفيذ هذه النظرية الإسلامية الانقلابية (الثورية) لم يلبثوا أن دخلوا في المعارك الكلامية حيناً والصراعات السياسية والعسكرية حيناً آخر. مع الحكام ورجال السلطة المحليين في مختلف الدول.. وعلى امتداد الأيام علا صوتهم وغلب على أنشطتهم العملية طابع العنف والراديكالية لدرجة أن صار الناس عموماً ينظرون إلى الإسلام على أنه هو والإرهاب (Terrorism) كلمتان مترادفتان.. وهؤلاء وإن كانوا يرددون شعارات إسلامية ويتغنون بمحاسن الإسلام وأمجاده، غير أنهم أضروا بالإسلام أكثر مما نفعوه؛ إذ جعلوا الإسلام موضع الكراهية والنفور بالنسبة إلى شعوب الأرض بتقديمهم صورةً مشوّهةً عن الإسلام.

كلمة أخيرة

وأود أن أختتم هذه الخواطر بالإشارة إلى

حادثٍ معبّـر.. إن مجلة «التايم» الأسبوعية التي تصـدر من نيويورك هـي أوسع مجلات العـالم انتشـاراً اليـوم.. وفي ٦ مـن سبتمبر ١٩٩٠ قـابلتني مـراسلتهـا الخـاصـة «أنيتـا برتـاب» في مكتبي بنيودلهي، وكانـت تحمل معها بحثاً باللغـة الإنجليزيـة بعنوان: (ما وراء الحجاب) (Behind the Veil)، يتنـاول بـالـدرس والتحليـل تعـاليـم الإسـلام وتشـريعاته حـول المرأة.. وقـد أخبرتنـي المراسلة بأن مجلة «التايـم» قد اعتزمت نشر بحـثٍ مسهب عـن مكـانـة المرأة في الإسـلام.. وأول خطوةٍ في هـذا الصدد تتمثل في نـداء تم تـوجيهه إلى جميـع منـدوبي المجلة في شتـى أقطار العالم العربي والإسلامـي طولبوا فيه بتجميـع المعلـومـات عـن هـذا الموضـوع وإرسالها إلى المقرّ الرئيسي للمجلة.. وفي ضوء تلك المعلـومات المجمعة قـام مديـر المجلة في نيويـورك بإعداد البحث بشكلـه الحالي.. ثم عكـف المســؤولـون على دراستـه بجـديـةٍ واهتمام، كما اتخذوا منها صوراً فوتوغرافيةً عديـدةً وأرسلوهـا مرةً أخـرى إلينا – نحـن مـراسلي المجلة – كـي نقـوم باستطـلاع آراء كبار علماء الإسلام حول محتـويات البحث.. وسيعمل مـدير نيـويورك، بعـد الاطلاع على آرائهم، على إعادة صيـاغة البحث من جـديدٍ لينشر في مجلة «التايم» في وقتٍ لاحق.

ثم أخبرتني المراسلة بـأن طريقتهم في هذا الصـدد تقــوم على مبـدأ الفحــص وإعـادة الفحص (Check and re-check).. ولما سألتها مستغرباً: «لماذا تبذلون هـذا القدر من الجهد والاهتمام لإعداد بحـثٍ واحدٍ فقـط؟» قالـت: «إن مجلتنـا تـرسـل إلى كل بقعـةٍ مـن بقـاع المعمورة.. ويقرأهـا أنصار كل مذهـبٍ وأتباع كل دينٍ.. فإذا فقد قـراؤنا الثقة في محتوياتها فلماذا سيشترون مجلتنا؟» وأردفـت قائلـةً: «إننـا لا نستطيــع أن نتحمـل أي خطــأٍ في مجلتنا (We can't afford to make any Mistakes)

عندما سمعـت قول مراسلة «التـايم» هذا انفجـرت آهــة من صـدري وبـــتّ أقـول لنفسي: إنه لا يحمل المسلمون اليـوم من هـمّ الإسلام مـا يحمله أصحـاب مجلة «التـايم» لمجلتهم. إن مجلة «التايم» لا تكاد تتحمل أن يقـع أي خطـأ في غضون صفحـاتها حتـى لا تفقد ثقة قرائها بها.. أما المسلمون فلا يزالون يقعون، عـن وعي أو بـدون وعي، في أخطـاء قـوليـةٍ وفعليـةٍ ممـا أفقـد الإسـلام روعتـه واعتباره في نظر الشعـوب غير المسلمة.. ولو كان المسلمون يحملون هـمّ الإسلام والدعوة الإسلامية لأدركوا تلقائياً أن تجنب كل ما من شأنـه أن ينفّـر الشعوب المدعـوة من الـدين الإسلامـي هو أول واجبـاتهم.. ولكن قلـوب المسلمين تخلو من أي همّ لـلإسلام والشعور بالألم تجاه قضاياه.. ومن أجل ذلك فإنهم لم يعودوا يشعـرون بحاجـةٍ ما إلى الإقـلاع عن الأنشطة والتصرفات التي جلبت على الإسلام خسائر فادحةً لا تُحصى..

ولقد فكرت طويلاً في سبـب هذه الظاهرة، حتى توصلت إلى نتيجة أن ذلك يعود إلى كون المسلمين مصـابين – على وجـــه العمـوم – بالأنانيـة المفرطة وبانعـدام روح التضحية بالـدنيا في سبيل الـدين، فهـم لا يحسون إلا بآلامهـم الخاصة، وأمـا الإسلام فليسـوا من الإحســاس بهمـومــه وآلامـه في شيء.. وقـد استحوذت عليهم العناية بمصالحهم الذاتية ومشكلاتهم القـومية والسيـاسية إلى حـدٍ لا يجدون معـه متسعـاً مــن الـوقـت للتفكير الجدي في قضــايــا وشـــؤون الــدعــوة الإسلامية!!.

حول رؤية الدكتور «مراد هوفمان» لـ:

الإسلام.. عام ٢٠٠٠

بقلم: عـلاء الدين رمضان

(ليس مستبعداً أن يقـود حركة الإحياء والتجـديد في الإسلام مفكرون مـؤهلون من خارج دار الاسلام...). بهذه الجملـة يختتم الدكتور «مراد هـوفمان» أحدث كتبـه: «الإسلام عـام ٢٠٠٠» - كُتِبَ في استـانبـول ١٤١٦هـ - وقبل أن نَعْـرض رؤيـة الدكتـور هـوفمان واستشـرافه لمستقبل الإسلام خلال الألف الثالث بعد المسيح، نتحدث عن الكـاتب نفسـه باعتبـاره من أهـم المفكريـن الإسلاميين في هـذه الحِقْبة؛ فـالدكتـور مراد هـوفمان يعتبر (بعد الـرئيـس علي عزت بيجـوفيتش) ثـاني ديبلوماسيَّيْن يقرآن تاريخ الإسلام ويستقرئان مستقبله ويضعان لهذا المستقبل المرجو كُلّ مـا يملكان من خبرة ومعرفـة وفكر؛ لبناء مناراتـه في المشـرق والمغرب ليعود لأوطـان المسلمين وبلادهم نورهـا من جديـد. فالدكتور هـوفمان ينطلق في أعماله المكـرسة لخدمة الإسـلام من قناعـة راسخة تتبلور في ثقتـه العميقة في أن الإسلام هو البديل الذي سيسعى إليه العـالم خلال القرن ٢١؛ وقد أثار كتاب له بهذا المفهوم اهتمام العالم أجمع، هـو «الإسلام كبديل»، الذي نُشِـرَ بالألمانية عام ١٩٩٢م، وأُعيد طبعـه في ميونخ عام ١٩٩٣م، ثم تُرْجِـمَ إلى الإنجليزية والعـربية عـام ١٩٩٣م، كتـب من قبـل كتابـاً سمّـاه «يوميـات ألماني مسلم» عـام ١٩٨٥م، ومن بعـد كتابـاً مهماً كذلـك هو «رحلتـي إلى مكة»، وسـوف ينشـر إن شـاء الله تعالى بـالألمانية خـلال هذا العام ١٩٩٦م، كما سيترجم للعربية أيضاً.

ولـد الدكتـور مـراد هـوفمان في ٦ يوليـو ١٩٣١م، لأسرة كـاثـوليكيـة في أشـافينبرج بألمانيا، بدأ دراسـاته الجامعية عام ١٩٥٠م في (Union College) بنيويورك، وقـد حصل على الدكتوراه من جامعـة ميونخ عام ١٩٥٧ في القـانـون الألماني، ثـم حصـل على درجـة الماجستير في القانـون الأمريكي من هـارفارد عام ١٩٦٠م. عمـل د. مراد هـوفمان في الإدارة

الخارجية الألمانية من ١٩٦١م حتى ١٩٩٤م، حيث اعتزل الحياة الدبلوماسية واستقر في استانبول، وكان آخر ما تقلده هوفمان هو منصب سفير ألمانيا في المغرب (١٩٩٠ - ١٩٩٤م).

اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م. أدى العمرة عام ١٩٨٢م ثم فريضة الحج عام ١٩٩٢م.

مستقبل الإسلام

يضع الدكتور هوفمان في مقدمته لكتابه (الإسلام: عام ٢٠٠٠) منهجاً واضحاً لتعامله مع الحقائق والمقدمات والمصارحة بشأن ما تُئِيل إليه تلك المقدمات وما تحيل عليه من نتائج مستقبلية، إنه ناصح أمين يحاول أن يُقَيِّم وضع العالم الإسلامي وهو على مشارف القرن الواحد والعشرين، وماذا عليه أن يفعل حتى يصبح دين القرن؛ لذلك اضطر - كما يقول - لأن يكون ناقداً شديد الزجرة، متخذاً سبيلاً واحداً، واضحاً وصريحاً، هو الواقعية؛ الواقعية القاسية، إذ إنه يعاني معاناة تامة مما يعاني منه المسلمون.

الشيخ زايد والقارة الإسبانيون

«سيحتفل العالم في الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ١٤٢٠هـ ببداية العام ٢٠٠٠ بعد المسيح،سيقف الجميع - والمسلمون من بينهم - مع قصور دراساتهم المستقبلية - ليتأملوا ويتفكروا ماذا يخبّئ لهم القدر؟». وهنا يقسم الدكتور هوفمان المسلمين - بحسب المزاج الشخصي وتجارب الحياة - إلى ثلاثة أقسام فمنهم المتشائم تماماً، الذي يرى أن المسلمين في انحدار مستمر، ومنهم من يرى أن الإسلام في تقدم مستمر، ومنهم من يرى تاريخ المسلمين على شكل موجات فيها سلسلة متعاقبة من الارتقاءات والانحدارات تتقدم في شكل حلزوني، وكل واحد من هؤلاء يستطيع أن ينتقي من القرآن الكريم، والسنّة المطهرة ما يؤسس نظرته عليه؛ ولقد وصل الحال بالعالم الإسلامي إلى حد تنبأ معه المستشرقون والسياسيون باختفاء الإسلام تماماً، فقد كان ينحدر سريعاً في القرن التاسع عشر، وقد وصف بعض المسلمين من أمثال بروكارت السويسري وسير ريتشارد بيرتون حالة الأماكن المقدّسة في عصرهم فيما بين (١٨١٤ و١٨٥٣)، وبينوا ما تعج به من قذارة وانعدام الأمن وانتشار الخرافات وشرب الخمر، بل حتى داخل الحرم، وأن الصلاة لا تقام بانتظام حتى بين الحجاج الذين يهبط عددهم عاماً بعد عام، لكن من يحج اليوم أو يعتمر، يجد التقدم هائلاً عما كان حاله في القرن الماضي، فقد تم توسعة الحرمين الشريفين أكثر من مرة؛ بجمال واقتدار، ولا يزالان صغيرين أمام الزيادة الهائلة في عدد الحجّاج ولا خمور ولا سرقات، والنساء معهن محارمهن، والصلاة على مدار الساعة أمام أنظار العالم أجمع.

ومن ناحية أخرى، اختلف موقف المستشرقين من الإسلام منذ عشرينات القرن الحالي وكان ذلك بداية لتغييرات أخرى إيجابية، فلم تعد دراسة الإسلام تنطلق من طريقة لورانس العرب المكرّسة لخدمة الإمبريالية الأوروبية، بل تولى دراسة الإسلام نخبة من الأكاديميين المتخصصين المسلمين، أمثال: رينيه جينو، ومارتن كنج،

وتيتوس بروكاردت، وليوبولد قايس: (محمد أسد). وقد وضعت في الوقت نفسه – منذ الثلاثينات – حركات إحياء الإسلام: الإسلام في الأجندة السياسية لتلك البلاد، ولم يكن الإحياء من القاعدة فحسب، بل جاء من أعلى بفضل مدد الإمكانات المادّية، وتبنّي أغنى أغنياء العالم لهذه الحركات الإحيائية مثل: الشيخ زايد، وسلطان بروناي، والملك فهد... مما أعطى الدعوة الإسلامية ثراء فعّالاً.

مراجعة المسيحية

بعد إفلاس النظام والعقيدة الشيوعية منذ ١٩٩٠م، وعلامات الخطر التي بدأت تلوّح بأزمة روحية أخلاقية في الغرب، تمر المسيحية الآن بتغيير فيما كان يُسَمَّى (مشروع التحديث) الذي بدأ يتساقط أمام أعين المعنيين في أوروبا، فثمة اتجاه حديث بدأ يتغلغل في الدراسات المسيحية مسبباً أزمة روحية خانقة للغرب، هذا الاتجاه هو «إعادة النظرة إلى المسيح: دوره وطبيعته»، بل لقد ردت بعض المصادر ما يعيش فيه عامة الأوروبيين من تحلل ديني برفض فكرتي: (الله)، و«الدين»، إلى انزعاج المفكرين الأوروبيين، والمتأملين، غريزياً، من المفهوم الوحيد الذي اعتادوه، من حيث بنوّة المسيح لله، بل ربما كان هذا العامل أيضاً هو حجر العثرة الذي منع إحياء الدين المسيحي في أوروبا، إذ لاح في المائتي سنة الماضيتين في العالم المسيحي تعذر الاستمرار في قبول اتخاذ الله ولدا، حيث تنكشف ملامح التزوير والتلفيق في هذه النقطة شيئاً فشيئاً.

الإسلام والغرب

من هنا سيتحطّم، ولأول مرة، الفارق العظيم بين الإسلام والمسيحية، وسيتحتم على المسيحيين أن يذعنوا بأن الإسلامَ دين سماوي، وأن القرآن كتاب إلَـهي أوحاه الله إلى محمد (ﷺ) وأن محمداً رسول الله، وهكذا يكون الإسلام قد أكمل مهمته في هذا الميدان، ويبزغ الأمل في حوار (يهودي / مسيحي / إسلامي) مباشر في مجال العقيدة، بعد أن كان مقصوراً على الأعمال الاجتماعية، لكن مشكلة المجاهدة والدعوة الإسلامية لن تكون منتهية هكذا؛ لأن المسيحيين لا يُتَوَقَّع لهم الدخول في دين الله أفواجاً؛ بل إن الاحتمال الأكبر أن يؤدي الانهيار الوشيك للكنائس المسيحية، إلى زيادة البحث عن تجارب الديانات الخاصة ذات الأتباع القليلين، إنهم سوف يكونون كمن اتخذ إلَـهَهُ هواه، إن الإسلام حينئذٍ سيواجه مواقف مختلفة ومتداخلة في القرن الحادي والعشرين ما بين وثنية جديدة، وإلحاد، وشرك من نوع جديد، وعصبيّة... إلخ.

خلاصة القول إن الصراع لن يكون بين المسيحيين والمسلمين، أو المسلمين واليهود، أو المسيحيين واليهود..؛ ولكن بين الأقلية التي تؤمن بالله – المسلمين لله بالمعنى الأصلي للكلمة – والأكثرية التي أصبحت لا تستريح لفكرة (الله) ويعيشون في مجال المحسوسات المادية.

وعلينا نحن المسلمون – ومضمون الحديث لهوفمان – إذا أردنا أن نُشْرَك وشأننا – بعيداً عن ظلال الثقافة الموحَّدَة ذات القاعدة العنصرية الغربية – علينا أن نجاهد جهاداً جباراً لنحمي حقّنا في الاختلاف الثقافي، في عالم يسعى لفرض النموذج الغربي عالمياً، وهذا يتطلّب (إعادة تأسيس الفكر الإسلامي) كما قال «إقبال»، باختصار

يتطلب ذلك، أولاً، أن يعود المسلمون إلى الإيمان الفعلي وليس هناك أي بديل عن ذلك.

ولا يعني ما تقدَّم أن الإسلام سيعيش في مهادنة عقدية مع أوروبا، المسيحية واليهودية، بل سيكون وهماً خطيراً أن يعتقد المسلمون تلاشي الروح الصليبية؛ لأن جمهرة من التجارب باقية وشاخصة في قاع ظاهرة الخوف «الأورو - أمريكي» من الإسلام بل إن عقدة حصار الأتراك لفيينا (١٥٢٩ - ١٦٨٣) لا تزال نابضة تزكي أوار الخوف والحقد والرعب الذي ألقاه الله في نفوسهم، ودليل ذلك أن التسامح الديني موجود فعلاً في الثقافة العَقَدِيَّة «الأورو - أمريكية»، فاتِّبَاع ديانة ما يُعْتَبَر من الأمور الخاصة كنوع من الفلكلور، والقاعدة المعمول بها هناك: «أن كلَّ شيء يجوز»؛ إلا إذا كان الدين المعني هو الإسلام، إذ إنه الدين الوحيد الذي لا يشمله التغاضي اللطيف أو التسامح الجميل.

الحقيقة أن عصر الحروب الصليبية لم ينته ولن ينتهي ففي الحرب الصربية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك/رفع الصرب واليونانيون شعار «الحرب الصليبية لاستئصال الدولة الإسلامية من أوروبا». وليست الحرب الإعلامية سوى شق من إعلان المواجهة الصليبية الدائمة ضد الإسلام؛ فالغرب يكيل بمكيالين دائماً، وهذا ظاهر للعيان، فعلى سبيل المثال إذا هاجم إرهابي - من خارج العالم الإسلامي - هدفاً ما، جاءت التقارير تقول: مقاتل أو محارب من IRA، أو ETA، أو غير ذلك.. قام بـ (....)، ولن نسمع مطلقاً «متعصب كاثوليكي» أو «متعصب اشتراكي»، حتى الهجوم بالغاز في مترو طوكيو (مارس ١٩٩٥م) نسب إلى راديكاليين (الراديكاليون هم دعاة الإصلاح الجذري) بينما نراهم ينسبون أفعالاً تصدر من منطلق فكر شخصي فردي للإسلام. فلماذا إذن لا ننسب جرائم ستالين للمسيحية الأرثوذكسية، أو جرائم هتلر للكاثوليكية؟. إن نحن حاججناهم بحجتهم في نسبة ما فعله (صدام حسين) ضد الكويت للإسلام. ويضرب هوفمان في هذا الصدد مثالاً آخر؛ هو تلك الحملة التي شنتها وسائل الإعلام الألمانية ضد كتابه «الإسلام كبديل» قبل صدوره عام ١٩٩٢م، هاجمته الحملة الصحافية ضده وأطلقت صيحات الكراهية ضده وذلك دون أن يقرأوا الكتاب، في حين أن العالم الإسلامي قرأ كتاب (آيات شيطانية) لسلمان رشدي، بوعي، قبل اتهامه بالخروج على الدين والإلحاد.

كيف نخدم الإسلام؟

ذلك الصراع - كما وضحناه - يحمل نتائج فاجعة للطرفين على السواء، وقد تنبه بعض المهتمين في الغرب لهذه الحالة فحثوا على اتخاذ خطوات تَخَلُّصِيَّة تحدّ من ذاك الصراع المحتمل، ومن ذلك تنقية المقرّرات الدراسية من التشويهات الكبرى للإسلام مع اقتراح تصحيحها، وقد شرع في ذلك البروفيسور عبد الجواد الفلاتوري وزميله الألماني أودو تورشكا، وكذلك قاموا بفحص الكتب المدرسية في الدنمارك وفنلندا وهولندا وإيطاليا بعد ألمانيا.

ويجب على المسلمين القيام بجهد رئيسي للمساعدة في نزع فتيل الموقف المتفجر، ويشير د. مراد هوفمان إلى المجالات التي تيسّر ذلك؛ لكنه يؤكد على عدم التنازل أو التجاوز الذي يمس أساسيات الإسلام في

القرآن الكريم والسنّة الصحيحة فليس الهدف تحويل الإسلام ليناسب الحداثة، بل الهدف إحياء علومه حسبما ترمي أصوله ومناهجه، مقترحات.

هوفمان يرى أنها تخدم الإسلام وتهيىء له أعظم الفرص ليصبح ديانة العالم الأولى في القرن الحادي والعشرين، وقد اقترح وجوب الإصلاح في المجالات الآتية:

١ – التعليم والتكنولوجيا والاتصالات.

٢ – نظرية الدولة والاقتصاد.

٣ – النظر إلى المرأة وحقوق الإنسان حسبما شرع الله تعالى لا كما تُطَبَّق ببعض الأنظمة.

٤ – السحر والخرافات

والوحدة الإسلامية قبل كل شيء، وفي رأي هوفمان أن ذلك يقوم أساساً على التمييز الواضح بين (الإسلام كديانة، والإسلام كحضارة) وبين (السنّة الصحيحة من غيرها) وبين (ما شرعه الله وما فهمه بعض الفقهاء)، كما يدعو المسلمين إلى الكف عن الأسلوب الاعتذاري والتبريري عند مخاطبة الغرب.

مُهِمَّتُنَا

أمام الإسلام الفرصة متاحة تماماً ليصبح الديانة الأولى للقرن القادم في العالم كله لكن هذه الفرصة تظل قابلة للضياع إذا لم نضطلع نحن المسلمون بوضع الأساس القوي لعمل تعاوني مخلص بين علماء المسلمين، مهمته إحداث تغييرات رئيسة في المواقف والمداخل تُبْنَى على أساس عَقَدِيّ، تجعل الإسلام أكثر حيويّة وديناميكيّة ومناسبة بإزالة الصدأ الذي علاه من خارجه، وبذلك يستعيد مكانته الأولى إن شاء الله.

حكم

زيادة النعم.. بالشكر عليها..

● قال أبو يوسف ينصح هارون الرشيد (رحمهما الله):

إن الله عزَّ وجل، بمنه ورحمته، جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم، ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم.. وإضاءة نور ولاة الأمر:

إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت.. وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة.

فاستتم ما آتاك الله، يا أمير المؤمنين، من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

– «إبراهيم / ٧».

العلم بلا عمل.. والعمل بلا إخلاص

● لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أخبار أهل الكتاب. ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

أعود إليك كالعادة

وكالعادة، حملتُ الذنب يثقلني..
ويخزيني، وجئتُ إليك كالعادة.
أُطأطِىءرأسيَ المكدور بالتفكير (م)
في أمري، أتقبلني كما العادة.

بجُرحٍ ذليلةٍ ثَكلى على أولادها (م)
القتلى.. أنبتُ إليك كالعادة.
وكالعادة أخون العهد مغترًا
ومجترئًا على ذنب غَدًا عادة.

أذوق حلاوة العصيان تُنشيني
وتتركني كسير النفس كالعادة.
تسربلتُ بآثامي وأوزاري
وتلك ثيابي العُظمى لدى الأوقات والعادة.

تناديني فأعصيك، وتذكرني،
فأنساك، وأنساك هي العادة
لدى بأسي تواسيني، لدى يأسي،
تُمنّيني بلُطف منك كالعادة.

ويُقصيني قبيحُ الفعلِ والقولِ،
ويُدنيني إليك الحب كالعادة.
ويُغْريني جميلُ العفو في الصَّفح،
فألقاني أعود إليك كالعادة.

الدكتور
محمد مصطفى منصور

صناعة السّلام في ضوء القرآن الكريم والسّنّة

بقلم: زكريا أحمد محمد نور

السلام اسم من أسماء الله عز وجل لقوله تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) (١) وبعث رسول الله (ﷺ) دحية بن خليفة الكلبي إلى هِرَقل عظيم الروم بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبدالله ورسوله إلى هِرَقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى: أما بعد: فإن أدعوكَ بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (الرعية) (٥).

اهتمام القرآن والسنّة بقضية السلام

منع الله تسلط العباد بعضهم على بعض تأصيلاً لمبدأ السلام قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) (٣) وجعل الله دار السلام في الآخرة لمن تواضع للناس ولم يشق عليهم وسالمهم في الدنيا قال تعالى: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) (٤) ودار السلام هي الجنة قال تعالى في دعوته للناس إليها: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (٥). وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (٦). وقال تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٧).

حرص الإسلام على تحقيق السلام العالمي العادل

الإسلام يدعو الناس إلى التعارف ليعيشوا في سلام وحب ووئام قال رب العزة جل جلاله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (٨) وعاتب الله المؤمنين حرصاً على قضية السلام فقال: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا) (٩).

نزلت هذه الآية الكريمة في شأن مرداس ابن نهيك من أهل فَدك وكان قد أسلم ولم يسلم

من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله (ﷺ) بقيادة غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله - السلام عليكم - فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله (ﷺ) فوجد (حـزن) وجداً شديداً وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة: إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية (إنما قالها خوفاً من السلاح) فقال (ﷺ): «هل شققت عن قلبه» ثم قرأ الآية على أسامة: فما زال (ﷺ) يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال (اعتق رقبه)(١٠) وكتب رسول الله (ﷺ) إلى عمرو بن حزم (رسوله إلى بني الحارث باليمن) أوصاه فيه بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره بأن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم من الظلم فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال: (ألا لعنة الله على الظالمين) وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ود ان يدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها)(١).

وعن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان فقال له: إني موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ولا تقطع شجراً مثمراً ولا تخرب عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكله ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه ولا تغل (أي لا تسرق) ولا تأخذ غير حقك)(١٢).

اهتمام الإسلام بسلام المجتمع المسلم

أمر الإسلام بالصلح بين المؤمنين خدمة للسلام الداخلي للمجتمع المسلم فقال: (إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)(١٣). وعن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) قال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هَجر ما نهى الله عنه»(١٤) - متفق عليه. وقال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا)(١٥). وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ): «من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»(١٦) - متفق عليه. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له فقال (ﷺ) إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(١٧) - رواه مسلم. وقال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بَغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)(١٨). وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش

ولا البــذيء»(٢٠) – رواه التــرمــذي. وعن الطفيل بن أُبــي بن كعب أنه كان يأتي عبدالله أبن عمر فيغدو معه إلى السوق قال:« فإذا غدونا إلى السوق لم يمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه قال الطفيل فجئت عبدالله بن عمر يوماً فاستتبعني إلى السوق فقلت له ما يقنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق وأقول اجلس بنا ههنا نتحدث فقال: يا أبا بطن – وكان الطفيل ذا بطن – إنما نغــدو من أجل الســلام نسلم على من لقيناه»(١) – رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «لا يشــر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع من يده فيقع في حفرة من النار)(٢٢) – متفق عليه. وعنه أيضاً – أن النبي (ﷺ) قال: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(٢٣) رواه مسلم.

السلام ليس إستسلام في القرآن والسنة

الإســلام سـلام لمن سـالمه قــال تعــالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبـيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)(٢٤).

وكان رسول الله (ﷺ) قد صالح قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ودخلت خزاعة في عهد رسول الله (ﷺ) ودخل بنو بكر في عهد قريش ولكن بني بكر عدت على خزاعة – أي اعتدت عليها – ونقضوا عـهدهم وأعانت قريش بني بكر بأنفسهم وبالسلاح فكان ذلك نقضاً للصلح الواقع بينهم وبين الرســول (ﷺ) يوم الحديبية فقدم وفد من خزاعة على رسول الله (ﷺ) مستغيثين فقال الرسول (ﷺ) (لا نصرت – بضم النون وكسر الصاد – إن لم أنصر بني كعب – يعني خزاعة – وتجهز رسول الله (ﷺ) إلى مكة ففتحها الله عليه وكان ذلك عام ثمان للهجرة وكان التوجيه القرآني قد نزل على الرسول (ﷺ) ليوضح له الطريق الصحيح فقال تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عـهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)(٢٥). وبلغ رسول الله (ﷺ) أن بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أُحد بقيادة رئيسهم الحارث بن ضرار يجمعون الجموع استعداداً لحربه فلما سمع الرسول (ﷺ) خرج إليهم حتى لقيهم على ماءٍ لهم يُقال له المريسع فأمر الرسول (ﷺ) سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فنادى فيهم أن قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم عدداً كبيراً ونقل رسول الله أبناءهم ونساءهم وأموالهم للمسلمين)(٢٦). وقال تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في

الآخرة عذاب عظيم)(٢٧). وقال تعالى: (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبينا)(٢٨).

والحق أقول إن الإسلام نور يهدي المؤمنين ونار تحرق الطغاة الآثمين فلم يحارب الإسلام إلا من أجل الحق ونصرته وتكريم الإنسان وحريته يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة فإذا جد الجد كان صخرة يتحطم عليها كل جبار عنيد يعيش في كنفه الأصدقاء ويستمتع بعدله الأعداء ما وفوا بالعهد وكانوا مسالمين يطلب من أبنائه أن يكونوا على حذر في وقت السلم حتى لا يؤخذوا من عدوهم على حين غرة فيصبحوا نادمين، والإسلام يدعو إلى الاستعداد بإقامة التحصينات وحماية المنشآت حتى يأمن كيد الأعداء ويدعو إلى الاستشهاد من أجل الحرية والكرامة والعزة ولا يعدل الجهاد من أجل مال ولا والد ولا ولد والدفاع عن الوطن والدين في نظر الإسلام أسمى أهدافه ونصرة المستضعفين من أقدس واجباته والسلام الذي يسعى الإسلام لتحقيقه سلام عزيز يكفل سلامة الوطن ويحمي الحريات ويصون المقدسات فعن معاذ بن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «من كظم غيظاً وهو قادر أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء)(٢٩) - رواه أبو داود. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): «ثلاث من كن فيه أواه الله في كنفه وستر عليه برحمته وأدخله في محبته من إذا أعطى شكر وإذا قدر غفر وإذا غضب فتر)(٣٠) رواه الحاكم. ولا يتحقق السلام العادل إلا بالإيمان والعمل الصالح لقوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)(٣١).

هوامش:

١) سورة الحشر الآية (٢٣).
٢) الكرماني على النجار ج ١ ص(٦١).
٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).
٤) سورة القصص الآية (٨٣).
(٥) سورة يونس الآية (٢٥).
٦) سورة البقرة الآية (٢٠٨).
٧) سورة الكهف من الآية (٢٩).
٨) سورة الحجرات من الآية (١٣).
٩) سورة النساء من الآية (٩٤).
١٠) تفسير أبو السعود ج ١ ص(٣٧٣).
١١) سيرة بن هشام ج ٤ ص (١٠١٥).
١٢) رواه مالك في الموطا (نيل الأوطار ج٧ ص (٢٦٣).
١٣) سورة الحجرات الآية (١٠).
١٤) رياض الصالحين ص (١١٧).
١٥) سورة النساء الآية (٨٦).
١٦) رياض الصالحين ص (١٢١).
١٧) رياض الصالحين ص (١٢٠).
١٨) سورة الحجرات الآية (٩).
١٩) رياض الصالحين ص (٥٧١).
٢٠) رياض الصالحين ص (٦٢٥).
٢١) رياض الصالحين (٣٥٧).
٢٢) رياض الصالحين ص (٦٤١).
٢٣) رياض الصالحين ص (٦٤١).
٢٤) سورة الأنفال الآية (٥٨).
٢٥) سورة التوبة الآيتان (١٢/١٣).
٢٦) سيرة بن هشام يتصرف حـ٣ ص (٧٥٨).
٢٧) سورة المائدة الآية (٣٣).
٢٨) سورة النساء الآية (٩١).
٢٩) الترغيب والترهيب ج ٤ ص (٢٢٨).
٣٠) الترغيب والترهيب ج ٤ ص (٢٢٨).
٣١) سورة الأنعام الآية (٨٢).

الإسلام وعناية بالشباب

بقلم محمد صابر البرديسي

قال تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) - «الروم/٥٤».

مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر:

الشباب مرحلة من أهم مراحل العمر، تتمثل فيها القوة والحيوية، والحركة والنشاط، وقد أوضحت الآية أنها وسط بين مرحلتين، كلتاهما تتسم بالضعف.

(أ) المرحلة الأولى: هي: مرحلة الطفولة، تبدأ من ساعة يولد الطفل وهو ضعيف لا يستطيع الحركة ولا التعبير، ولا يعلم شيئاً.

قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ - «النحل/٧٨».

(ب) المرحلة الثانية: هي: مرحلة الشيخوخة والكبر، فالشيخوخة انحدار إلى الطفولة بكل ظواهرها، وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشىء من ضعف الإرادة حتى يميل الشيخ إلى ما يميل إليه الطفل، ولا يوجد له من إرادته عاصماً، ومع الشيخوخة الشيب الذي يشخص لنا هيئة الشيخوخة، ويعطينا صورة واضحة لمنظرها.

وهذه الأطوار لا يفلت منها ممن يمد له في العمر، وهذه الأطوار التي تعتري تلك الخليقة تدل على تدبير عالم قدير يخلق ما يشاء وهو العليم القدير.

الشباب عماد الأمة:

إن الإسلام يكن للشباب الإسلامي الشباب المستقيم كل احترام وإجلال وإعظام، ويجعله عُدَّةً للأمة السعيدة، وثروة للشعب العظيم وإن الله سبحانه وتعالى قد منح العلم والحكمة للشباب.

قال الله تعالى في شأن يحيى (عليه السلام): ﴿وآتيناه الحكم صبياً * وحناناً من لدنّا وزكاة وكان تقيا﴾ - «مريم/١٢، ١٣».

وقال تعالى في حق يوسف (عليه السلام): ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ - «يوسف/٢٢».

عن طلحة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن الله يباهي بالشباب العابد الملائكة»(١).

فالشباب عماد الأمة ومنارها الذي ينير لها ظلمات هذه الحياة ويشرق عليها بروحه، وقوته، والعالم العربي والعالم الإسلامي اليوم، في حاجة إلى شباب وَثّاب، شباب قوي مستقيم تمتلىء نفوسهم بروح المجد والقوة والعزة وحب الكرامة وينبعث من قلوبهم العمل والاخلاص، وتتجسم في عقولهم حياة العلم الصحيح، والإرادة المؤمنة التي تحفظ كرامتها وتزود عن حياضها، وتصون حدود الأوطان من عبث العابثين، واعتداء المعتدين.

فإذا أردنا أن نقف على مدى تقدم أمة وعلو مكانتها في الاستقامة فلننظر إلى شبابها، فإذا وجدنا شبابها مستقيماً وفتيانها صالحين يقبلون على الأعمال الصالحة ويخلصون فيها، ولا يعرفون العبث والمجون، بل يجدُّونَ في كل شيء وُكِلَ إليهم، ويقبلون على دينهم، فيعملون بمبادئه، ويتعرفون على فرائضه، ويقومون بواجباته، إذا وجدنا أمة كان شبابها على هذه الطريقة المستقيمة وفتيانها على هذا الصراط القويم، علمنا أنها أمة سعيدة بشبابها قوية بفتيانها، سترتفع إلى أعلى درجات المجد وترتقي سُلَّمَ العِزَّةِ والكرامة، وستكون زعيمة الشعوب وقائدة الحضارة الإنسانية، بل يباهي الله بها ملائكته.

إن قلوب الشباب في مبدأ حياتها بيضاء نقية، تقبل الاصلاح ويرسم فيها كل مفيد، فلذلك كانوا هم الطليعة الأولى في جيوش الأنبياء، الذين بعثهم الله لإصلاح الأرض وهداية للعالمين، ففي مبدأ الإسلام اعتنق الشباب أهدافه، وشربوا رحيقه، وامتزج بلحمهم ودمائهم فراحوا في الدنيا هُدَاةً مرشدين، وغزاة فاتحين لا يرهبون الموت، ولا يخافون القتل، حتى قامت على أيديهم أعظم حضارة في الدنيا، تؤدي رسالتها إلى اليوم.

وقد كان رسول الله (ﷺ) وسلم يختار للقيادات الفتيان من المسلمين، وشباب الصحابة الصالحين.

مرض رسول الله (ﷺ) وقد علم أن الروم تجمعت لقتال المسلمين، فاختار أسامة بن زيد لقيادة الجيش وجعله أميراً عليه، وكانت سن أسامة لا تزيد على ثمانية عشر عاماً، وفي الجيش كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر، وقد توفى رسول الله (ﷺ) قبل مسيرة الجيش فاختلف الصحابة على إمارته لأنه شاب صغير السن لم يجرب الحروب، فلما تولى أبوبكر الخلافة: كان أول عمل قام به أن أنفذ مسيرة جيش أسامة، وقال لا أحل لواء عقده رسول الله (ﷺ) فأمر أسامة أن يركب فرسه، وأن يقود الجيش، وقام بجواره يسير، وأخذ بزمام فرسه بنفسه.

الإسلام هو دين النور ودين السعادة والسيادة:

الشباب المسلم العاقل لا يرضى بأن يخرج من النور إلى الظلمات ودين الإسلام هو دين النور ودين السعادة والسيادة والسلام، ودين العزة والقوة والنظام، المُطَهِّر للعقول من خرافات البدع والضلال والأوهام، دين صالح لكل زمان ومكان، قد نظم أحوال الناس أحسن نظام، دين العدل والمساواة في الحدود والحقوق والأحكام، دين يطبع في القلب محبة الله، ومحبة الفرائض والفضائل والتنزه عن كل منكرات الأخلاق والرذائل، فهو دين الفطرة السليمة، والطريقة المستقيمة.

والمسلمون إذا أهملوا تربية أولادهم ولم يرشدوهم إلى تعاليم الإسلام، ومن أهم ذلك إرشادهم إلى المواظبة على فعل الصلاة والصلاح فإنهم ينغمسون في الفساد وفعل المنكرات.

وعلى المسلمين أن يرشدوا الشباب على الاقتداء بأخلاق الرسول محمد (ﷺ) فاقتداء الشباب به والاهتداء بهديه، في ذلك الفلاح والنجاح، والعصمة من الوقوع في الزلات وفي مهاوى الضلالات فإن أخلاق الرسول فيها النجاة، ومنها الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) – «العنكبوت / ٤٥».

مرحلة شباب محمد (ﷺ) أمثلة تحتذى:

والمتصفح لمرحلة شباب محمد (ﷺ) يرى فيها أمثلة حية تحتذى، أمثلة نبيلة للطهر والنبل، والنشأة الصالحة العالية التي يجب أن تقتدى.

ففي الكرم كان أجود من الريح المرسلة، وكان نموذجاً حياً لا يباري.

وفي الشجاعة كان مثلاً أعلى، كان إذا اشتد الكرب، وحَمِيَ الوطيس، واستولى الهول والرعب، والضيق المجهد على الناس كان (ﷺ) مثابة الأمن والأمان للمسلمين.

إن الآباء والأمهات، وكل مسلم يحبون أن يروا الشباب صالحين مستقيمين، بَرَرَةً بأهليهم ووطنهم وقادتهم، ومدافعين عن أمتهم، قد أصبحوا درعاً وسلاحاً يدفع كيد الأعداء، ويرفع راية الأمة الإسلامية خفاقة عالية على ربوعها.

على الشباب أن يَتَثَقَّفُوا ثقافة دينية واعية بعيدة عن التطرف حتى يسعد بهم المجتمع، وأن يقتدوا بهدى رسوله (ﷺ) في أخلاقه وينتفعوا بتوجيهاته ليعيشوا سعداء.

ومن أهم توجيهاته «الصلاة» فإنها تقوّم اعوجاج النشء وتصلح منه ما فسد، وتذكره بالله، وتصده عن الفحشاء والمنكر، وعلى المربين أن يهتموا بغرس هذه الفضيلة في النشء قبل أن يشب ويكبر.

قال تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ – «طـه / ١٣٢».

روائح الجنة في الشباب:

أهل الجنة كلهم شباب، فقد روى الثقات من الرواة أن رسول الله (ﷺ) كان يمزح.. ولكن لا يقول إلا حقا: مازح امرأة عجوز فقال لها ما معناه (لا يدخل الجنة عجوز) فجزعت باكية وبدا عليها الألم والحزن فتلا عليها الرسول الكريم (ﷺ) قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إنّا أنشأناهن انشاءً فجعلناهن أبكاراً، عرباً أتراباً﴾ – صدق الله العظيم – «الواقعة / ٣٥، ٣٦، ٣٧».

ولقد فطنت العجوز إلى قصد الرسول (ﷺ) من هذا المزاح بحق، فضحكت وبدا عليها الاطمئنان والرضا.

وهذا الخبر النبوي الحكيم عَرَّفَ حكمين:

أولهما: أن المزاح مطلوب إذا لم يغير في الواقع تغييراً ضاراً. أما التغيير من الحسن إلى الأحسن أو من السيء إلى الحسن فذلك جائز بل مطلوب شرعاً.

ثانيهما: أن أهل الجنة كلهم متساوون في التناسق والشكل كأنما هم أوراق ورد متناسق فواح، وهذا كاف في جمال الشباب ومكانته عند الله وعند الناس. فالشباب روض الحياة وعبيرها ونسق المجتمع وتنظيمه، ورونق الحياة الدنيا وبهجتها بل إنه النسق الأخير الجميل لإنسان الجنة ويكفي هذا أن يكون الشباب وما فيه من فتوة وقوة ميداناً كريماً مطلوباً في الحياة.

﴿ يقول الله تعالى في تقدير هذه الدنيا: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ – «الكهف / ٤٦».

وفي كلمة «البنون» أي: الجيل الناشيء المتأهل للشباب المتدثر بالصحة والبهجة والبسمة الطيبة العذبة، فيها إيجاز وجمال.

لولا الشباب ومباهجه ما كانت هناك آمال قيمة ذات جلال وجمال على هذه الأرض وهو في مرحلته اللطيفة وسط بين الطفولة والكهولة، ولا شك أن خير الأمور أوساطها، والشباب حين يجري فيه الدم ويمده

بالحيوية والحرارة يكلفه اللّه بتكاليفه من صلاة وصيام، لأنه أصبح أهلاً لشكر النعمة وتقويم الحياة وتجميل الوجود.

وإذا كان الشباب مهاجماً من الشيطان وأعوانه لتصريف حَيَوِيَّتِهِ وحرارته في المَبَازِل والمفاسد فإن هذا شذوذ لا يليق بالشباب، وإبليس ذاته لا يخشى ولا يستعد إلا لمهاجمة الشباب بمفاتنه وخبائثه وليس عند اللّه تعالى أحسن من شاب مطيع لأنه في معمعة مع الشيطان ثم انتصر عليه، والشباب يمهد للنبوة فالأنبياء (عليهم السلام) كانوا شباباً طيباً طيعاً فلما تغلبوا على شهواتهم ونزوات نفوسهم كافأهم اللّه العالم بالظاهر والباطن بالنبوة، ولعل أصدق البشر مع اللّه هم الذين اتبعوا الأنبياء كافة، فكان شبابهم لهم لا عليهم، وكان الأنبياء قدوتهم ومثلَهم الأعلى، ولسنا بحاجة إلى الإشادة بشباب نشأ في طاعة اللّه، فإن موقفهم يوم الحساب في المقدمة وقد ضمن اللّه لهم الجنة.

كما وعد اللّه سبحانه كل من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى بأن يحيا حياة طيبة وأن يجعل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ - «الطلاق / ٤».

وفي الحديث: عن أبي هريرة (رضي اللّه عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «قال اللّه عز وجل: «يا ا بن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأسد فقرك، و إلا تفعل ملأت قلبك شغلا، ولم أسد فقرك»(٢).

ومعنى: تفرغ لعبادتي: الحث على التحفظ على العبادات الواجبة من الصلاة والزكاة والصيام، ثم التزود بنوافل العبادات فمن لازم هذه الأعمال، وسعى سعيه في كسب المال الحلال أحياه اللّه حياة سعيدة طيبة، يجد لذتها في نفسه، وتسري بالصحة والسرور على جسمه، وعلى سائر أهله وعياله فيكون سعيداً في حياته، سعيداً بعد وفاته، لأن عمل الآخرة نعم العون على أمر الدنيا.

فيا معشر شباب المسلمين، إن اللّه سبحانه وتعالى قد شرفكم بالإسلام وفضلكم على سائر الأنام متى قمتم بالعمل به على التَّمَامِ، وإنَّ الإسلام بمثابة الروح للإنسان فضياعه من أكبر الخسران.

والإسلام ما وقر في القلب وصدقه العمل، فاعملوا بإسلامكم تعرفوا به، وادعوا الناس إليه تكونوا من خير أهله.

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يُثَبِّتَنَا وإياكم على دينه القويم وأن يَسْلُكَ بنا وبكم صراطه المستقيم، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

واللّه الموفق

بيان برواة الأحاديث التي وردت بالمقال

١- رواه الديلمي في مسند الفردوس.

٢- رواه الإمام أحمد.

المرأة وفريضة العلم

بقلم الشيخ: راشد محفوظ

قال رسول الله (ﷺ):
«طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١)

■ قال النبي الهادي محمد (ﷺ) في الحديث الصحيح: «إنما النساء شقائق الرجال»(٢).. ومن هنا يتبادر للذهن السؤال التالي: هل التعليم والتعلّم حق للمرأة كما هو حق للرجال؟.

.. وبداية نقول: إن الله تعالى ذكر في مواضع متعددة من القرآن الكريم أنه أرسل نبيّه (ﷺ) في الأميين ليخرجهم من الأمية فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.. ومدح سبحانه وتعالى العِلْمَ في مواضع متعددة من كتابه الحكيم.. ومدحه النبي (ﷺ) في أحاديث كثيرة.. وكان (ﷺ) يحث أصحابه على تعلّم الكتابة.. وقد أمر الله بها في آية (الدَّيْن) من سورة «البقرة» في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل....﴾ - «البقرة/٢٨٢».

.. وقد ثبت من عدة طرق أن الشفاء بنت عبدالله المهاجرة القرشية العدوية علّمت «حفصة» بنت عمر (رضي الله عنها) الكتابة(٣).

وقد أجمع المسلمون على أن كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم إليه فالرجال والنساء فيه سواء إلا ما استثني مما هو خاص بالنساء لأنوثتهن في الطهارة والولادة والحضانة وما رُفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف.

وقد بلغ من عناية رسول الله (ﷺ) بتعليم النساء وتربيتهن أن ذكر فيمن يؤتيهم الله أجرهم مرتين يوم القيامة.. أي مضاعفاً قوله (ﷺ): «أيّما رجل كانت عنده وليدة - جارية - فعلّمها فأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» - متفق عليه(٤).

فقرن (ﷺ) ثواب التعليم والتأديب بثواب العتق الذي كان يُرَغّب فيه كثيراً فوق ما شرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه ثم إن حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) باتفاق علماء المسلمين وإن لم يرد فيه لفظ (مسلمة).. وقد صحح في «الجامع الصغير» بعض طرقه وأما متنه فصحيح بالإجماع(٥)..

وقد اشتركت النساء مع الرجال في إقتباس العلم بهداية الإسلام فكان منهن راويات

الأحـاديث النبـويـة والآثـار يـرويـه عنهن الرجال..

.. مـرة أخـرى نعـود إلى ســؤالنـا الـذي طرحنـاه في بدايـة حديثنـا: هل حق التعليم والتعلّم أمر يتساوى فيه الرجال والنساء؟.. ولماذا؟.

– نقول: نعــم.

– لأن العلم يجعل لصاحبه مكـانة عالية إذا ما نفع بعلمه.. ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كما في قوله تعالى: ﴿قل هل يستـوي الذين يعلمـون والذين لا يعلمـون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ – «الزُمَرْ / ٩».

.. ومن ثَمّ فقد كان منطقياً أن يمثل العلم في نظـر الإسـلام أسـاس القيم التي يجب على الإنســان أن يحيـا بها.. لأن الإنســان لا يستطيع أن يمارس الصـواب ويبتعـد عن الخطأ إلا إذا كان لـديه العلم الـذي يتبين به الرشد من الغيّ.

وبلغت أهمية العلم درجـة جعلته شـرطاً محوريـاً ووحيـداً في فهم آيات الله القـرآنيـة حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

– ﴿ومـــا يعقلهـــا إلا العـــالمون﴾ – «العنكبوت / ٣».

– ﴿قـد فصّلنا الآيـات لقوم يعلمـون﴾ – «الأنعام / ٩٧».

– ﴿قـد فصّـلنا الآيـات لقوم يفقهـون) – «الأنعام / ٩٨».

– وقال (ﷺ): «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً، سهّـل الله لـه طـريقـاً إلى الجنـة، وإن الملائكـة لتضع أجنحتها لطـالب العلم رضـا بما صنع)(٦).

والعلم بمفهومه الواسع الشامل في الإسلام واجب على كل مسلـم ومسلمـة فــلا يفــرّق الإسلام بينهما في ذلك الحق.

.. وإذا كان الإسلام يعطي المرأة هذا الحق فهو لا يعطيه للحرة فحسب بل يعطيه أيضاً لِلأَمة كما في الحديث الذي ذكرناه آنفاً.

أيّـمـا رجل كانت عنـده وليدة – جارية – فعلمهـــا فأحسن تعليمهـــا وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران﴾ (٧).

.. ومن المعـروف بـالآثـار أن النسـاء كن يحتشدن في مسجد رسول الله (ﷺ) ليسمعن العلم ويتفقهن في الدين وللصلاة خلف النبي (ﷺ).

وذكر البلا ذري في «فتـوح البلدان» نساء مسلمات تعلمن القـراءة والكتابـة يبلغ عـدد المعـــروف منهن نصف عـــدد المعـــروف من الرجال والكتّـاب وروى مسلم وأبو داود عن الشفاء بنت عبـدالله المهاجرة القرشيـة قالت: «دخل عليّ رسـول الله (ﷺ) وأنا عنـد حفصة فقال لي: ألا تعلّمين هذه رُقية النملة (تحسين الخط) كما علمتيها الكتابة»(٨).

وكانت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وأم سلَمـة أم المؤمنين (رضي الله عنهـا) – كما ذكر الـواقدي – يّقرآن وإن لم تكتسبـا مهارة الكتـابـة.. وأم الدرداء الفقيهـة العـالمة التي وصفها النـووي بقولـه «اتفقوا على وصفهـا بالفقه والعقل والفهم».

وقـد ذكـر النـووي في كتـابـــه (تهذيب الأسماء) أسماء لبعض النســاء العــالمات اللائي تولين رسالة نشـر العلم وتعليمه..

وقـد ذكر ابن خلكـان أن الإمام الشـافعي كـان يحضر مجالس العلم للسيـدة نفيسـة وسمع عليها فيه الحديث.

وذكر أبـو حيان مـن أساتذتـه ثلاثـاً من النساء هن:

– مؤنسة الأيـوبية بنت الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي.

– وشامية التيمية..
– وزينب بنت المؤرخ الرحالة عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب الإفادة والإعتبار(٩).

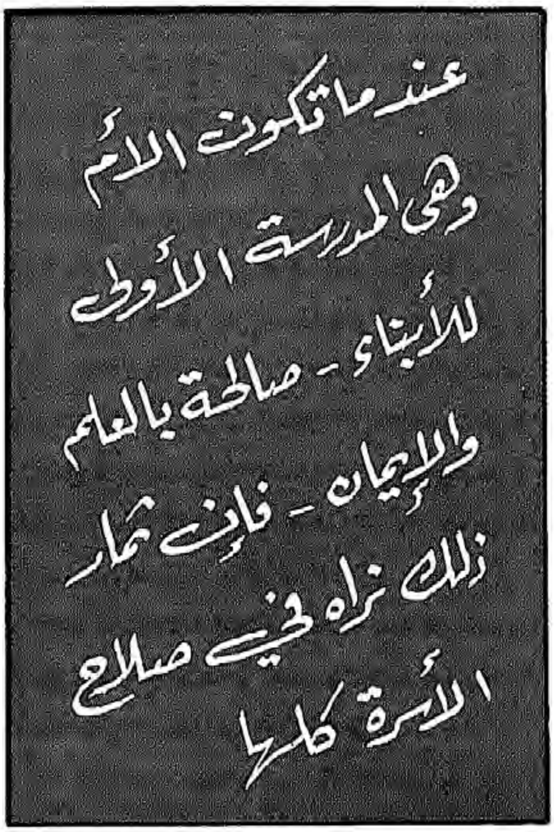
ويروي لنا التاريخ الإسلامي أسماء كثيرة لنساء كان لهن باع في العلم والتعليم.

ولعل اهتمام المؤرخين بتسجيل تلك الأسماء لَمُؤشِرٌ صادق على تقديرهم لهن واعتبار جهودهن في هذا المجال جديرة بالتسجيل والتاريخ... . ومن ثم فليس من المتصور أن تضيع جهود هؤلاء الأعلام من النساء الصالحات سدى.. وإنما تركت آثارها الطيبة على كل من أخذ عنهن وسمع لهن

والمرأة على مدار التاريخ كانت العلامة الواضحة على تقدم ورقي مجتمع ما.. أو تخلفه وضياعه.. وكان ذلك واضحاً جلياً في جيل نساء عهد النبي (ﷺ).. ولم يكن ذلك في المقام الأول إلا بصلاح النواة الحقيقية للأسرة.. وهي المرأة.

وعندما بدأت الأمة الإسلامية تبتعد بالمرأة عن ارتياد مجالات العلم الشرعي خاصة بدأت آثار ذلك سلبياً على كل خلايا المجتمع من أزواج وبنين وبنات حتى وصل الأمر إلى ما نراه اليوم في تلك الصورة القاتمة لأحوال الأسر بانطفاء نورها ببعد المرأة عن نور العلم وثماره العظيمة.

وعندما تكون الأم – وهي المدرسة الأولى للأبناء – عندما تكون صالحة بالعلم والإيمان المتلازمين في أغلب الأحوال.. فإن ثمار ذلك نراه في صلاح الأسرة كلها.. وما تقدمه للمجتمع سيكون عطاء خيّراً تبعاً لذلك. إن أعداء ديننا لم ينجحوا في محاربتنا وإفساد الكثير من جوانب حياة أسرنا – إلا عندما تمكنوا من الوصول إلى فكر وعقل المرأة المسلمة بما يبثونه لها من فكر فاسد وآراء ضالة.. ويوم ننجح في إعادة المرأة المسلمة إلى وضعها الصحيح بتسليحها بالعلم سواء الشرعي خاصة وغير الشرعي.. فإننا بذلك نكون قد استطعنا أن نغلق منافذ الخطر على مجتمعاتنا المسلمة.



ولعل ما ذكرناه من نماذج مضيئة من نساء وعالمات السلف الصالح لخير دليل على إمكان إصلاح ما أفسده هؤلاء الذين يحقدون على الإسلام والمسلمين.. ويحاربون الإسلام الذي فيه الأمن والأمان للمجتمعات كلها.. رجالها.. ونسائها.. وأبنائها.

○○ ألا فَلْنُعِدْ نظرتنا في تعليم المرأة تعليماً صحيحاً تعرف به ربها على الصحيح وأمر دينها.. وما لها.. وما عليها.. لتنير به الطريق لأسرتها ولمجتمعها المسلم بعد ذلك.. في معاهد علم خاصة بها بعيداً عن التعليم المختلط – الذي كان وبالاً على أجيال أمتنا

الإســلامية مـن بنين وبنـات - على أيــدي معلمات مسلمات صــالحات لينعم المجتمع المسلم بالسعادة القائمة على أسس صحيحة في تربية المرأة على شـرع الله كما بلّغه رسول، الأمين محمد (ﷺ).

والله من وراء القصد - وهو يهدي السبيل.

■ الهوامش:

١ - أخـرجــه ابن مـاجــه في العلم / ٨١ وضعّفـه النووي وغيره.. وقـال المِزّي: رُوي من طـرق تبلغ رتبة الحسن.. قـال السندي: رأيت له خمسين طريقاً.

(علــوم الحديث لابـن الصــلاح / ٢٦٥) تحقيق نور الدين عتر.

٢ - رواه أحمد و أبـو داود والترمـذي عن عـائشـة (رضي الله عنهـا) والبـزار عن أنس (رضي الله عنه) وهو صـحيـح.

٣ - الحديث إسنـاده صحيـح كما يقـول الشيخ نـاصر الألباني محقق كتـاب (حقوق النساء في الإسلام) لمحمد رشيد رضا / ١٧.

٤ - حقـوق النسـاء في الإسـلام - لمحمـد رشيد رضا / ١٨ تحقيق ناصر الدين الألباني.

٥ - المرجع السابق / ١٩.

٦ - رواه أبو داود والترمذي (فتاوي المرأة المسلمة / لمحمد عثمان الخشت / ١٧).

٧ - رواه البخـاري ومسلـم (فتاوي المرأة المسلمة / ١٧) ٨ - نفس المرجع السابق / ١٨.

٩ - نفس المرجع السابق / ١٨.

قطوف

نظـرة..

● لا يـرجـوَنّ أحدكـم إلا ربـه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سُئـل عما لا يعلـم أن يقول لا أعلـم، وإذا لم يعلـم الشيء أن يتعلمــه، واعلمـوا أن الصبر مـن الإيمان بمنزلـة الرأس مـن الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد.

الإعانـة على الظلم..

● سأل أبو فسيلة رسول الله (ﷺ): «هـل مـن المعصيــة أن يحب الـرجـل قـومه؟. قـال: لا.. ولكـن مـن المعصيـة أن يعين الـرجل قـومـه على الظلم».

علماء مخلصون..

● دخـل سفيان الثـوري (رضي الله عنه) على أبي جعفر المنصـور وقد كان حاجاً. فقال: ماذا تقول يا أمير المؤمنين فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم وقد قـال عمر بـن الخطاب (رضي الله عنـه) في حجـة حجهـا وقـد أنفق ستــة عشر ديناراً هـو ومن معـه «ما أرانا إلا وقد أجحفنا بيت المال»؟.

وأرى هنـا أمـوالاً لا تطيـق الجمال حملها وقد علمت مـا قاله النبي (ﷺ): «رب متخوض في مال الله ومــال رسول الله فيما شـاءت لـه نفسه.. لـه النـار غدا».. فقـال أحد كتّـاب المنصور: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟.

فأجـابه سفيـان بعنف: اسكـت.. إنما أهلك فرعون هامان.

الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري (٢)

لقاءات على هامش المؤتمر

انطباعات وآراء العلماء والمفكرين والباحثين!

بقلم الأستاذ: مصلح محمد السويدي



القس الالماني ثروت يقول:

الإسلام يدعو إلى السماحة وإلى السلام، وهو في الدرجة الأولى دين الإيمان... ويدعو إلى الخير والمحبة. ولا علاقة بين الإرهاب والإسلام.

في العدد الماضي تناولنا، وقائع مؤتمر القاهرة، حول موضوع: «**الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري**»، وما دار فيه من مناقشات، وما تناوله من أبحاث ودراسات، استهدفت الوصول إلى صيغة عادلة، للتعايش السلمي، بين الحضارات، من أجل إحلال سلام دائم، بين البشر.

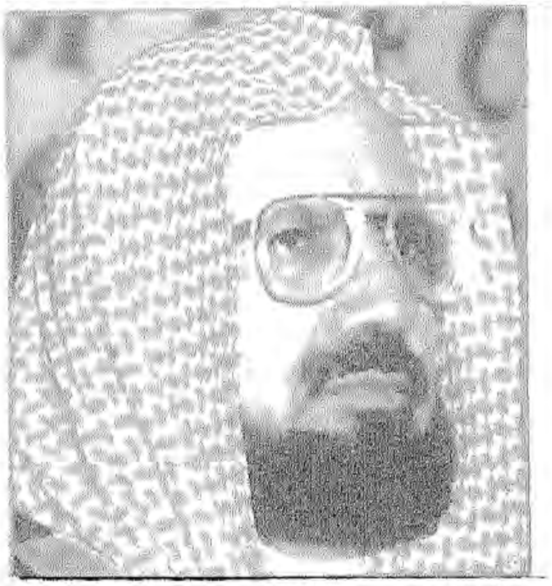
وفي هذا العدد، نستكمل لقاءاتنا مع بعض المفكرين والباحثين والعلماء من أعضاء المؤتمر، والتي تلقى مزيداً من الضوء حول نتائج هذا المؤتمر، ومستقبل هذا الحوار الهام، على العلاقات بين أبناء الحضارات المعاصرة.

مع أمين عام رابطة العالم الإسلامي

وفي لقائنا بالدكتور عبدالله بن صالح العبيد - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، كان سؤالنا التالي:

س ١ : ما هو مفهوم الحوار من وجهة نظركم؟ حيث إن موضوع المؤتمر الثامن، يتناول: الإسلام ومستقبل الحوار الإسلامي.

جـ ١ : الحوار واحد من قنوات الاتصال بين طرف وآخر يواجه كل طرف فيه الطرف الآخر يشرح موقفه ويجيب على تساؤلات الطرف الآخر ويطرح فيها مطالبه. والحوار الذي يتناوله المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية يأخذ بشكل خاص مجالين للتحاور أحدهما بين الإسلام والأديان السماوية اليهودية والنصرانية وجانب آخر بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى وهو يشرح



الدكتور عبد الله بن صالح العبيد

بالدرجة الأولى موقف الإسلام حيث إن الدين اليهودي غير ممثل في البحوث والمناقشات والنصرانية أيضاً غير ممثلة بجميع فئاتها. فالمؤتمر يركز على محاولة استفادة المسلمين من هذه القناة في التأثير على الأطراف الأخرى.

س ٢ : ما رأيكم في البحوث والكلمات التي قدمت في هذا المؤتمر؟ وما هو تعليقكم عليها؟.

جـ ٢ : لقد تطرقت بعض البحوث والمداخلات إلى قضايا تتعلق بالتهم الموجهة للإسلام مثل التعصب والإرهاب، إلا أن جملة البحوث تتعلق بالحوار بين الأديان والتعايش بين البشر والصراع الحضاري. وهي في جملتها بحوث رائدة في هذا المجال حيث إن هذا أول مؤتمر يعقد لبحث هذه القضية التي تعتبر إحدى القضايا الهامة في هذا العصر، ومن الجوانب المهمة في هذه البحوث، وعلى رأسها البحث الذي قدمه معالي الأستاذ الدكتور صوفي أبو طالب، والأستاذ



الأستاذ مصبح السويدي مع أمين رابطة العالم الإسلامي

الـدكتور كمال أبـو المجد، الاهتمام بـالحوار داخل المجتمع الإسلامي، وحل المشكلات التي أُثيرت وتُثار لخلق مواجهـات بين الحكومات والشعوب الإسلامية.

س ٣ : ما هي الاجراءات الفاعلة التي تقترحـونها فضيلتكم لترشيـد الصحـوة الإسـلاميـة المعـاصرة بصـورة تكفـل لجماهير المسلمين استعـادة الثقـة في قدرات أُمتهـم على التعايـش مع متغيرات العصر؟.

ج٣: تقـدم رابطـة العـالم الإسـلامي ولله الحمـد، الكثير في سبيـل خـدمـة الإسـلام والمسلمين ومـواجهـة التحديـات المعـاديـة للإسلام وذلك بإعانة المسلمين في شئونهم من حيث بناء المدارس والمساجـد وإرسال الدُعاة ودعـم الجمعيات وإعطـاء المنـح الدراسيـة والقيام بـإغاثـة المحتاجين ورعـاية الأيتـام والقيام بـالأبحاث والدراسات العلميـة التي تشـرح بعض الجوانب والقضايا الإسلامية وكشف مخططـات الأعداء لتفتيت هذا الـدين ومحاربته.

س ٤ : وسـائل الإعـلام المعـاصرة استطـاعـت أن تقتحـم المجتمعـات الإسـلاميـة مـن خلال بـرامـج تحلليـة إفساديـة مدروسة بهدف اقتـلاع جذور القيم والفضائل والمثل الإسلامية.

فهل وضع علماء المسلمين استراتيجية مضـادة لمواجهـة آثـار هـذا الغـزو الإفسادي؟.

ج٤ : الرابطة كما تعلمون منظمة شعبية

عالمية وما يتعلق بالأمور التي تخص الدول فإن الرابطة تتخذ حيالها الاجراء المناسب فإن كانت قضية فردية تهم دولة من الدول الإسلامية فإن الرابطة تجري اتصالاتها بها عن طريق القنوات الرسمية وإن كان أمراً يهم الدول الإسلامية أو معظمها فتخاطب الرابطة الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي كما أنها تخاطب الأمين العام للأمم المتحدة فيما يتعلق بالمواقف الدولية.

س ٥ : تعلمون فضيلتكم أن مصطلح الإرهاب أصبح بضغط وسائل الإعلام المضللة صفة يوصف بها المسلمون المحافظون على دينهم في كل مكان مما يشكل ظاهرة تساعد على استعداء شعوب العالم علينا رغم أن الإرهاب أكثر تغلغلاً وتمكناً في المجتمعات الغربية، ولقد جسّمت وسائل الإعلام الغربي الحوادث التي تحدث في عالمنا حتى شوهت صورة الإنسان المسلم وأصبح ينظر إليه على أنه إرهابي لمجرد أن له لحية أو أنه يواظب على الصلوات في المساجد.

فماذا فعل علماء المسلمين لتصحيح المفاهيم وتبرئة المسلمين من تهمة الإرهاب؟.

جـ ٥ : أولاً ينبغي ألا نغفل أن بعض الذين ينتحلون بعض الصفات الظاهرية للالتزام ليسوا بمنأى عن اللعبة الدولية سواء بقصد أو بغير قصد. وهم شواهد يستفاد منها لتشويه الإسلام وعلماء المسلمين لا يملكون أكثر من البيان والايضاح والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله محمد (ﷺ) ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ واختراق الصفوف الإسلامية من قبل الأعداء أصبح واضحاً وليست هذه بداية أو نهاية تاريخ خيانة الإنسان في التاريخ الإسلامي ولكن لعل هذه بإذن الله - بداية تمحيص لمرحلة قادمة والله أعلم حيث يجعل رسالته - ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾،





المنصة الرئيسية وبعض أعضاء الوفود المشاركة

س ٦ : ما هو الدور الذي قدمته وستقدمه الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي لمواجهة التحديات المعادية للإسلام؟.

ج٦ : للأسف.. لم يضع العلماء المسلمون استراتيجية مضادة، وذلك بسبب ظروف كثيرة على رأسها تخلّف الأمة بوجه عام في هذه المجالات ولكن الأمر لا يخلو من جهود فردية تقوم بها دول ومؤسسات وأفراد غيورون على دينهم وهذه جهود في بداية الطريق نسأل الله تعالى لها وللقائمين عليها المزيد من العون والتوفيق.

س ٧ : ما هو دور الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في تقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين دولها؟.

ج٧ : الاجراءات الفاعلة التي أراها في هذا المجال تكاد تنحصر في تربية الدعاة وتوجيه الدعوة إلى الوجهة السليمة والقيام على هذا الأمر بالحكمة، ومن الحكمة استخدام الوسائل والقنوات المناسبة لكل عصر بما يتفق مع القواعد الشرعية فلابد في هذا العصر من الاهتمام بالجوانب الفكرية على مستوى التربية الفردية والجوانب الجماهيرية فيما يتعلق بمخاطبة الشعوب.



بطاقة تعريفية

* د. عبدالله بن صالح العبيد.
* الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
* من مواليد ١٣٦١هـ في المملكة العربية السعودية.
* دكتوراه في التربية (مناهج وتقييم دراسي).

- ٣٤ عاماً خبرة في الأعمال الحكومية منها العمل :



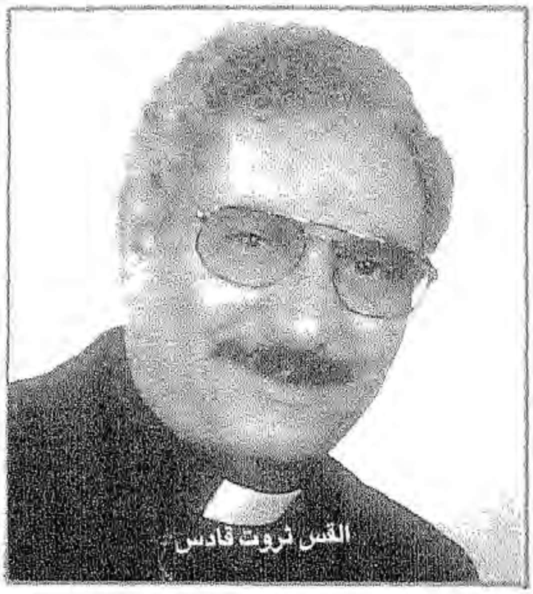
- وكيلاً مساعداً للرئيس العام لشؤون الحرمين بمكة المكرمة.
- وكيلاً للرئيس العام لشؤون الحرم النبوي بالمدينة المنورة.
- نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي اعتباراً من ١/١/١٩٩٦م.

مع راعي الكنيسة

وكان لقاؤنا التالي مع:

ثروت قادس وهو - راعي كنيسة إنجيلية في ألمانيا، في مدينة صغيرة اسمها (منجل)، بجوار فرنكفورت - وهو مسؤول عن الكنيسة العامة للعلاقات المسيحية الإسلامية؟ درس اللاهوت ودرس أيضاً تاريخ الإسلام، وقدم رسالة الدكتوراه، وكان موضوعها (الحوار بين الأديان).

وقد حضر إلى القاهرة، بدعوة من وزير الأوقاف الدكتور حمدي زقزوق، مع الوفد الألماني، وهو سعيد جداً بهذا المؤتمر (مؤتمر الحوار بين الأديان)، وليست كل الأديان إنما الأديان السماوية المعترف بها في جميع الكتب ا لمقدسة، وفي القرآن الكريم؛ وهو سعيد كمسيحي أو نصراني، أن يحل ضيفاً على المؤتمر، وقد شارك شخصياً في المؤتمر، حيث ألقى محاضرة بعنوان (مقارنة بين الأديان)، وسعيد جداً لأنه استفاد الكثير الكثير، ويعتقد أن المؤتمر كان ناجحاً بدرجة كبيرة، واستفاد أيضاً من المناقشات لأنها كانت مناقشات حرة مفتوحة، وقد قدم كل



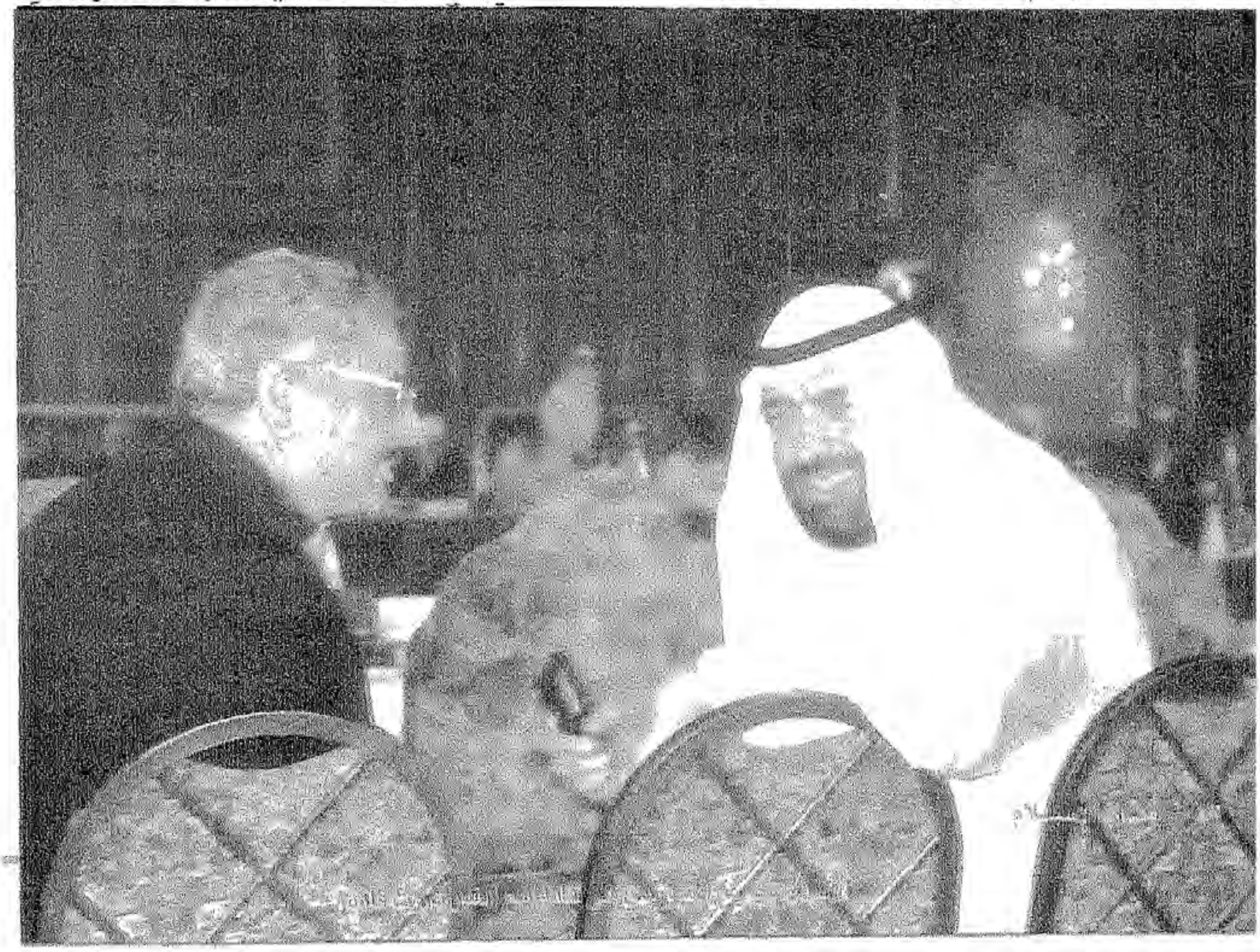
القس ثروت قادس

شخص رأيه بصراحة كما شاء الله، أو كما أراد الشخص نفسه، أن يقدمه ودون قيود؛ فضلاً عن ذلك سعادته الكبيرة جداً بمعرفة الإخوة العرب، حيث إنها المرة الأولى التي يحضر فيها مؤتمراً ويشترك فيه، فقد عاش في ألمانيا ثلاثين سنة ولم يلتقِ خلالها كثيراً بإخوة عرب، وقد أعرب بوصفه راعي كنيسة، على أن يساعد الأخوة المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا – وبالذات في المدينة الصغيرة، التي يعيش فيها – ويقول: إنه يوجد حوالي ٣٦ ألف نسمة، من سكان المدينة، منهم حوالي ستة آلاف من الأجانب، وثلاثة آلاف من المسلمين – أكثرهم من الأتراك والمغرب وسوريا ودول عربية مختلفة – وقد تم بناء مسجد في المدينة الصغيرة؛ بمساعدة الحكومة، ومساعدة الكنيسة، وهذا ما نطلق عليه، (التعاون) وهو هدف المؤتمر.



الأستاذ مصبح السويدي مع السفير الألماني المسلم في بداية

وقد أوضح في حديثه، رأيه عن الإسلام، حيث قال: إن الدين الإسلامي يدعو في الدرجة الأولى، إلى السماحة وإلى السلام، وإلى المحبة وإلى المودة، وبالنسبة لهم كمسيحيين أيضاً، يجدون أن الإسلام يتعاون معهم، وقد قرأ كثيراً في القرآن الكريم، وأُعجب كثيراً به، وخاصة الآية الكريمة: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك





أعضاء الوفد الألماني في المؤتمر برئاسة المستشار هيلموت شميث

بأن منهم قسيسين ورهبانا﴾.

ويعتبر نفسه قسيساً واحداً من الذين مع المسلمين في مودة ومحبة، لذلك يجد الإسلام في الدرجة الأولى، دين الإيمان والسلام، ويدعو دائماً إلى الخير، وإلى حسن الجوار ومحبة الآخرين، وهذا هو رأيه في الإسلام.

ويختم حديثه عن ما يسمى بإلصاق الصبغة الإرهابية بالإسلام، فيقول: لا علاقة بين الإرهاب والإسلام، فهذا خطأ، لأن الإرهاب في كل الأديان والمجتمعات يعني ما يحدث في الدول الأوروبية هذا إرهاب؛ وليس له علاقة بالإسلام؛ وهو يعتبر الإرهاب منظمة ضد الأديان كلها، وليس لها علاقة بالإسلام ولا بالأديان، والعيب ليس في الإسلام، وإنما العيب هو في بعض المسلمين، الذين لا يفهمون الإسلام، ويدّعون بأنهم مسلمون، وهذا ما قاله من كل قلبه، مع تمنياته أن يساعد الله الكثيرين للتفهم وهم كلاهوتيين أو كعلماء في الدين المسيحي، يقدرون الإسلام ويحترمونه، ويؤمنون أيضاً بأن لكل إنسان دينه، كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾..

واعتبر بأن المجادلة تكون بالتي هي أحسن، وليس بالإرهاب، فالإرهاب ليس طريقة للحوار، إنما هو طريقة للتخريب.

السلام والعزيمة

وفي احتفال مصر بذكرى المولد النبوي الشريف، الذي تقيمه سنوياً وزارة الأوقاف، بقاعة المؤتمرات، ويشهده وفود (١٠٧ دولة) إسلامية وعربية وأجنبية، جاءوا للمشاركة في أعمال (المؤتمر الإسلامي العالمي الثامن للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، والذي يتناول خطاب الرئيس، وتكريمه ومنحه أوسمة تقديرا لبعض المفكرين، والعلماء،



الأستاذ مصبح السويدي في لقاء مع السفير الألماني السابق في المغرب مراد هوفمان

وذلك لجهودهم في خدمة الدعوة الإسلامية بينهم شخصية ألمانية – هو السفير الألماني السابق بالمغرب، مراد هوفمان – الذي اعتنق الإسلام وقدم للمكتبة الإسلامية كتابين وعدداً من الدراسات، تبرز سماحة الإسلام ووسطيته واعتداله.

وكان لنا معه هذا اللقاء البسيط في كلماته الغزيرة في معانيها.

اسمه الحقيقي ذلفريد، ويعني الاسم بالألماني السلام والعزيمة؛ وبعد أن اعتنق الإسلام، أصبح اسمه مراد هوفمان، وقد اعتنق الإسلام في سنة ١٩٨٠، أي منذ ست عشرة سنة، ذهب إلى الحج خلالها مرتين، وأدى عمرة واحدة.. درس في ألمانيا القانون والحقوق، وعمل في وزارة الخارجية بألمانيا ٣٣ سنة، وكان سفيراً لألمانيا في الجزائر ثم المغرب، وقد دخل الإسلام بفكره وعقله.. فيقول: الدين والإيمان ليس كلمة بسيطة، وقد دخل في الإسلام بالتفكير والعقل، وفي شعوره أنه كان مسلماً ولكنه كان يبحث عن نفسه، أي ما يقال إنه بالفطرة عرف الإسلام، وأن لديه أسبابا عديدة جعلته يكون مسلماً، بدأت بلقائه بالفن الإسلامي والحضاري في اسبانيا، وكانت الحرب في الجزائر والجلاء سبباً آخر.

وكان دائماً يبحث عن صورة لله تعالى، بعيداً عن الثالوث ونتيجة لزواجه من امرأة تركية مسلمة، ساهمت في إسلامه.

وقد كان سابقاً متزوجاً من أمريكية، أنجبت له ابناً، وهو يتمنى أن يعتنق ابنه الإسلام، وهو يعمل الآن في أحد المصارف، ويقول: هو يعرف الإسلام جيداً، وأتمنى أن يتزوج ابني من مسلمة تركية، تساعده على إسلامه.

وحالياً هو كاتب متفرغ للدعوة الإسلامية وللكتابة، ويتمنى أن يكون سبباً في دعوة المسيحيين إلى الإسلام.

وعن تكريمه وإعطائه الوسام في احتفال المولد النبوي الشريف قال:

إن التكريم ليس جديداً عليه، وأشاد بدور مصر في الاهتمام بالعلم والعلماء وتكريمهم،

مؤكداً بـأن ذلك جزء من دورهـا الممتد لخدمة العـالمين العـربي والإسـلامـي، في مختلـف المجالات.. وأعـرب عن سعادته بأن يأتي هذا التكريم له مـن مصر – بلد الأزهر الشريف – وصاحبة الدور الريادي في خدمة الإسلام، في كل أنحاء العالم.

وإن الوسام الذي منحـه إيـاه الرئيـس مبارك، سيكـون بالنسبـة له دفعـة جديـدة لعطاء أكبر يعرف من خـلاله للإسلام الحق، وأنه دين المستقبل في كل العصور.

أضواء على الإيسيسكو

ومن بين اللقاءات التـي تمت، لقاء سعادة عبيد راشد العقروبي – الوكيل المساعد لوزارة الشـؤون الإسـلاميـة والأوقـاف – مع الدكتـور عبدالعزيز بن عثمان التويجري – المدير العام للمنظمة الإسلاميـة للتربيـة والعلوم والثقافة



(الإيسيسكو) – والذي استطعنا مـن خلالة، التعرف على المنظمة الإسلامية للتربيـة والعلوم والثقافة، حيث أوضح بـأن المنظمـة الإسـلاميـة أُنشئـت في شهـر مايـو عـام ١٩٨٢م، حينما انعقد مؤتمرهـا (العام التـأسيسي) بمدينة «فاس» بالمملكة المغربية، وذلك لتنفيذ القرار الذي صدّق عليه (المؤتمر الإسلامي الحادي عشر)، لـوزراء الخارجيـة، المنعقـد في شهـر مـايـو عـام ١٩٨٠م، في إسـلام آبـاد، بـالجمهـوريـة الإسلاميـة البـاكستـانيـة، وخـرجـت هذه المنظمـة للـوجـود كوكـالـة متخصصة إسلاميـة، في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي تابعة لمنظمة المؤتمر، وتعمل في إطار المؤتمر الإسلامي.

وموازنة المنظمة، تـأتي مباشرة من الدول الأعضاء، كـل دولة بحسـب الحصص التـي وضعت لها، في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وقـد باشـرت المنظمـة – منذ إنشائها – عدداً من خطـط العمل، التي تضمنت بـرامج ومشروعات، ثقافية وتربوية وعلمية، كثيرة استفـادت منها الأقليـات الإسـلامية خـارج الدول الأعضـاء؛ وشاركـت المنظمة في وضـع الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، التي أقرتها القمة الإسلامية السادسة، التي عقدت في دكار، في نوفمبر ١٩٩١، وذلك بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

كما أن المنظمة وضعـت برامج إسـلامية، لمحـو الأميـة والتعليم الأسـاسي، ووضعـت أيضـاً البرنامـج الخاص بالحرف العـربي، لكتـابـة الشعـوب، وسـاهمت في تنشيـط الحركات التربـوية والعلميـة والثقافيـة، في عـدد مــن الـدول الأعضـاء، المحتـاجـة إلى المسـاعـدة، بـوضـع المنـاهـج، ولتطـويـر المؤسسات الخاصة بهذه الميادين، فخصصت منحاً دراسيـة كثيرة، لعدد من طـلاب العالم الإسلامي لمواصلة دراستهم الجامعية.

كما أن المنظمـة، تعقـد دورات تـدريبيـة لمعلمـي اللغـة العـربيـة والتربيـة الإسلامية،وموجهي اللغـة العربية والتربية الإسلامية، ولقادة برامج محو الأمية، وكذلك



لأساتذة الرياضيات والكيمياء والفيزياء.

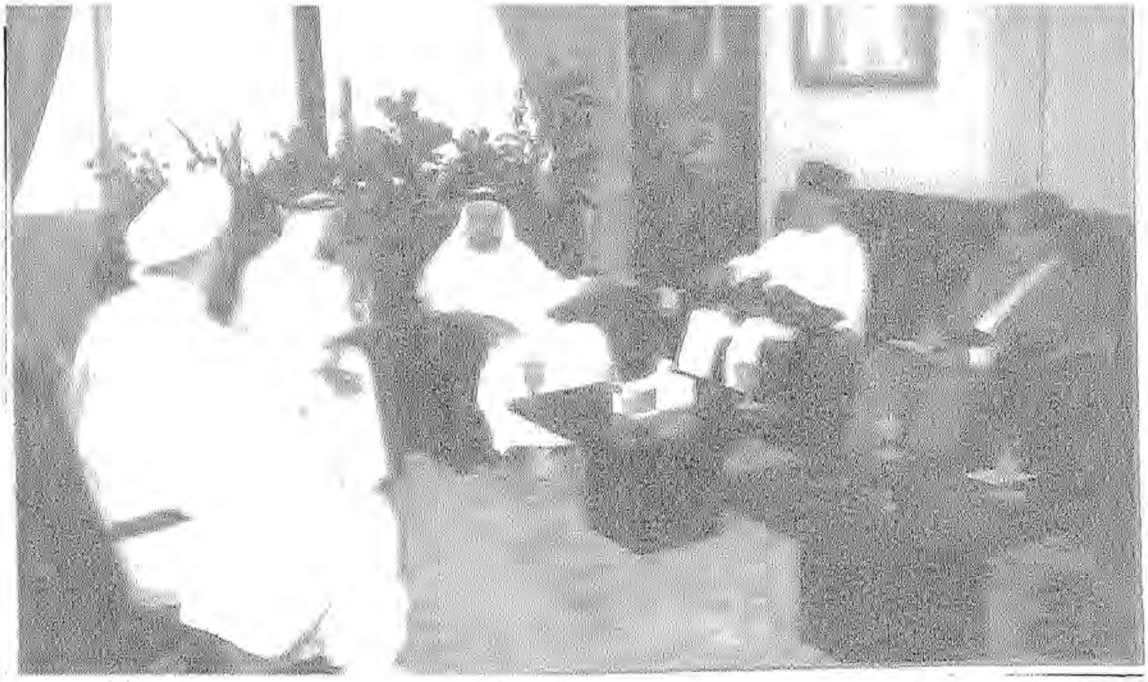
أما عن إدارة المنظمة، فقد أوضح أن المدير، يُنتخب في المؤتمر العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد؛ وفي المجلس التنفيذي، يُعين المدير العام المساعد لثلاث سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة فقط.

والمنظمة هي منظمة متخصصة، مستقلة، تعمل في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، لها هياكلها التشريعية المستقلة، وهي المؤتمر العام، والمجلس التنفيذي، ولها الإدارة العامة، التي تشرف على تسيير المنظمة، وتنفيذ البرامج التي يقرها المؤتمر العام، ومديرها العام، والعلاقة التي تربط المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بالأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، هي مسطرة في بروتوكول التعاون، أو مذكرة التفاهم بين الأمين والمدير العام.

وأن أكبر منظمة أو مؤسسة تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، أو منبثقة عن المنظمة، ونتعاون معها، هي البنك الإسلامي للتنمية، حيث بيننا وبينهم تعاون، وكذلك هناك إتصال بإذاعات الدول الإسلامية، ووكالات الأنباء الإسلامية ومؤسسة العلوم والتكنولوجيا الإسلامية.

والمنظمة تقوم بنشاط ثقافي كبير، فهناك الندوات المتخصصة، التي تعالج الكثير من القضايا الثقافية والفكرية، وهناك أيضاً الإصدارات التي تشمل ميادين الفكر والثقافة والحضارة الإسلامية؛ وكذلك الكتب التي توثق للندوات التي تعقد للاحتفال بكبار مفكري المسلمين؛ وكذلك تعنى بإصدار بعض الكتب الخاصة بقضايا معينة، فهناك كتب عن حقوق الإسلام، ورسالة الإسلام، وعن المرأة في الإسلام، ومكانتها في المجتمع الإسلامي؛ وهناك دراسات عن الفن الإسلامي، وعن التنمية والبيئة.

وتصدر المنظمة مجلة «الإسلام اليوم»، مجلة فصلية متخصصة، تصدر باللغات الثلاث: العربية والانجليزية والفرنسية؛ كما تصدر كذلك النشرة الاعلامية، بعنوان «الإيسيسكو»؛ وهذه تصدر كل ثلاثة شهور، وبالاضافة لهذين الإصدارين الإعلاميين، هناك إصدارات كثيرة، في مجال العلوم، والتربية والثقافة، والاتصال، تقوم بإصدارها المنظمة، إما منفردة أو بالتعاون مع منظمات وهيئات أخرى.



مفتي عاصمة ماليزيا في زيارة للوزارة

التقى سعادة الدكتور محمد بن جمعه بن سالم ، وكيل الوزارة في مكتبه يوم ١٠ جمادي الأولى ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/٩/٢٣م وفداً ماليزياً برئاسة سماحة الشيخ تن سري داتو عبد القادر بن طالب ، مفتي ولاية كوالالمبور عاصمة ماليزيا ـ عضو مجلس الإفتاء الأعلى .

وجرى خلال هذا اللقاء الذي حضره أيضاً الوكيل المساعد للشئون الاسلامية الأستاذ عبيد راشد العقروبي ـ بحث أوجه التعاون فيما بين البلدين الشقيقين ، في القضايا الإسلامية ، وتبادل الخبرات الفنية ـ حيث تحدث الوفد الماليزي عن تجربتهم في تنظيم الحج السنوي ، من خلال صندوق يودع فيه كل من يريد الحج شهرياً مبلغاً محدداً ، وفي نهاية كل عام يرشح للحج من كان له رصيد أكبر في الصندوق (عادة ترسل ماليزيا تسعة عشر ألف حاج) .

كما تحدث الوفد عن تدريس اللغة العربية ، حيث تشهد اللغة العربية في هذه الآونة إقبالاً متزايداً على تعلمها والاحتفاء بها ، وإن الزائر العربي إلى هناك لا يجد صعوبة في التحدث لغته هناك لكثرة من يستطيع التفاهم معهم .

أما معاهد حفظ القرآن الكريم ، وعلوم الدين فهي من الكثرة بحيث يؤمها الآلاف من الطلاب والطالبات .

ثم تحدث الوفد عن إدارة الوقف الإسلامي وتنميته ، واستمع من سعادة الدكتور الوكيل أيضاً عن شؤون المساجد والأوقاف في دولة الإمارات وعن الدوائر الفنية المتخصصة في وزارة الشؤون الإسلامية للارتقاء بالدعوة الإسلامية والاهتمام بمعاهد القرآن الكريم الدائمة والصيفية

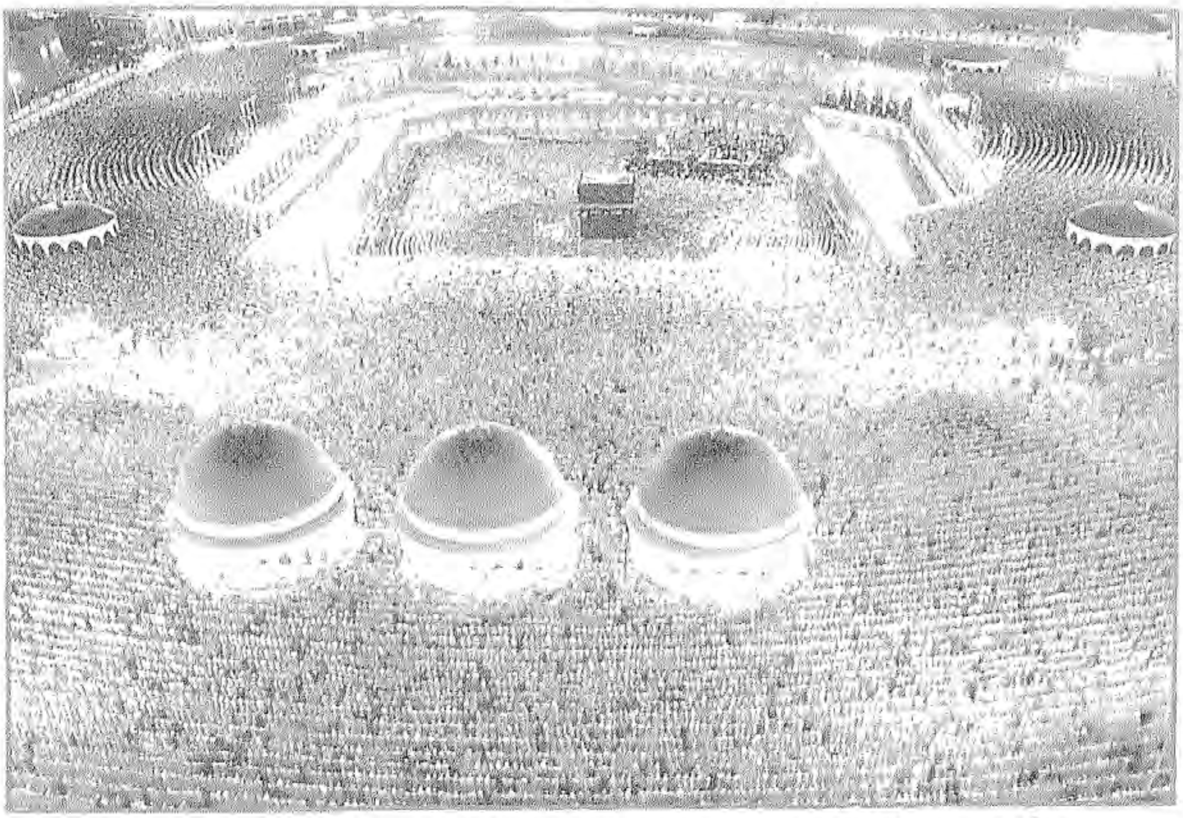
وأبرز سعادته ما تقدمه الحكومة من دعم مادي ومعنوي مستمر لجميع قطاعات الوقف الإسلامي في دولة الإمارات

هذا وكان الوفد الضيف قد زار كلاً من عمان ومصر والأردن والمملكة المغربية لبحث أوجه التعاون فيما بين هذه البلدان العربية وماليزيا وللإفادة والتنسيق في شؤون الدعوة والوقف .

كما زار الوفد الضيف مقر مجلة منار الإسلام ، وتجول في مكاتبها والتقى لفضيلة الشيخ أحمد الموسى الذي اختتم هذه الزيارة الأخوية وأجرى مع سماحة المفتي حواراً ثقافياً مهماً ننشره في العدد القادم إن شاء الله .

اليوم الوطني للمملكة

بقلم: فضيلة الشيخ أحمد الموسى



لقد قُيّض لي أن أذرع أرض المملكة العربية السعودية مرتين:

مرة من أقصى شمالها - من الأردن - إلى المدينة ومكة، في رحلة للحج براً، أترسم محاور نشر الدعوة الإسلامية في هذه الأصقاع، وأطلق عنان تأملي على الدروب الطويلة التي مشاها الرعيل الأول من الفاتحين تجاه بلاد الشام.

وفي المرة الثانية اخترقت أراضي المملكة من دولة الإمارات إلى الأردن قاطعاً بالسيارة مسافة ألفي كيلومتر على الأرض.

وأول ما كان يتردد في خاطري هو كيف أمكن توحيد هذه الأصقاع الشاسعة من الأرض العربية في زمن لم يكن ميسراً فيه من وسائل المواصلات والاتصالات، ما أصبح متاحاً الآن؟. وعدت في ذاكرتي إلى التاريخ القريب.

«ففي ١٢ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق ١٠/٨/١٩٣٢ اجتمع لفيف من كبار المواطنين في الطائف، واتفقوا على أن يرفعوا إلى الملك عبد العزيز قراراً يتصل بدعوتهم إلى

العروبة السعودية

توحيد المملكة، أعقبه - بعد فترة - صدور

أول نظام من ثماني مواد، ذكرت بعد هذه التقدمة: بعد الاعتماد على الله، وبناء على ما رفع من برقيات من كافة رعايانا في (المملكة الحجازية والنجدية) وملحقاتها، ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا وحباً في توحيد أجزاء (المملكة العربية) أمرت بما هو آت:

* **المادة الأولى**: يحول اسم المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها إلى اسم (المملكة العربية السعودية) ويصبح لقبنا بعد الآن «ملك المملكة العربية السعودية».

* **المادة الثانية**: يجري مفعول هذا التحويل اعتباراً من تاريخ إعلانه.

ثم تتالت المواد الثماني كما ذكرها الدكتور هاشم عبده هاشم في مؤلفه (صناعة القرار في المملكة العربية السعودية) إلى أن نصت المادة الثامنة: أننا نختار يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١، الموافق لليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية، ونسأل الله التوفيق.

صدر في مقرنا بالرياض في اليوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ بأمر جلالة الملك

نائب جلالته	التوقيع
فيصل	عبد العزيز

وبذلك القرار السياسي ولدت دولة ذات كيان كبير قامت على أسس دينية متينة، منذ ٢٢/٩/١٩٣٢، ومنذئذ وفي يوم الثالث والعشرين من سبتمبر (أيلول) من كل عام تحتفل المملكة العربية السعودية الشقيقة بعيدها الوطني، ولقد غدا هذا اليوم عيداً مباركاً لكل عربي ومسلم، قلبه مفعم بالإيمان وبالغيرة والحب للأرض التي انطلقت منها أسمى رسالة سماوية وأعظم رسول، وأنبل مدنية وأرقى حضارة إنسانية.



وإذا كانت المملكة العربية السعودية بهذه المكانة الدينية والإنسانية، فإن يومها الوطني مازال - ولن يزال - ملهماً لكل بناة العالم ومثقفيه، أن يفجروا ينابيع الخير



والعطاء والكرامة الإنسانية في الضمائر، كما تفجرت أرض الجزيرة العربية بالنور والمعرفة والعطاء والنهضة المباركة، حيث استجاب المولى سبحانه وتعالى دعاء أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام)، أن يجعل الله من الوادي غير ذي الزرع، أفئدة تنبض بالرسالة الإسلامية الخالدة: حضارة وقيماً إنسانية، هي المقياس الأبدي لكل ما هو خير وسمو ورفعة ورحمة لكل بني الإنسان.

المواقف السياسية الحكيمة

ما من يوم يطل على الوجود، إلا يحمل للإنسانية من هذا البلد الأمين قيماً جديدة في السياسة الإقليمية والدولية.. ومواقف مهيبة من العدالة والإنصاف وبعد النظر وسمو الهدف.

ما من يوم إلا ويتسامى هذا الصرح: إخاءً ونبلاً وتعاوناً جاداً على صعيد (مجلس التعاون الخليجي) وتوحيداً للكلمة، ورصاً للصف، وغيرة أبيه.. على صعيد القضايا العربية الساخنة، والزمن العربي المضطرب، ثم قوة واعتدالاً في اتخاذ القرارات المصيرية. إزاء المواقف والمتغيرات الدولية.

لقد اكتسبت المملكة العربية السعودية مصداقية جليلة أمام الأشقاء والأصدقاء.. فإذا تلبدت سماء الأمة العربية بالأزمات، وحار الناس، وبحثوا عن الطريق، فإن المنارة التي تبدد بألقها سحب الكروب، لابد أن ترتفع من البلد الأمين.. تهدي وتنير، وتطمئن القلوب... لقد غدت القمة الثلاثية (السعودية - المصرية - السورية) الفيصل الأساسي في تقرير الموقف الحاسم لكل قضية شرق أوسطية - وهذا محور إقليمي مصيري..

كما غدت القمة الخليجية (السعودية - الإمارات.. وبقية الدول العربية الخليجية) المحور الإقليمي الآخر الذي تعمل المملكة العربية السعودية من خلاله على ترسيخ بناء القوة الذاتية للمنطقة، فالشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والملك فهد بن عبد العزيز آل سعود علمان بارزان في صنع القرار الإسلامي الحاسم..

دأب متواصل، ومسيرة صاعدة، وتعاون على البر والتقوى.. تحقيقاً للأمر الإلهي

العظيم.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم، ورسوله والمؤمنون﴾

أما على صعيد العمل الإسلامي: فللمملكة العربية السعودية دور الصدارة والريادة بلا مزاحمة إنها رسالتها إلى العالم، منذ رجّعت روابيها وجبالها الشم آيات الوحي المحمدي، سلاماً وأمناً ورحمة للعالمين.. ومن أجل ذلك تسعى حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله وأعانه - على إبراز مواقفها الرسالية في كل مناسبة دولية ومحلية، لا تحيد عن الخط المرسوم لمرامي الشريعة الإسلامية ولا تزحزحها عن صراطها السوي كل متغيرات العصور، ولا تفقد آليات التفكير المتجدد الملائم لتجدد الحياة. ليبقى النهر متدفقاً بالحياة والحيوية، مواكبة لقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾

النهضة الاقتصادية

ولكن هل يمكن المحافظة على إعلاء كلمة الله، وتحكيم شريعة الله، دون نهضة اقتصادية شاملة؟. إن المؤشرات والأرقام الصادرة عن المؤسسات الاقتصادية العالمية، لتبعث على التفاؤل الكبير.. حيث تتنامى خطوط الإنتاج السعودي باطراد واستمرارية، وتُبنىُ المصانع، وتُزرَع الصحراء، وتُستَثمر كلُ المصادر الاقتصادية بدورة كبيرة، وانطلاقة واسعة، تنعكس على واقع الحياة الاجتماعية بكل مرافقها: خيراً وعطاءً وازدهاراً، على كل الصُعُد.. ويفيض النهر، ويلقي على الضفاف البشرية البسمة والخضرة والأمل.. ويتحقق لأمثال شاعرنا الحُلُم:

فلا نزلتْ عليَّ ولا بأرضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

إننا في زمن نقرأ على كل جدرانه: أنه لا وزن لأي قوة في معترك هذا العصر، إذا لم تصدر عن قاعدة اقتصادية قوية..

النهضة العلمية

يكفي أن نذكر - في هذا الصدد - أن النهضة التعليمية والعلمية والثقافية قد



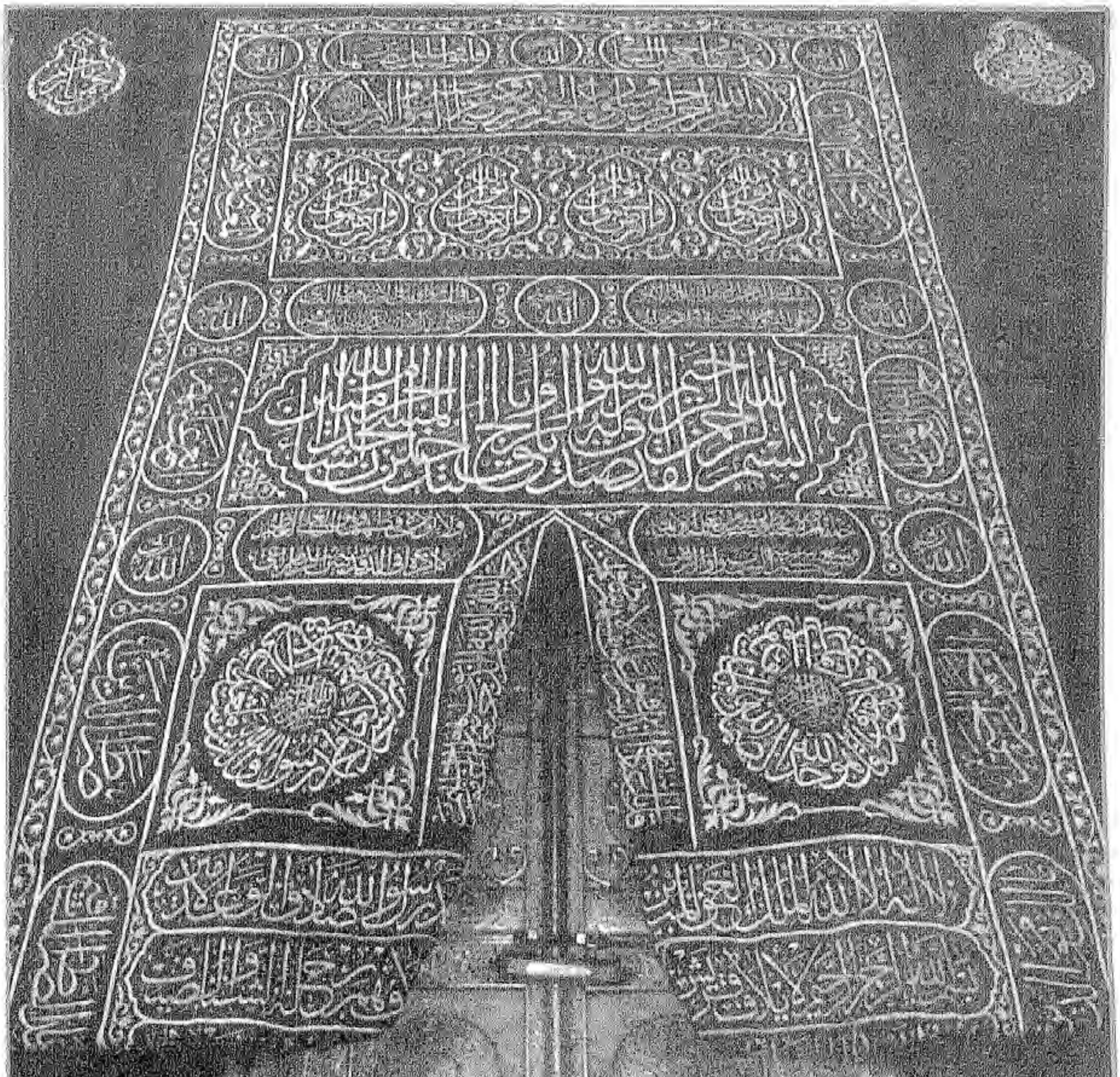
مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض

أعطت ثمارها في هذه السنوات وأن تنفيذ الخطط التعليمية الموضوعة – من حيث الكم والكيف – قد رفدت الإنسان العربي السعودي بأجيال من المتعلمين والباحثين والمتخصصين، بما أوصل المؤسسات المعنية إلى الاكتفاء الذاتي بحمد الله وتوفيقه، والمستقبل المنظور يتأهّب لتسليم الإنسان السعودي مقاليد الإدارة والإنتاج والتخطيط والإبداع في كل ميادين العمل الصناعي والزراعي والمهني. وهكذا (على قدر أهل العزم تأتي العزائم).

الحرمان الشريفان عنوان النهضة وروحها

ولا نستطيع، بهذه العجالة السريعة أن نرسم الصورة كاملة للحياة المشرقة في المملكة العربية السعودية، ولكن: إن هي إلا مشاركة واجبة من مجلة «منار الإسلام» في الذكرى السادسة والستين لقيام الدولة العصرية في المملكة العربية السعودية الشقيقة.

ويكفي النظر لما شاده خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز من نهضة باذخة في كل مناحي الحياة السعودية عنوانها وروحها، ما نشاهده في الحرمين الشريفين. وهل يملك أي حاج أو معتمر – يدخل البيت الحرام – والمسجد النبوي الشريف – إلا أن تأخذ مجامع قلبه وعقله، عظمة البناء، وروعة الجمال، وعراقة الفن





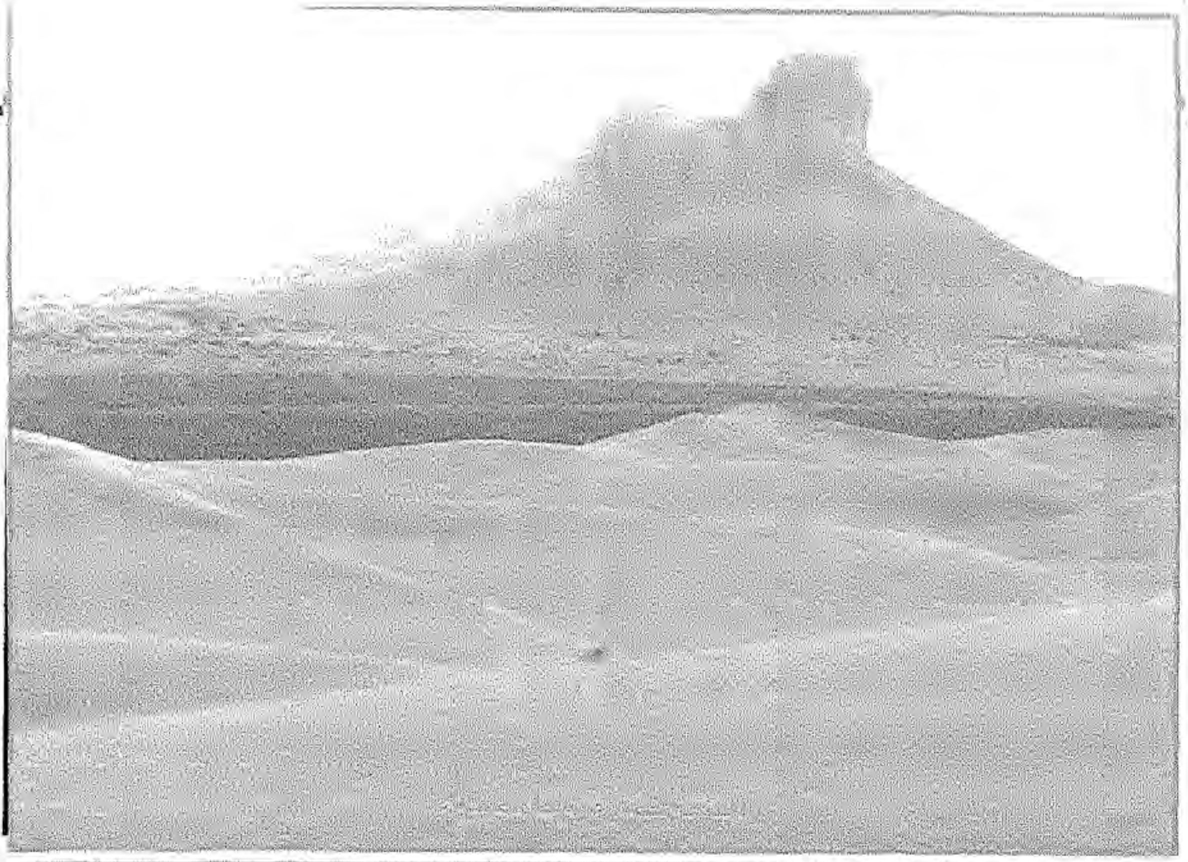
تخضير الصحراء بالتقنية الزراعية الحديثة

الإسلامي ماثلاً آسراً متدفقاً في هذا الرحاب المقدس، وذاك الرحاب الطاهر؟. لقد تجانس الجمال الروحي الداخلي بما ارتسم على الجُدُر والأسقف والسواري من جمال خارجي، وذاب المكان المحسوس بسكينة الإيمان ومحراب اليقين، واغتسل القلب بنور دافق دافق، وهل بعد ذلك من سعادة وسكينة ورواء... فليتدفق اللسان بالدعاء، وليكن لخادم هذين الحرمين الآسرين مساحة دافئة من هذا الدعاء.. كل حاج أو زائر أو معتمر يشعر بالرضا والامتنان، ويرغب في أن يقدم شكره بعفوية صادقة: اللهم، وخادم الحرمين الشريفين، أعزه كما أعز بيتك، وأكرمه كما أكرم ضيوفك، وأثلج صدره كما أثلج صدور المسلمين، فلا تدع له ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته.. وتتعدد الأنفس والأنفاس، والألسن واللغات إلا أنهم جميعاً مسلمون، شاكرون حامدون، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

المستقبل ومتطلباته

وإذا صار الحرمان الشريفان بهذه السعة والروعة، وإذا أنجز مجمع الملك فهد مهامه بكفاءة في طبع وتوزيع المصحف الشريف، فإن كبير الأمل معقود أن تسعى المملكة العربية السعودية، وتقدم للعالم، هذه الدعوة الإسلامية عبر أقنية فضائية عالية الأداء، رائدة في الإمتاع والإقناع بأوسع لغات الأرض انتشاراً، وبهذا تدخل الرسالة الإسلامية قلوب الناس، وتعمرها بالإيمان والمنظومة الأخلاقية الراقية، بما يحمل إلى العالم، الإسلام الشامل بكل تياراته ومدارسه المتجانسة، وتنوع حضارته وتراثه، وبما يحقق عالمية الدين الخالد، ويمكّن هذا الدين في ضمير الإنسانية الغارقة في لوثة الهوى، وسعار المادة وخواء الروح.

هنيئا لك أيها القائد المسلم الغيور، باليوم الوطني لبلادك، وهنيئاً لكم أيها الإخوة في المملكة الشقيقة، نسأل المولى سبحانه أن يقيّض لكم باستمرار أنبل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ليبقى هذا اللواء مرفرفاً في سماء حياتنا الإسلامية، علماً وعنواناً لخير أمة أخرجت للناس: تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.



أبوظبي - خاص بمنار الإسلام:

وبهذه المناسبة الوطنية الكبيرة.. تحدث سعادة سفير المملكة لدى الدولة الأستاذ صالح بن محمد الغفيلي.. فحمد الله على ما تحقق وأنجز، وأن المملكة العربية السعودية لاتزال تجني ثمار جهود ذلك القائد الكبير، جلالة الملك عبد العزيز، إذ وحّد أجزاء المملكة، وبنى الدولة الحديثة على أسس متينة وتتابع بعده أبناؤه المخلصون فرسخوا البناء وأخلصوا لله وللأمة. وأعلوا من شأن قيمنا وإنساننا العربي المسلم، بما انعكس أمناً وإيماناً، وتنمية مزدهرة ينعم بها شعب المملكة، وأبناؤها وكل من يعيش على ترابها الطهور.

أما خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود فقد حقق للمملكة وشعبها داخلياً وخارجياً من منجزات عظيمة يعجز البيان عن تقديرها فنسأل الله سبحانه له المزيد من التأييد والتوفيق والعزة.



سعادة السفير صالح بن محمد الغفيلي

. وإن لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة مع أخيه خادم الحرمين الشريفين من مواقف التعاون والتنسيق بين الدولتين والشعبين الشقيقين ما يصلح أن يكون مثالاً يحتذى في توحيد الكلمة وبناء المستقبل المشرق بإذن الله.

تطويرٌ أمْ تدبير؟!

بقلم: عمــر لطفــي العالــم

□ في يوم ربيعي دافئ، وقد استـرخيـتُ على أريكة في ركن ظليل من حديقة المنزل، شـد انتبـاهي مشهدٌ لم أثقف مثله منذ أن ملكتْ علـيّ هذه الأمم الصغيرة نفسي وأخذتْ بمجامع لبي..

● ولعل مـا شاهدت اليـوم من صراع بين عنكبـوت وذبـابـة، لا يمكن وصفـه بأقل من معـركة حقيقيـة لكثـرة ما استُعمل فيهـا من فنـون قتـاليـة، تـراوحت بين الكرِّ والفـر، والإقدام والتراجع، والحيلة والمناورة.

أما الـذبابـة فما انفكتْ تطير وتحط، مـرّة هنـا وتـارة هنـاك، حتـى إذا أعيـاهـا التنقل فسكنتْ، واقترب منهـا العنكبـوت أو أوشك، أدركتْ الخطر الماثل فانتبذتْ منه مكاناً بعيداً وواصلت العبث.

عاد العنكبـوت أدراجه وقد أضمـر شيئاً. تخلى عن البقعـــة الخضراء الحسنـــة في الشجـرة، وتسلل إلى شعب يـابس لـه لـون أديمه، فيما استمـرتْ الذبابـة ترقى وتهبط، حتى إذا ساقها قدرهـا إلى مقربة منه ولمحها، أخرج بعض رأسه من مخبئـه وتقدم في حذر خطــوتين، ثم ارتـــدّ إلى الخلف على عجل، والتف في حركة ســريعة حول الساق كما لو استطلع كل ظروف المواجهة. وفي ومضة عين، والذبـابة جائمة، انقض عليهـا وأنشب فيها مخالبه فلم يتركها إلا وهي جثة هامدة.

مثلُ هذا المشهد قـد يتكرر عشـرات المرات. كم عدد الـذين يعرفون به، وإذا عـرفوا، فهل حرك مثل هذا المشهد في نفوسهم شيئاً؟. وهل فكروا يومـاً بأن مثل هذه الحوادث الصغيرة التـافهة، يمكن أن تقـودنـا إلى حل القضايـا الكبرى المعقدة؟!.

ما من مرة لمحت مشهـداً كهذا، إلا وتوقفتُ عنـده، ثم أجـريت مـراجعة عـامـة لمجـامع الحكمـة، وخرجت بنتيجـة هي أن الحقيقـة أشبه ما تكون بهرم مقلـوب، وأن الوصول إلى قاعدتها العريضة لابد وأن يبدأ من أدق نقطة فيها، ومن أجل ذلك فإن التحدي الأكبر للعلم، والاستعصاء الأشد على البحث، لم يتأتيّا من



● مواجهة حامية بين الأفعى ذات الأجراس وبين الأوبسوما الذي يتكون سدس غذائه من هذه الكوبرا السامة. لكنّ المثير في الأمر أن الحيوان الجرابي هذا لا يُظهر مقاومة إلا ضد الأعداء الذين يمكنه قهرهم، أما الآخرون فيتظاهر أمامهم بالموت لأن الحرب خدعة.

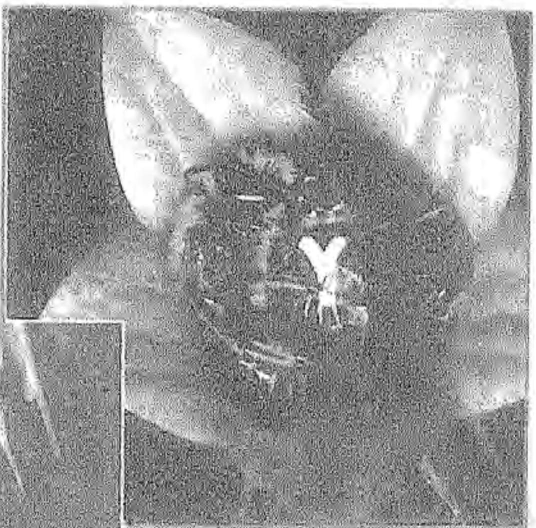
الأشياء الكبيرة العاتية بقدر ما صدرا عن الأشياء المستصغرة الواهنة. لكنَّ علماء الأحياء – غفر الله لهم وأنار بالإيمان بصيرتهم – لا يرون رأينا ولا ينهجون في طرق البحث طريقنا. إنهم يخترعون، ويكتشفون، ويعطون ويقدمون، ويضعون أيديهم على مستودعات الحكمة، ثم ينقلبون فيرضون منها بالغث ويفرطون بالنفيس الغالي، كأنما ختم الله على قلوبهم، كلما رأوا آية أعرضوا عنها!.

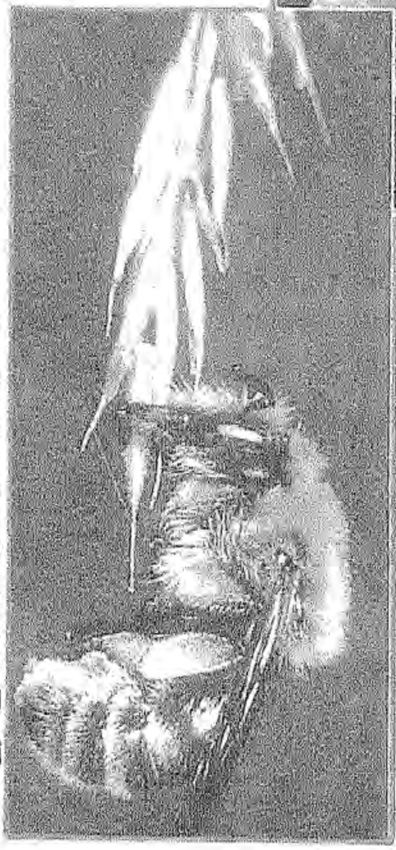
إن حبّ المعرفة واستطلاع المجهول كانا دوماً وراء علم السلوك. ولأسباب عدة أقبل الإنسان بشغف على دراسة أحوال الحيوان الذي يساكنه بيته، وقد يعتمد عليه مستقبله ومصيره. فعلى صياد البر والبحر مثلاً، أن يكون على بينة من طباع طرائده وإلا عاد خائباً خالي الوفاض. والكلام نفسه يقال في الفلاح الذي يخشى أن تلتهم الطيور جهده وتأكل عرقه. وإذا كنا لا نريد أن نحصي كل الفوائد التي يمكن أن يجنيها الإنسان من تتبع سلوك الحيوان، فيكفي أن نذكِّر بأنه لولا هذا العلم، لما توصل الإنسان مؤخراً إلى

دراسة طبائع البعوض، والذباب، والبق، والحشرات الضارة، وإلى تصميم أجهزة ترسل موجات وذبذبات، وروائح منفرة لهذه الحشرات أو سواها، لولاها لأقضت بلسعاتها جنوبنا ولجفا النوم عيوننا.

ولقد قدم العلماء تفاصيل مثيرة حول وسائل الرؤية والسمع والحركة حول حيوانات تتفاعل مع مهيجات لا نحس بوجودها، كالموجات الضوئية، والأصوات والروائح التي لا سبيل لإدراكها بغير أدوات مساعدة. فالنحل مثلاً يتفاعل مع الأشعة فوق البنفسجية. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن حواسها أقل (تطوراً) من حواسنا بقدر كبير وأن أداءها أفضل، ازددنا عجباً فوق عجبنا، وانبهاراً فوق انبهارنا، وبرغم ذلك، فإن هذا الاكتشاف يظل متواضعاً في طرائقه، ضخماً في نتائجه ومحصلاته. ولكي نقف على حقيقة المنهج المتبع في تقصي سلوك الحيوان، يكفينا أن نلقي نظرة على كتاب (السمكة والصغير).

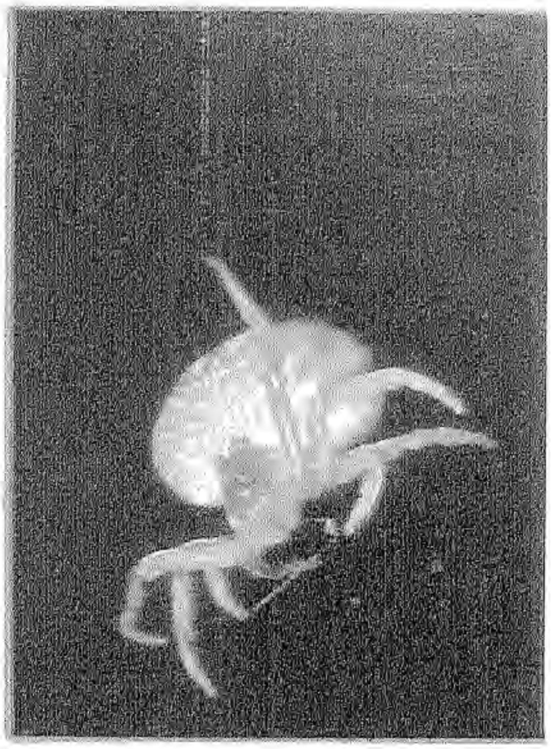
فلقد سعى العالم الألماني (فون فريش) إلى إثبات الكيفية التي يتم من خلالها التعرف على نوع الحاسة التي يستعملها الحيوان: السمع، البصر، أم لا هذا ولا ذاك؟. ولقد توصل إلى طريقته تلك باستبدال الوسائل، والتناوب في استعمالها، الصفير مرّة، والحركة تارة، أو الاثنين معاً. ثم باقتلاع حاسة السمع حيناً، وحاسة النظر حيناً آخر، وحين يتأكد من إحداها، يشرع في تشخيص الظاهرة والتعرف على آليتها.





● المشهورُ أن عضلات وجوارح الكائن الحي تسترخي في أثناء النوم. لكنّ أنواعاً من النحل تخرق هذه القاعدة، فالتي لا تتخذ بيوتاً لها أو لا تنام في الزهر، لا تغفو ما لم تعض بفكيها أحد الأغصان أو الأعشاب المتدلية المرتفعة عن مستوى الأرض، فيما جسم النحلة متدلياً وهوائياها يظلان منتصبين كي تأمن شر الزواحف وطيور الليل.

لكن الصعوبة الحقّة التي يشكو منها العلماء في مجالات البحث على الحيوانات، إنما تتمثل في استحالة تقديم تفسير لبعض حالات السلوك كما هي عليه عند الإنسان، كالشعور بالسعادة والرضا، أو الحزن، أو الألم. فالعالمُ لا يستطيع الجزم بأن الحيوان يهاجم لأنه غضبان، أو يحجم لأنه خائف. كل ما يفعله العالم هو أن يدرس الظاهرة، أي آلية الفعل.



● أصبح القنص بالشباك موضة قديمة على ما يبدو، فهذا العنكب ينصب فخه بطريقة حديثة جداً. يُرخي من لعابه خيطاً حريرياً يسحبه ما أن تستقر عليه أرجل الحشرة. بقي أن نتعرف على سر الكرة التي تتدلى في أسفل الحبل. إنها المرساة التي تحافظ على الحبل مشدوداً في الهواء.

والبحث عن السلوك وسببه أمر يطول لأن البحث عن السبب لا يحده حد. وحيث إن كل سبب لا يخلو من مسبب، فعلى المرء أن يفتش في جذور الزمن. هنا سيكتشف بأن حياة الحيوان تجري في دورات.

ولكي نفهم الباعث على السلوك الخاص بالحيوان، ينبغي ألا نتوقف عند البحث عن الدورات السلوكية المتكررة لذلك الحيوان، بل يجب أن نسأل كذلك عن نشأتها في صورتها الديناميكية. ويبدو أننا سنقصر حديثنا على جانب السلوك فحسب، ففيه تكمن القضية التي تهمنا في المقام الأول.

لقد ساد الرأي يوماً بأن الحيوانات تتصرف بالغريزة بينما الإنسان بالذكاء. وهذا القول الذي ينطوي على تعميم كبير، يستفاد منه بأن معظم الحيوانات وُلدت بسلوك مكيف، وعلى الإنسان أن يتلقى ويتعلم بالمقابل. لكنّ هذا الرأي - على صحة بعضه - مردود، فالكثير من الحيوانات لا تتصرف على أساس (الاستجابة والانطلاق) كما تفعل الآلة، بل إن أنماط سلوكها تتغير طبقاً (لعملية التطور)، فقد يحدث ذلك تدريجياً كما هو الحال في بعض الحيوانات البحرية، بينما يحدث فجأة في البعض الآخر، كالفراش الذي يباشر الطيران فور خروجه من شرنقته، والبطة التي لا يزيد عمرها على الساعتين تقفز وتعوم في الماء بغير تردد. وتظل صيصان الدجاج خير مثال على تدرج السلوك بدءاً بنقف القشرة، مروراً بظواهر الخوف والتستر، وانتهاء بالدربة على الطيران وتحديد الاتجاهات.

أما برمجة السلوك كما يراها العلماء، فيمكن أن تكون من الداخل أو من الخارج. والسلوكُ الخارجيُ يُكتسب بالتجربة



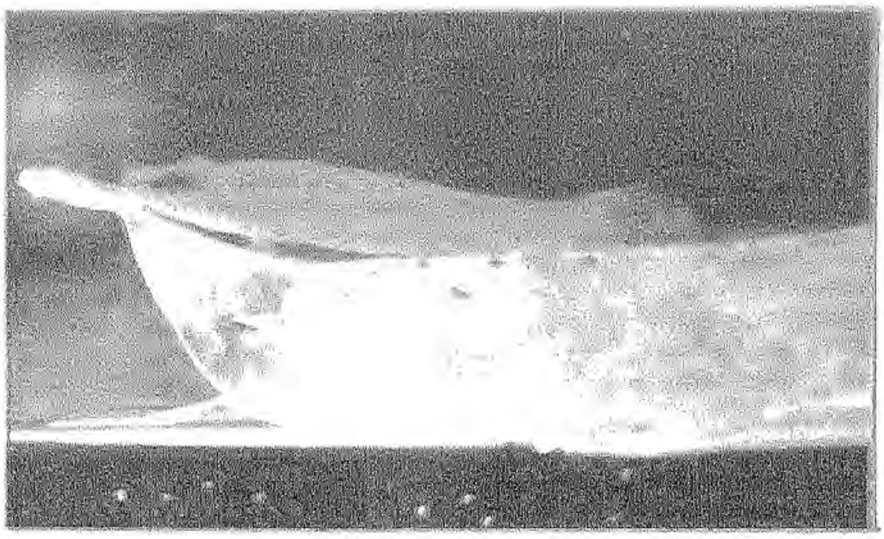
كان لا يدري.



فتنبه.



فأخذ وضع الانقضاض.



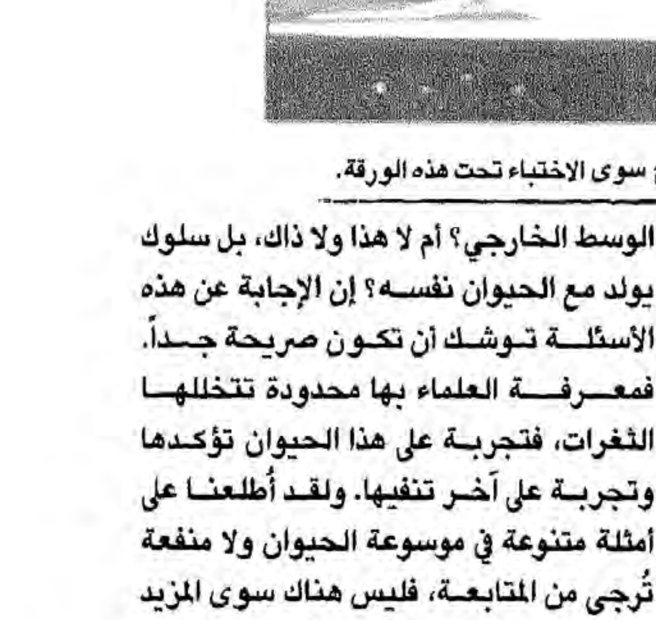
لم يكن أمام هذه السمكة الذكية من مخرج سوى الاختباء تحت هذه الورقة.

والتعليم اكتساباً. أما البرمجة الداخلية وعلى ذمة القائل فهي حصيلة (التطور النوعي التدريجي للحيوان). وقد تمَّ الحصول عليها من خلال العلاقات المديدة المتبادلة مع البيئة، التي أتاحت الفرصة على مدى أجيال من (الاصطفاء الطبيعي) لتجنب الخطأ الفادح، والاحتفاظ بالنماذج المبرمجة شديدة التفاعل.

لقد طُرحت عدة فرضيات حول مسألة السلوك والتكيف مع البيئة: هل السلوك خبرةٌ مكتسبة؟ هل هو علاقات متبادلة مع



الوسط الخارجي؟ أم لا هذا ولا ذاك، بل سلوك يولد مع الحيوان نفسه؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة توشك أن تكون صريحة جداً. فمعرفة العلماء بها محدودة تتخللها الثغرات، فتجربة على هذا الحيوان تؤكدها وتجربة على آخر تنفيها. ولقد أُطلعنا على أمثلة متنوعة في موسوعة الحيوان ولا منفعة تُرجى من المتابعة، فليس هناك سوى المزيد والمزيد من الدراسة الوصفية، فيما تظل



● أراد السرطان مغادرة وكره، لكنه لا يفعل قبل أن يُجري مسحاً شاملاً لما يدور في المحيط بواسطة هوائييه البارزين. شاهد، عاد فتراجع حين شاهد عدوه اللدود (اللقلق) (إلى الأعلى).



● تتعرف الخفافيش على المواقع بالصدى وبارسال إشارات فوق صوتية تنتشر في أبعاد ثلاثة تدرك بها العقبات والفرائس في حلكة الدجى. ويحلل جهازها العصبي صدى نبضه الذاتي في عدة آلاف جزء من الثانية، ويستدعي فصل هذا الصدى عن أصداء الخفافيش الأخرى وهي في الفضاء. المعروف أن الخفافيش تكتشف وتطارد وتأسر ضحاياها التي لا تتجاوز ٣ ملم، وتتفادى الأسلاك الدقيقة حتى لو كانت في قطر شعرة من شعر الإنسان.

القضايا الأساسية معلقة أو مجرد افتراضات ونظريات، ويظل النظر في جذور الزمن لديه القول الفصل وهذا غير ممكن في عالم الحيوان. لقد بدأ الباحثون بالقول: إن المحرك الوحيد للسلوك هي ردة الفعل ليس إلا. ثم عادوا فعدلوا عن رأيهم إلى القول بالعوامل المشتركة من هرمونات، وجهاز أعصاب، وسيكولوجية حيوانية، ماذا سيقولون غداً أو بعد غد؟ الله وحده يعلم!!.

يقولون: إن الفارق الجوهري بين الإنسان والحيوان هو المحاكمة أو القدرةُ على تقدير الأوضاع مسبقاً، والحال ليست كذلك بالنسبة للحيوان. إذا كان نفي المحاكمة سيؤدي بنا إلى إسقاط هذه المخلوقات من دائرة الإعجاز، وإلى تصنيفها بالتالي في سلم الارتقاء، فمثل هذه الدعوى مردودةٌ، لا لزعم بأن الحيوان صنوٌ للإنسان في عقله وبصيرته، بل لأنه حكيم، لكن حكمته في دائرته، في أمته التي ينتمي إليها وإليك الدليل:

● فراشة اليوكا التي تجلب غبار الطلع بكميات تفوق حاجة يرقاتها المقبلة بعد فقس البيوض في ساق النبات المسمى باسمها والذي حفرت فيه أخدوداً، لولاه، هذا الزاد الذي تؤمنه الفراشة، لأتتْ اليرقات الجائعة على لب الساق، ولأهلكتْ النبتة المأوى، ولأساءت لأدب الضيافة، وحق الجوار، والأمن المتبادل. وفي هذا لعمري معانٍ كبيرةٌ، وسلوكٌ هادفٌ، وتوازنٌ مدروس.

● وأسماك الأنكليس التي تهاجر من سواحل المحيط الأطلسي الأوروبية والأمريكية إلى فلوريدا، لتضع بيوضها هناك على عمق ٣٦٠ متراً، لا تلبث أن تعود من حيث أتت أمهاتها، كلٌ إلى الجهة التي تنتمي إليها، مخترقةً مئات الكيلومترات من المياه العذبة والبحيرات داخل اليابسة. وما أن تبلغَ مياه الشاطىء السطحية، حتى تبديَ سلوكاً مختلفاً يسترعي النظر. فحين يجذب الجزر الماء باتجاه العمق، تستقر اليرقات في القاع أو تختبىء في الرمال وترابط حيث هي. وحال

حدوث العكس، تعـود فتسبح في الماء القريب من السطح حيث يحملها التيار إلى الشاطىء، فإذا تبدلت الأحـوال، عادت فغـاصت في القاع من جديد.

تـرى أي جهاز إرسـال واستقبال، جهـاز توجيـه هذا الذي يعمل في جسم يـرقة فقست للتو طـولها لا يزيـد على بضع ميللمترات، أي تجهيـز هـذا الـذي يجعلهـا تصمـد في وجـه محيط؟.

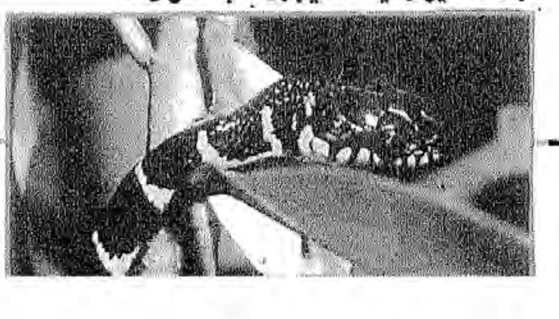
وإذا كـانت التجربـة والاكتساب ومـا إلى آخر هذه القائمة من مسميات، يقتضي ملايين السنين من التطور الدؤوب البطيء، والأرض، يـابسـةٌ ومـاءٌ، كما يقول الجيـولـوجيـون، خضعت لحقب وتقلبـات، فكيف استطـاع النوع أن يستوعب الدرس، وأن يتناقله في ظل تلك المتغيرات جيلاً بعد جيل؟!.

● ومـا دمنا بصـدد الحديث عن الأسماك، فهل سمعت بالسمـك (المرقش)؟ كيف يسهر على عقبـه فيـدخلُ سـلالته المدرسـة خـوفـاً عليها؟ هذا النوع من الأسماك يسبح بطريقة ملتوية، يمنـةً ويسرةً، وتقتفي صغاره أثره. وحين يطفو أحد الأبوين، إيـذاناً بانتهاء فترة حراستـه و إحلال شريكـه لأخذ دوره، يفسح الطـريق أمـام الحـارس الجديـد البـديل أولاً،



بحيث لا تـدب الفوضـى ويتفرق الأبنـاء، أو يتبعو ن الطـرف الذي انتهت فترة منـاوبته. والذي يحدث هنـا، هو أن الشـريك الساهـر على الأمن، والـذي أزفت سـاعـة حـراسـتـه، يُـهـرع سـابحـاً في اتجاه السـرب، ويقوم بنفس الحركة الملتوية السريعة بدون إبطاء. وفي اللحظـة نفسها التي ينسحـب فيها هـذا باتجاه الحلبة، محدثاً تشـويشاً يعكر صفو الماء، يغـادر الآخـر (المدرسـة) ولكنْ في خط مستقيم كي لا يفسد اللعبة الأمنية، ويعرض

● دودة القز تعطر جناحيهـا بعصارة تجذب إليهـا الذكر بعد خروجهـا من الشـرنقة مباشرة. إن توشيح الجناحين بالأهداب الناعمة المزركشة، يمكّن الحشـرة من المغـادرة ويمنع تسلـل العـدو إلى الشـرنقة. وفي إحـدى الليـالي المقمـرة، بـرزت الفـراشـة وهي تحمل بويضتها المؤهلة للتلاقح. وشوهـد الذكر يقتفي أثرها وقـد شـمّ شـذى هرمـون فيرمون الـذي تعطرت بـه الأنثى. أخيراً وضعت بيضتها الملقحة بالقرب من رأس هذه الأفعى المرقطة كإجراء وقائي ضد العصافير التي ستفكـر مرتين قبل أن تقترب من هـذا الحـارس اليقظ. أجل فالحيوان أيضاً لا يجهل لعبة القوى..!.

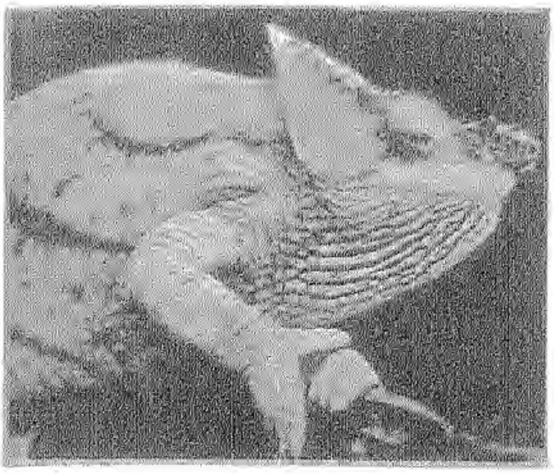


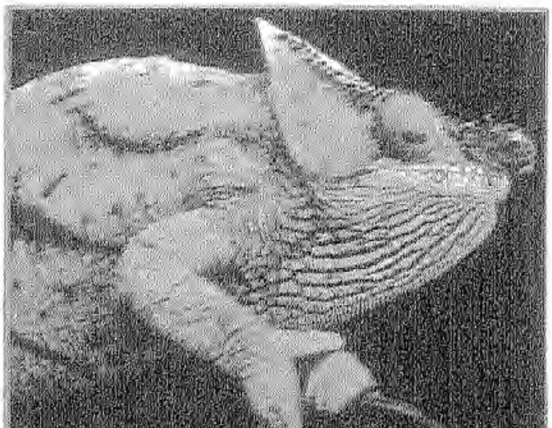


● كي لا تقع في خطأ الحساب نملةٌ تسدُّ بيتها بالريش في بلقع من الأرض لا ماءٌ ولا شجر. لقد اكتشف المصور بعد لأي بأن اختيارها إنما وقع على الريش لأنه أحفظ لقطرات الندى، وهكذا تشرب منه آناء الليل وفي هاجرة النهار.



● حمام شمسي أو فيتامين (د). الأطفال في حاجة لهذا النوع من الفيتامينات لبناء العظام. والضفدع.. السمك تعرف ذلك، لذا حملت ولدها على كتفها.

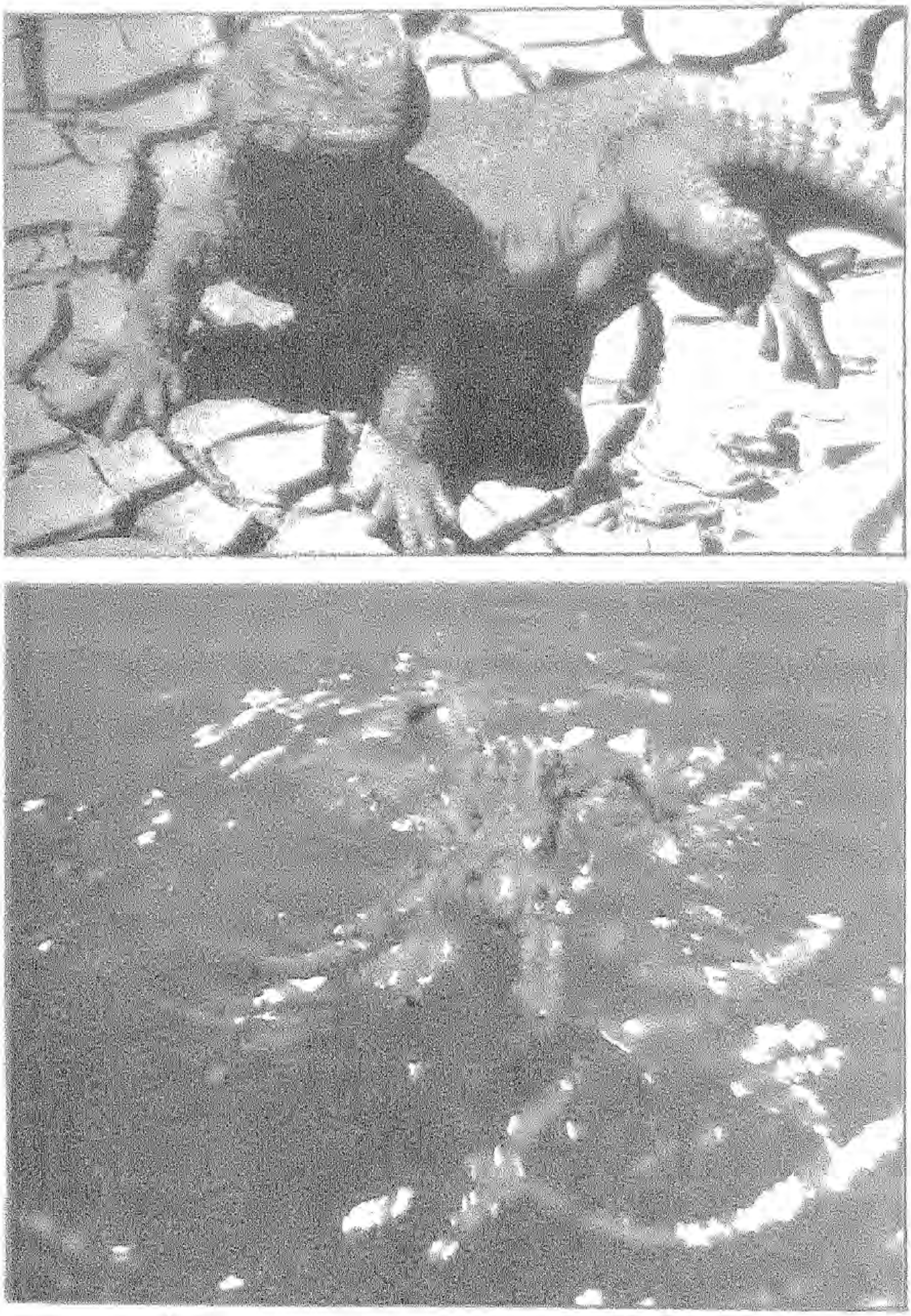




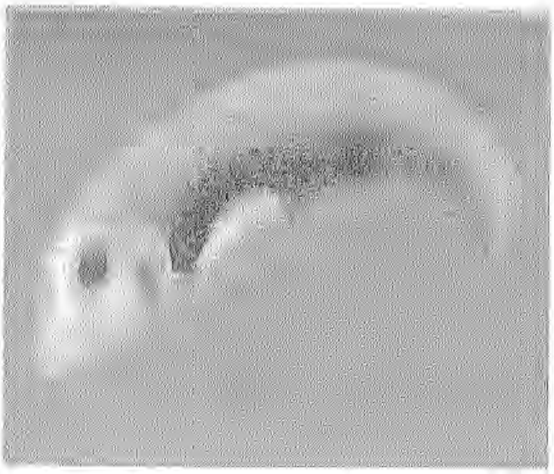
● التمويه فنٌّ اقتبسه الإنسان من الطبيعة. تبدل الحرباءُ إهابها تبعاً للون المكان الذي توجد فيه كي تتفادى الوقوع في قبضة الخصم. ولعل الشيء الذي يدعو إلى الدهشة حقاً ليس التغيير نفسه، بل الآلية التي يتم بها تقدير اللون والإيعاز به.

الصغار لخطر العدوان في الماء الساكن الرائق.

● ومعظم القواقع المائية تربي أبناءها وتدربهم على الحياة الجديدة في البحر تحت إشراف حماةٍ مهرة. ووقت يحين موعد دفع اليرقات إلى الماء، لا تأمن عليها من الافتراس فلابد من حماية. تطلق الصدفة جسماً مموهاً يشبه السمكة ولكنْ بعين واحدة. من أين تأتي وكيف تحتفظ به لا نعرف. يتحرك هذا الحيوان الذي يشبه السمكة حركة شبيهة بها، فتغري كبار الأسماك،



● ومن مبادىء التمويه أيضاً الصيد في الماء العكر. ولعل الإنسان تعلم هذا الفن (الصيد في الماء العكر) من الحيوان، فهذا العنكبوت ترك الماء الرائق إلى الماء الكدر كي ينصب فيه فخه لأفراخ الطيور.



السمكة الراقصة

● حين يتعلق الأمر بالتزاوج، فقد يضل ذكر سمك المشط الاستوائي الهدف، وتحت مرمى النظر من ثلاث إلى ست آنسات معاً يغرينه بعدما أنتجن بيوضاً جاهزة للتلقيح. وثمة علامة فارقة يهتدي بها الذكر دائماً لتقديم نفسه إلى الشريكة المناسبة في الوقت المناسب. فمن خلال نافذة في البطن يتأكد الذكر من الأنثى الجاهزة للتخصيب بالرؤية المباشرة للبيوض في نافذة العرض الشفافة. وكلما ملأت البيوض الناضجة فتحة البطن، كلما ازدادت الفتحة اتساعاً، وازداد لون البيوض حمرةً. وتمكن العلماء من التعرف على سر حركات البطن التي تقوم بها السمكة الأنثى، فاكتشفوا أنها لتمكين الذكر من رؤية البيوض مرة في كل ست ثوان. ولعل الأكثر إعجازاً، كما يؤكد علماء الطبيعة أن إناث السمك المجهزات يتنافسن على دعوة الذكر لأنهن (يعرفن) بان مخزون مادة اللقاح لدى الذكر قد لا يكفي لسد حاجة كل الزوجات فسبحان الله..!.

حتى إذا اقتربت إحداها منه وبالتالي من فوهة المحار، اغتنمتْ تلك الفرصة، ونفثت يرقاتها في وجهه، وتولى الشهيق سحبها فعلقت في خيشومها، اتخذتْ منه ملاذاً آمناً حتى تشب وتعتمد على نفسها. تُرى بأي شيء نعقب على عالم كان لا يزيد في نظر البعض على حفنة هزيلة من الحشرات التي تتقزز منها النفس وتقشعر الجلود؟!.

بأي شيء وقد رأينا الآن أننا بصدد عالم هو الإعجاز بعينه، عالم ينضح بالعطر والسحر، بالإغراء والجاذبية، بالفطنة



السمكة الرشاشة

● تصطاد ضحاياها من خارج الماء بإطلاق وابل من فمها فتسقط الضحية بوزن الماء. لكن الشيء الذي فاق كل معايير علم السلوك هو السؤال المحير: كيف تغلبت السمكة على مشكلة انكسار الأجسام في الماء؟. ترى هل درست الأسماك الفيزياء أيضاً!.

والحكمة والحنكة والذكاء، وبكثير من المعاني الخيرة التي تضيق بها أخلاق الإنسان؟!.

بأي شيء غير الحيرة والدهشة من وثنية العلم في هذا القرن؟!.

لقد عبد الإنسان القديم الحجر والشجر، وقدّس الشمس والقمر، فلمَّا صار عقلُه أكبر وعلمُه أغزر، عبس وبسر. عبد الدهر والطاقة، وألَّه الطبيعة والمحيط. وبرغم أنني لا أجحد البيئة حقها وطفرة الجينات دورها، كما لا أعترض على بافلوف ونظريته العملاقة في السلوك، لكنني لا أصدق ولا أراني سأصدق بأن يوماً قريباً أو بعيداً سيأتي حاملاً معه نُذُر انحراف النوع عن مساره، فينمي إلينا بأن حورية البحر اعترضت مركباً في عرض الماء أو أن إنسياً أنجبت منه جنية تعيش في العالم الآخر.

حوار

شعر: محمد عبد الله القولي

الأب :

أَنـا قد رأيتُـكَ يـا حَبيبي في ضَيـاعْ   أنـا قـد رأيتُـك يـا فُـؤادي في صِراعْ
بين الشبـابِ الحائريـنَ الضـائعينْ   بينَ البحـورِ الهائجـاتِ بِـلا شِراعْ
بينَ الشبـابِ الظـامئينَ إلى النَجـاةِ   بينَ الشبـابِ الطـامحينَ إلى ارتيـاحْ
بين الحَيـارىٰ المُبْهَريـن مِنَ الحيـاةْ   الـلاهثينَ وراءَ أَوهـامِ النَجـاحْ

الإبـن :

قد قُلتَ حَقاً يا أَبي كيفَ الخَلاصْ؟!   أنا قد تَعِبْتُ مِـنَ الضَياعِ ولا مَنَاصْ
إنَّ اللُهـاثَ أَضَرَّ بي خلـفَ السَرابْ   في عالَمِ الصَرْعـاتِ واللَهْوِ العُجـابْ
في كُـلِ يَـومٍ صَرعـةٌ تصطـادُنَـا   فَتَجـرُّنـا مِثـلَ الأَسيرِ إلى العَـذابْ
قَـد زَيَّفُـوا الأشياء في هـذا الـزمـانْ   بـاللهِ قُلْ كيـفَ الخَلاصُ إلى الأَمـانْ

الأب :

ارفَـعْ يَـديـكَ إلى المُجِيـبِ وقُـل لـهُ   أنـا عَبدُكَ الحَيرانُ يَلتَمِسُ النَجـاةْ
قَـد تُبـتُ يـا ربَّـاهُ هَـذي أدمعـي   تهفُـو إليـكَ فَضُمَّنِـي بَيْنَ التُقـاةْ
العـابـديـنَ الراكعينَ السـاجـديـنْ   الحامـديـنَ الصـالحينَ الطَيِّبينْ
الظـامئينَ إلى رِضـاكَ بِكُـلِ حينْ   يـا ربُّ أَحْسِنْ، أنـتَ خَيرُ المُحسِنينْ

المسؤولية الطبّية والفقه الإسلامي

بقلم د . ناول عبد الهادي

الموقف العام للفقه الاسلامي من مسؤولية الطبيب

إن مايدور الجدل حوله في الموضوع هو علاقة المسؤولية الطبية بالخطأ، ثم مفهوم الخطأ وإثباته، وأخيراً تكييف المسؤولية التي يتحملها الطبيب وهذا ما نعرضه تباعا.

١ . علاقة الخطأ بمسؤولية الطبيب

من المعروف أن في الفقه الإسلامي اتجاهين أساسيين حول اشتراط الخطأ لقيام الضمان (المسؤولية).

الاتجاه الأول لايرى الخطأ ركنا للمسؤولية، ويقيمها على أساس موضوعي، وهو الضرر، وبالأخص في الحالات التي يطلق عليها « الضرر بالمباشرة »[١]. وذلك باعتبار المسؤولية من خطاب الوضع أي من الأحكام التي تطبق على جميع الأفراد بصرف النظر عن تمتعهم بالإدراك والتمييز أولا، وبذلك تتحقق المسؤولية بمجرد إلحاق الضرر بالغير.

ويعتبر المذهب الحنفي في مقدمة المذاهب الآخذة بهذا الرأي، بل أنه يبالغ فيقرر المسؤولية حتى عن الأضرار الناجمة عن فعل جائز أو مأذون به، لأن « الإذن إنما وقع مشروطا بالسلامة »[٢]. وينطبق هذا المبدأ بصورة خاصة على المساس بسلامة الأشخاص[٣].

أما الاتجاه الثاني فيشترط الخطأ باعتباره ركنا لقيام الضمان (المسؤولية) وبهذا يقول فقهاء المذهب المالكي عموما، ولذلك لايسأل الصغير غير المميز[٤] كما لامسؤولية عن التصرفات غير الخاطئة[٥].

هذا هو موقف الفقه عموما من المسؤولية و علاقتها بالخطأ

فهل للفقه نفس الموقف إزاء مسؤولية الطبيب ؟ يمكن التأكيد على أن الفقه متفق على اشتراط الخطأ لمسألة الطبيب ولكن لانطلق الكلام على عواهنه، نفضل نقل كلام بعض الفقهاء كما هو من المراجع المعتمدة في المذاهب الأربعة.

٢ . في المذهب الحنفي.

جاء في الهداية مع تكملة فتح القدير « وإذا فصد الفصاد[٦] أو بزغ البزاغ[٧] ولم يتجاوز الموضع المعتاد فلا ضمان عليه » وذلك بشرط حصوله على الإذن كما في رواية أخرى «فيشترط بمجموع الروايتين عدم التجاوز والإذن لعدم وجوب الضمان حتى إذا عدم أحدهما أو كلاهما يجب الضمان»[٨] ويقول الكاساني أن السراية أي المضاعفات التي تنجم عن تنفيذ عقوبة الحد أو القصاص لامسؤولية عنها « وكذلك الفصاد والبزاغ والحجام إذا سرت جراحاتهم لاضمان عليهم بالإجماع »[٩].

٣ . في مذهب مالك: يقول ابن رشد:

لاضمان على « الطبيب بموت العليل من معالجته . . . إلا أن يعلم أنه تعدى فيضمن حينئذ، وأما الطبيب وما أشبهه إذا أخطأ في فعله وكان من أهل المعرفة فلا شيء عليه في النفس، والدية على العاقلة فيما فوق الثلث وفي ماله فيما دون الثلث »[١٠].

وفي الزرقاني عند قول خليل في باب شرب المسكر أو (تطبيب جهل أو قصر) : « كأن أراد قلع سن فقلع غيرها خطأ، أو تجاوز بغير اختياره الحد المعلوم في الطب عند أهل المعرفة، كأن زلت أو تراقت يد خائن أو سقى عليلا دواء غير مناسب للداء معتقدا بأنه يناسبه، وقد أخطأ في اعتقاده[١١] فيضمن . . . أو داوي بلا إذن معتبر فيضمن ماسرى ولو أصاب وجه العلم أو الصنعة »[١٢].

في مذهب الشافعي.

جاء في مغني المحتاج للشربيني « ومن حجم غيره أو فصده بإذن معتبر . . . وأفضى للتلف لم يضمن ما تولد منه وإلا لم يفعله أحد[١٣]، هذا إن لم يخطىء، فإن أخطأ ضمن، وتحمله العاقلة كما نص عليه الشافعي في الخاتن، قال ابن المنذر وأجمعوا على أن الطبيب إذا لم يفعل لم يضمن »[١٤].

في المذهب الحنبلي.

عند حديث ابن قيم الجوزية عن أقسام الأطباء قال « طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، ولم تجن يده، فتولد من فعله المأذون من جهة الشارع ومن جهة من يطببه تلف العضو أو النفس أو ذهاب صفة، فهذا لاضمان عليه اتفاقا، فإنها سراية مأذون فيه . . . ».

« وطبيب حاذق أذن له وأعطى الصنعة حقها، لكنه أخطأت يده وتعدت إلى عضو صحيح فأتلفه . . . فهذا يضمن لأنها جناية خطأ، ثم إن كانت الثلث فما زاد هو على عاقلته . . . ».

« الطبيب الحاذق الماهر بصناعته اجتهد فوصف للمريض دواء فأخطأ في اجتهاده فقتله، فهذا يخرج على روايتين: إحداهما أن دية المريض في بيت المال والثانية أنها على عاقلة الطبيب »[١٥].

الاستنتاج

من هذه النصوص الفقهية يمكن الخروج بالخلاصة التالية:

* الطبيب الذي لم يثبت ضده الخطأ غير مسؤول عن المضاعفات التي يتعرض لها المريض.

* إذا ارتكب الطبيب خطأ سئل مدنيا عن مضاعفاته إزاء المريض أو ذويه.

* إذا اجتهد وأخطأ، فقيل يسأل شخصيا، وقيل لايسأل هو شخصيا، وذلك مع تقرير حق المريض أو ذويه في التعويض الذي يتقاضونه من بيت المال أي الخزينة العامة[١٦].

* إن عدم مساءلة الطبيب الذي لم يرتكب خطأ، مشروط بحصوله على الإذن. بالمعالجة من المريض نفسه أو من نائبه القانوني، وهذا طبعا في الحالات العادية، أما في حالات تعذر الحصول على الإذن مع ماتفرضه حالة المريض من وجوب التدخل، فالإذن لايكون مطلوبا وبالتالي لامسؤولية على الطبيب المعالج، إلا أن يرتكب خطأ في العلاج يؤاخذ عليه.

* إن الطبيب الذي لم يرتكب خطأ لايسأل ولو تعهد بضمان تحقيق العلاج لنتائجه المرجوة، وذلك لما في وسائل العلاج من مخاطرة تمنع الاتفاق مسبقا على ضمان نتائجها الإيجابية، كما أن الطبيب يعتبر أمينا في أدائه لمهمته و« شرط الضمان . . . على الأمين باطل »[١٧].

* يضيف بعض الفقهاء إلى شروط إعفاء الطبيب من المسؤولية إذا لم يرتكب خطأ ألا يكون ممنوعا قانونيا من مزاولة المهنة[١٨].

وإذا كانت مسؤولية الطبيب لا تتحقق إلا إذا ارتكب خطأ، فما هو مفهوم هذا الخطأ و ومن يكلف بإثباته ؟.

مفهوم الخطأ في مسؤولية الطبيب وإثباته

يقول المرحوم عبد القادر عودة في تلخيص موقف الفقه الإسلامي من مسؤولية الطبيب : « إذا أخطأ الطبيب في عمله فإنه لايسأل عن خطئه إلا إذا كان خطأ فاحشا، والخطأ الفاحش هو مالا تقره أصول فن الطب، ولايقره أهل العلم بفن الطب »[١٩].

ويبدو هذا الاستنتاج محل نظر، فالنصوص التي نقلناها سابقا تستعمل كلمة « خطأ » مجردة عن أي وصف، كما تستعمل أحيانا لفظ « التعدي » أو « التجاوز » وكل هذه الألفاظ الثلاثة، يصعب أن يستخلص منها شرط كون الخطأ فاحشا أو جسيما.

بل إن ابن القيم نقل تضمين الطبيب الذي أخطأ في الاجتهاد، كما اعتبر الزرقاني خطأ موجبا للمسؤولية « إذا زلت أو ترامت يد خائن، أو سقى (الطبيب) عليلا دواء غير مناسب للداء معتقدا أنه يناسبه وقد أخطأ في اعتقاده ».

في هذه الامثلة يتعذر اعتبار الخطأ فاحشا أو جسيما. وعلى كل فإننا بصدد الموقف العام للفقه الإسلامي، وهو الذي نقول عنه أنه يكتفي لمساءلة الطبيب الخطأ بمفهومه العادي في المسؤولية التقصيرية، وهذا لاينافي وجود آراء لاتكتفي بالخطأ العادي وتشترط أن يكون جسيما أو فاحشا، وسنشير إلى بعضها في الفقرة الثانية من هذا العرض.

هذا، ومن الجدير بالملاحظة، أن القضاء لم يخلف لنا ضوء الاجتهاد الفقهي أحكاما توضح التفسير القضائي لمفهوم الخطأ في مجال المسؤولية الطبية، وهذا راجع الى عدة أسباب من أهمها :

* صعوبة إثبات الخطأ الطبي بالنظر إلى المعارف التي كانت متوفرة إذ ذاك، الأمر الذي يتعذر معه إثارة مناقشة جدية يتصدى القاضي للفصل فيها.

* ميل الناس إلى عدم إثارة الدعاوي بالمسؤولية الطبية، إذ الاعتقاد السائد أن مايحدث للمريض من مضاعفات يعزى إلى القضاء والقدر، وهو واقع مانزال نعيشه على الأقل بالنسبة لأغلبية الحالات.

* الاعتقاد بأن الطبيب لايخطىء، ونأخذ ذلك من تسميته « حكيما »[٢٠] والحكيم ليس هو العالم أو العارف فقط، وإنما هو المتقن لمجال تخصصه، المحيط بجزئياته ودقائقه.

إثبات الخطأ

إن الخطأ الذي تتوقف عليه مساءلة الطبيب،

لايفترض وإنما يتعين إثباته، والذي يتحمل عبء إثباته هو المدعي طالب التعويض ويتأكد ذلك من النصوص الفقهية التي أوردناها سابقا، تتفق على تقرير أن القاعدة العامة هي عدم مسؤولية الطبيب عن المضاعفات التي قد تتطور إليها صحة المريض، ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا إذا ثبت خطأ ضد الطبيب المعالج وهو ما يعني بوضوح أن على المدعى إثبات الخطأ الذي يدعيه ضد الطبيب، وإلا أُلغيت دعواه.

تكييف مسؤولية الطبيب

من الموضوعات التي تثير النقاش في الفقه الحديث وفي أحكام القضاء، التكييف الذي ينبغي أن تخضع له المسؤولية الطبية، حيث اختلفت الآراء حول اعتبارها مسؤولية عقدية أم مسؤولية تقصيرية.

إن الفقه الإسلامي لم يتناول بإسهاب مناقشة التمييز بين المسؤوليتين، وهو مالم يفعله كذلك بالنسبة لمسؤولية الطبيب.

ومع ذلك يمكن أن نؤكد أنه يعتبر مسؤولية الطبيب مسؤولية تقصيرية لاتعاقدية.

ويتضح ذلك إذا لاحظنا أن التعويض الذي يستحق على الطبيب وهو « الدية » يفرض الفقه أداءه على « العاقلة » والمعروف أن العاقلة إنما تتحمل عن أفرادها « جناية الخطأ » حسب الاصطلاح الفقهي، أي المسؤولية التقصيرية بالتعبير الحديث. والنصوص التي سبق إيرادها تؤكد كلها أداء العاقلة للدية.

أما المسؤولية العقدية فلا يتحملها عن المتعاقد أحد سواء العاقلة أو غيرها ولذلك فإن مسؤولية الطبيب في الفقه الإسلامي مسؤولية تقصيرية لاعقدية(٢١).

الآراء التي تخفف من مسؤولية الطبيب

ماعرضناه سابقا يتعلق بالموقف الفقهي العام، وإلى جانبه نجد اراء أخرى تضيق من مجال مسؤولية الطبيب.

فمنها ما يشترط أن يكون خطؤه فاحشاً أو جسيما، ومن ثم لا يسأل اذا اقتصر خطؤه على مخالفة الأطباء الآخرين في اختيار طريقة العلاج.

في كتاب رد المحتار بحاشية ابن عابدين أنه « سئل محمد نجم الدين عن صبية سقطت من سطح فانفتح رأسها فقال كثير من الجراحين، إن شققتم رأسها فسوف تموت، وقال واحد منهم إن لم تشقوه اليوم فستموت، وأنا أشقها وأبرئها، فشقه فماتت بعد يوم أو يومين، هل يضمن فتأمل ملياً ثم قال لا. إذا كان الشق بإذن، وكان الشق معتاداً ولم يكن فاحشاً خارج الرسم»(٢٢).

فهذه الفتوى قررت عدم مساءلة الطبيب الجراح رغم مخالفته ما أجمع عليه الجراحون الآخرون، مادام أنه في العملية التي أجراها على الصبية لم يخرج خروجا فاحشا عن الرسم والطريقة المقررة لدى الجراحين.

ومن الآراء التي تخفف من مسؤولية الطبيب كذلك، ما يسمح فيه للطبيب باستعمال الاجتهاد وعدم مساءلته وإن أخطأ في اجتهاده.

ففي النص الذي نقلناه عن ابن القيم ورد أن الطبيب إذا « اجتهد فوصف للمريض دواء فأخطأ في اجتهاده فقتله، فهذا يخرج على روايتين: إحداهما أن دية المريض في بيت المال ».

فهذا الرأي يسمح للطبيب بالاجتهاد الشخصي في اختصار وسيلة العلاج، ثم رغم خطئه في الاجتهاد لا يكون مسؤولا، وإنما تتحمل الخزينة العامة التعويض المستحق للضحية، وكأنه ينظر إلى مهنة الطب على أساس أنها تقوم بمصلحة عامة، فما ينشأ عن ممارستها من أخطاء مهنية يتحمل المجتمع التعويض عنها، وهذا رأي جدير بالمناقشة في مجال البحث الطبي

بالخصوص، سيما بالنسبة للمضاعفات التي تظهر على المعالجين بعد عدة سنوات من الترخيص باستعمال الدواء المكتشف أو طريقة العلاج الجديدة، ففي هذه الحالة لا يكون الطبيب مسؤولا مادام استعماله للدواء أو طريقة العلاج تم بعد الترخيص به، ولكن في ذات الوقت لاينبغي أن يبقى المتضرر بدون تعويض والحال أنه ضحية اجتهاد طبي ظهر خطؤه فيما بعد والمجتمع هو الذي يتحمل أداء التعويض باعتباره المستفيد في النهاية من تقدم البحوث الطبية.

وأخيرا يمكن أن نضيف رأيا ثالثا يخفف من مسؤولية الطبيب حيث يرى عدم مساءلته وإن لم يحصل على الإذن بتقديم العلاج.

يقول ابن القيم «طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، فقطع سلعة[٢٣] من رجل أو صبي أو مجنون بغير إذنه أو إذن وليه، أو ختن صبياً بغير إذن وليه فقال أصحابنا يضمن . . . ويحتمل ألا يضمن مطلقا، لأنه محسن وما على المحسنين من سبيل»[٢٤].

وهذا القول قريب من سابقه، فهو يرى أن عمل الطبيب إحسان، لانه يسعى لازالة الآلام أو التخفيف منها على الأقل، وهدفه خدمة الإنسان والمحافظة على صحته وسلامته، ومن يقدم هذا الإحسان لا ينبغي أن يقابل بالجفاء والمطالبة بالتعويض، وإن أجرى العلاج بغير إذن ولم تكن هناك ضرورة حالت دون الحصول على هذا الإذن.

وهذه الآراء التي أشرنا إليها، تلتقي في مجملها مع اتجاه الفقه الحديث حيث يدعو إلى التخفيف من مسؤولية الطبيب باعتباره يهدف بنشاطه إلى خدمة أعز ما يمتلكه الإنسان وهو سلامته الصحية، ويسعى دوما إلى مساعدته على مقاومة الأمراض والتغلب عليها، ومن ثم فإن علاقته بالمريض علاقة إنسانية، تخضع لنداء الضمير، وسمو الأخلاق قبل أن تحكمها قواعد القانون وصرامتها.

الآراء التي تتوسع في تقرير مسؤولية الطبيب

تتجه بعض الآراء إلى التوسع في مجال المسؤولية الطبية، حتى ولو لم يثبت صدور خطأ من الطبيب المعالج، وهي في ذلك متأثرة بالأفكار التي ترى في الطب مجرد حرفة تجارية - في القطاع الحر بالخصوص - استغلتها الطبقة البورجوازية، وأضفت عليها صفة القداسة والسمو طبقا لمبادئها الشهيرة في الطب الحر مثل: حرية الطبيب في اختيار طريقة العلاج، وحريته في تحديد أتعابه.

والواقع أنه يصعب أن نجد لهذا الرأي أساسا في الفقه الإسلامي وإن حاول أصحابه ذلك تعسفاً. ولعل في النصوص التي أوردناها سابقاً ومن مختلف المذاهب ما يؤكد أن الفقه الإسلامي لا يرى مساءلة الطبيب الذي لم يثبت خطأ ضده.

نعم يمكن أن نقول إن بعض الفقهاء يرون مساءلة الطبيب عن المضاعفات الناجمة عن تدخله ولو لم يرتكب أي خطأ وذلك في حالات خاصة، وخارج حالات العلاج الضرورية العادية.

فقد سبقت الإشارة إلى رأي أبي حنيفة من أن المساس بجسم الإنسان تترتب المسؤولية على مضاعفاته مادام هذا المساس جائزا فقط ومأذونا به وليس واجبا، وبناء على مبدئه الذي يقول فيه «الإذن في الفعل إنما وقع مشروطا بالسلامة».

وتدخل الطبيب للعلاج يعتبر كقاعدة عامة واجبا لدى أبي حنيفة، ومن ثم يرى كغيره من الفقهاء أن الطبيب غير مسؤول عن مضاعفات تدخله إلا في حالة ثبوت الخطأ ضده.

تبقى إذن الحالات غير العلاجية حيث يكون الطبيب مسؤولا فيها عن المضاعفات ولو لم يثبت أي خطأ ضده.

ولعل أبرز هذه الحالات الطب التجميلي الذي لا تقتضيه ضرورة علاجية، وإنما يهدف فقط إلى إصلاح عيوب خلقية لا يمس وجودها بالسلامة الصحية لمن توجد فيه[٢٥].

من هذه الناحية نجد رأي أبي حنيفة يلتقي مع رأي آخر يناصره الفقه والقضاء في وقتنا الحاضر، وهو مساءلة طبيب التجميل عن كل المضاعفات السلبية الناتجة عن تدخله ولو لم يرتكب أي خطأ، لأن التزامه إزاء الزبون هو التزام بغاية Obliga-tion de re'sultat أي بإزالة العيب الخلقي الذي كان سببا لتدخله.

هذا باختصار شديد ما يمكن أن نقوله عن موقف الفقه الإسلامي من المسؤولية المدنية للطبيب ولم نتعرض للمسؤولية الجنائية على اعتبار أنها كانت قاصرة على حالتين إثنتين:

* حالة ممارسة العلاج من شخص جاهل بعلم الطب.

* وحالة وجود نية سيئة لدى الطبيب حيث لا يتدخل بقصد العلاج وإنما بقصد إلحاق الأذى بالمريض.

ولا شك أن كلتا الحالتين لا تعنينا الآن لأن المسؤولية التي نناقشها هي مسؤولية « الطبيب » الذي يتدخل « بقصد العلاج ».

خاتمة

ما عرضناه كان اجتهادا فقهيا في ظروف اجتماعية ومعرفية تختلف اختلافا كبيرا عن الواقع الذي نعيشه، ولذلك يتعين تطوير البحث في موضوع المسؤولية الطبية على ضوء الواقع المعيشي والظروف المستجدة في الحياة الاجتماعية بمختلف مرافقها وملابساتها.

وإذا كان عرضي قاصرا على بيان موقف الفقه الإسلامي فإنني مع ذلك أود أن أسجل بعض الملاحظات التي أعتقدها ضرورية للدراسة الجدية للمسؤولية الطبية وتطبيقها. هذه الملاحظات هي.

١ - ضرورة البدء بإعادة التنظيم القانوني والمهني لمهنة الطب. ويكفي أن نسجل في هذا المجال:

ا) عدم وجود هيئة طبية وطنية يرجع إليها أمر التقرير في استعمال الأدوية المكتشفة وطرق العلاج الجديدة، مع تحديد الشروط الواجب توفرها لممارسة هذه الطرق، فقد يسمح مثلا باستعمال طريقة علاج في مستشفيات جامعية تتوفر على الإمكانيات العلمية والتقنية، دون المراكز الطبية والمصحات التي لا تتوفر لديها تلك الامكانيات وبناء على ذلك يصعب الحديث عن المسؤولية الطبية أمام غياب هذه الهيئة حيث نجد المؤسسات الطبية العمومية منها والحرة لا تخضع لرقيب في استعمالها لطرق علاج جراحية وغير جراحية رغم عدم توفر إمكانيات هذا الاستعمال، ولعل الأطباء أنفسهم يعلمون أكثر من غيرهم كم يذهب من الضحايا لهذا الواقع المأساوي.

كما أن كثيراً من المؤسسات الطبية - وضمنها مستشفيات جامعية - تعالج مرضاها بأدوية يستوردها المريض نفسه بصورة « غير قانونية ».

وإذا كنا نتحدث عن مساءلة الطبيب باسم القانون، فإن قواعد القانون لا تقبل التجزئة، يجب إذن وضع قواعد قانونية واقعية لننتقل بعد ذلك لمناقشة تطبيقها . . .

ب) غياب نظام قانوني وإداري يسمح للطبيب بل ويفرض عليه تجديد التكوين ومتابعة تطور الأبحاث والعلوم الطبية، حتى الأساتذة الباحثون في كليات الطب لايخولهم القانون هذه الامكانية.

والنتيجة العملية هي الاكتفاء أحيانا بالقراءة النظرية عن طريقة العلاج الجديدة، لتطبيقها على المرضى، سعيا إلى إتقانها مستقبلا ولو على حساب النزلاء الأوائل . . .

٢ - إن الطبيب - وبالأخص في القطاع الحر - يتعين ألا يبقى، متشبثا بتلك المبادىء والتصورات التي حاول الطب البورجوازي في القرنين الماضيين أن يغلف بها ممارسة مهنة الطب وعلى العكس من ذلك ينبغي أن يعي أنه اختار مهنة من أدق المهن وأصعبها على الإطلاق. إن مجال عمله هو جسم الإنسان، والقانون يقرر أن كل أذى يلحقه شخص بجسم إنسان « بعدم تبصره، أو عدم احتياطه، أو عدم انتباهه، أو إهماله، أو عدم مراعاته النظم والقوانين »[٢٦] يشكل جريمة يعاقب عليها القانون الجنائي.

وإذا كان الطبيب إنسانا، وكل إنسان عرضه لارتكاب خطأ في المهنة التي يمارسها صباح مساء، فإنه من الجانب الآخر، لا ينبغي أن يتخذ ذلك ذريعة للسعي وراء الكسب المادي وعلى حساب مصلحة المريض وما تتطلبه حالته من العناية والحذر والاحتياط.

وإن الأطباء أنفسهم، ينبغي أن يسعوا قبل غيرهم إلى رقابة ممارسة المهنة ومقاومة كل فساد يتسرب إليها سواء عن طريق المجالس المهنية التي تمارس السلطة التأديبية، أو عن طريق مساعدة القضاء في الخبرات المطلوبة منهم عند الإدعاء على طبيب بارتكاب مخالفة أو إهمال ألحق ضرراً بالمريض[٢٧].

٣ - إذا كان العدل يفرض ألا يسأل الطبيب إلا إذا ارتكب خطأ، وأن كل من أخطأ يجب أن يتحمل نتائج تصرفه، فإننا نعتقد أن القاضي الذي ينظر في مسؤولية الطبيب، ينبغي أن يكون « طبيبا » في تقرير هذه المسؤولية.

فهنالك من ناحية الظروف المحيطة بعمل الطبيب، والامكانيات المتوفرة لديه لتقديم العلاج المطلوب منه. وهناك من ناحية ثانية الأسباب المؤدية إلى ارتكاب الخطأ فإن نفس التصرف يمكن أن تترتب عليه المسؤوية أحياناً ولا تترتب عليه أحياناً أخرى.

فالخطأ الذي يصدر من طبيب في القطاع العام نتيجة الإرهاق مثلا، أو بسبب ارتفاع عدد المرضى الذي يضغط على حصة الوقت المخصصة لكل واحد منهم يختلف عن الخطأ الناجم عن الرغبة في الحصول على الكسب أو زيادته، أو لمجرد الاستهتار بالواجب المهني أو بقصد اكتساب الخبرة في طريقة علاج، دون التوفر على التكوين الضروري لممارستها، كما يفعل ذلك بعض الأطباء في طرق علاج جديدة قرأوا عنها نظريا دون التدريب عليها في التطبيق.

الهوامش:

(١) «الضرر بالمباشرة» يقصد به الاتصال المادي بين فعل المدعى عليه وبين الضرر مثل ضرب الضحية أو جرحه أو إتلاف ماله ويقابله «الضرر بالتسبب» وهو يعني الحالات التي يتوسط فيها عامل أجنبي بين الفعل وبين الضرر، مثل الذي يحدث حفرة فيقع فيها شخص أو حيوان، والحارس الذي يبتعد عن المحل فيسرق اللصوص ما فيه. في هذه الحالة الثانية وهي «الضرر بالتسبب» لا يتحقق الضمان (المسؤولية) إلا إذا كان فعل المدعى عليه يشكل «تعدياً». أما إذا كان فعله جائزاً أو مباحاً فلا مسؤولية عليه.

(٢) زاد المعاد لابن القيم - ج ٣ ص ١٢٨.

(٣) ذلك أن المساس بجسم الإنسان وسلامته يتم بإحدى الصور الثلاث التالية:

أ - عن طريق اعتداء إجرامي، وهنا يتحمل الجاني كل المضاعفات الناجمة عن اعتدائه.

ب - عن طريق تنفيذ الواجب مثل تنفيذ حكم قضائي بحد أو قصاص أو تعزير، ومثل تدخل الطبيب بقصد العلاج. وفي هذه الحالة لا يسال منفذ الحكم والطبيب أياً كانت المضاعفات التى لحقت بالمحكوم عليه أو المريض، اللهم إلا إذا ثبت ضدهما خطأ فيسالان عن مضاعفاته.

ج - عن طريق جائز ومأذون فيه من غير أن يكون واجباً مثل إذن الشخص لحجام أن يحجم له من غير أن تتطلبه ضرورة علاجية، في هذه الحالة ينفرد أبو حنيفة عن بقية المذاهب الأخرى بالقول بمسؤولية الحجام عن المضاعفات لأن الاذن إنما وقع مشروطا

بالسلامة». انظر ابن القيم في المرجع أعلاه. ويبدو أن رأي أبي حنيفة هذا قابل للتطبيق على «طب التجميل» في الوقت الحاضر، على اعتبار أنه عمل اختياري، وليس كالطب العلاجي الضروري.

(٤) - يقول ابن جزي: «وأما الصبي الذي لا يعقل فلا شيء عليه فيما أتلفه من نفس أو مال... وقيل المال هدر، والدماء على العاقلة كالمجنون وقيل المال في ماله والدم على عاقلته إن بلغ الثلث...». القوانين الفقهية، ص ٢٤٥.

(٥) - يقول ابن جزي: «كل من فعل ما يجوز له فعله، فتولد منه تلف لم يضمن، فإن قصد أن يفعل الجائز، فاخطأ ففعل غيره، أو جاوز فيه الحد، أو قصر فيه عن الحد فتولد منه تلف يضمنه، وكل ما خرج عن هذا الأصل فهو مردود إليه».

نفس المرجع ص ٢٤٨.

(٦) الفصد هو استخراج الدم من العروق، كان يلتجا إليه كوسيلة علاجية.

(٧) - البزاغ هو الذي يقوم بشق الجلد لاستئصال بعض الأورام أو استخراج جسم غريب وما إلى ذلك من الأغراض العلاجية.

(٨) تكملة فتح القدير - ج ٧ ص ٢٠٦.

(٩) بدائع الصنائع - ج ٧ ص ٣٠٥.

(١٠) بداية المجتهد، ج ٢ - ص ٢٣٠، يقول ابن جزي في القوانين الفقهية (ص ٢٤٧) عطفاً على ما لا ضمان فيه: «ومثل ذلك الطبيب يسقي المريض أو يكويه فيموت... والحجام يختن الصبي أو يقلع الضرس فيموت صاحبه فلا ضمان على هؤلاء لأنه مما فيه التغرير، وهذا إذا لم يخطىء في فعله، فإن أخطأ فالدية على عاقلته».

(١١) يؤخذ من هذه العبارة أن الطبيب لا يؤاخذ بمجرد الغلط إلا أن يشكل غلطه خطأ بما اشتمل عليه من تقصير أو عدم احتياط.

(١٢) شرح الزرقاني على مختصر خليل - ج ٦ ص ١١٦ و١١٧، وانظر أيضاً التاج والاكليل للمواق - ج ٦ - ١٣٢١.

(١٣) هذا بيان لعلة عدم مساءلة الطبيب الذي لم يثبت خطؤه. فوسائل العلاج تتم بالتغرير والمخاطرة كما يقول ابن جزي، ولِمَ تقررت مسؤولية الطبيب عن مضاعفتها دون حاجة إلى إثبات خطأ، لأحجم الأطباء عن ممارسة مهنتهم خوفاً من عواقبها وفي ذلك ضرر كبير، من أجل هذا أعفي الطبيب من المسؤولية إلا في حال ثبوت خطئه.

(١٤) ج ٤. ص ٢٠٢. وانظر أيضاً كتاب «الأم» للشافعي ج ٦ ص ٦١.

(١٥) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ١٢٧ و١٢٨. وراجع كذلك: المغني لابن قدامة - ج ٨ - ص ٣٢٧.

(١٦) الرأي الذي يقول إن التعويض يتحمله بيت المال أي الخزينة العامة - يبدو أنه يرى أن الاجتهاد المسموح به للطبيب يقصد به تحقيق المصلحة العامة وهو تقدم الأبحاث الطبية. وهو ما يستفيد منه المجتمع ومن ثم يتعين أن يتحمل المجتمع نفسه التعويض عن الأضرار الناجمة عن هذا الاجتهاد، على أنه يجب أن يكون اجتهاد الطبيب في حدوده المعقولة، إذ من المعروف أنه لا يسمح له باستعمال جسم الإنسان وصحته مجالاً للتجارب والاختبارات الطبية.

(١٧) حاشية ابن عابدين، ج ٥، ص ٣٦٤ ويتعلق الأمر بسؤال عن الحكم فيما إذا قال جراح العملية لطفلة «إن ماتت فأنا ضامن» وكان الجواب أنه لا يضمن، وأن شرط الضمان لا يعتبر «لما تقرر أن شرطه على الأمين باطل».

(١٨) - راجع التاج والاكليل للمواق - ج ٦ ص ٣٢١.

(١٩) التشريع الجنائي الإسلامي - المجلد الأول - ص ٥٢٢. ويذهب في نفس الرأي باحثون آخرون أشار إليهم أحمد ادريوش في بحثه لرسالة الدبلوم بعنوان «مسؤولية الأطباء المدنية بالمغرب» ص ١٨٨ و١٨٩.

(٢٠) يطلق لفظ «الحكيم» في الاستعمال والكتابات العربية على صنفين من العلماء أو المتخصصين وهم الفلاسفة والأطباء وتوحي هذه التسمية «بعبقرية» الفيلسوف والطبيب وعلو شأنها بالنسبة للمتخصصين في باقي فروع المعرفة الأخرى.

فالفيلسوف يحلق بعقله للبحث عن الحقيقة عما وراء الطبيعة، ولا يقتصر على استعمال حواسه كباقي الباحثين، والطبيب يعلم أسرار مقاومة ألد وأخطر أعداء الإنسان وهو الموت، ويسعى لإبعاده عنه بقدر الإمكان وإلى تخليصه من مقدماته وهي الأمراض والآلام، فكيف يفترض في هذا «الحكيم» الجهل والتقصير ونشر الأمراض والموت؟!.

(٢١) بالرغم من أن الفقه الحديث وكذا أحكام القضاء أخذت تميل إلى اعتبار مسؤولية الطبيب تعاقدية، فإننا نرى أن التكييف السليم هو اعتبارها، ذلك أن الأمر يتعلق بالمساس بجسم الإنسان وسلامته عن طريق الخطأ، وكل مساس من هذا النوع يشكل جريمة انظر المادتين ٤٣٢ و٤٣٣ من القانون الجنائي المغربي، والمسؤولية عن الأضرار الناجمة عن جريمة ليست عقدية، فهي لا تعتبر ناشئة عن مجرد إخلال بالتزام عقدي، وإنما مصدرها خرق نص جنائي عن طريق ارتكاب جريمة ومن ثم فإنها مسؤولية تقصيرية.

(٢٢) حاشية ابن عابدين - ج، ص ٣٦٤.

(٢٣) السلعة بكسر السين «غدة بين اللحم والجلد تظهر في البدن كالجوزة، وتكون في الرأس والبدن» - المغني لابن قدامة - ج ٨ - ٣٢٧.

(٢٤) زاد المعاد - ٤ ص ١٢٨.

(٢٥) ومن ثم فإن العيب الخلقي إذا بلغ درجة أثرت على الحالة النفسية للمعني بالأمر، فإن إزالة العيب تشكل إذ ذاك وسيلة علاجية ولا تبقى مجرد تجميل، وبالتالي تخضع لأحكام الطب العلاجي.

(٢٦) المادتان ٤٣٢ و٤٣٣ من القانون الجنائي.

(٢٧) بل إن المجلس الوطني للأطباء والمجالس الجهوية، لا ينبغي أن يقتصر تدخلها على حالات تقديم شكاية ضد طبيب وإنما عليها أن تسهر وتراقب سير العمل الطبي حتى يقف المقصرون والعابثون عند حدودهم، ولو لم تكن هناك شكايات من المعنيين بالأمر.

الكتاب الذي روّع الصهيونية العالمية:

الأساطير المؤسسة للسياسة

تأليف: رجاء جارودي

عرض وتقديم: عثمان الجوهري

الناشــر: دار الغد العربي - القاهرة ١٩٩٦

□ لقد أثارت هذه الدراسة ضجة كبيرة، وأغضبت بعض أعضاء اللوبي الصهيوني في فرنسا لأن المؤلف (رجاء جارودي) اقترب من مناطق بحث فكري اعتبروها محرمة على أي مفكر حــر، حتى لا ينكشف أمرهم ويزيح الستار عن أحلامهم التي لا تعرف حدوداً تقف عندها.

وموقف (رجاء جارودي) من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل معروف عندما أصدر بياناً في عام ١٩٨٢ هو والأب ميشيل لولون بمناسبة الغزو الإسرائيلي للبنان والقيام بالمجازر، مما جعل جمعية «ليكرا» الصهيونية العالمية - التي مقرها باريس - تقود الحرب عليهما بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة بل أكثر من ذلك نجحت هذه الجمعية في تقديم (رجاء جارودي) إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودي! وهي التهمة نفسها التي يقف بسببها الآن أمام القضاء الفرنسي بمقتضى قانون «جيسو» الصادر عام ١٩٩٠ والذي يعتبر إعادة النظر في تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية.

وفي أعقاب صدور هذا الكتاب تلقى رجاء جارودي دعوة قضائية لأنه قال في كتابه. إن النصوص التوراتية و اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبرر سرقة أراض فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، وأيضاً لا يبرر الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها.

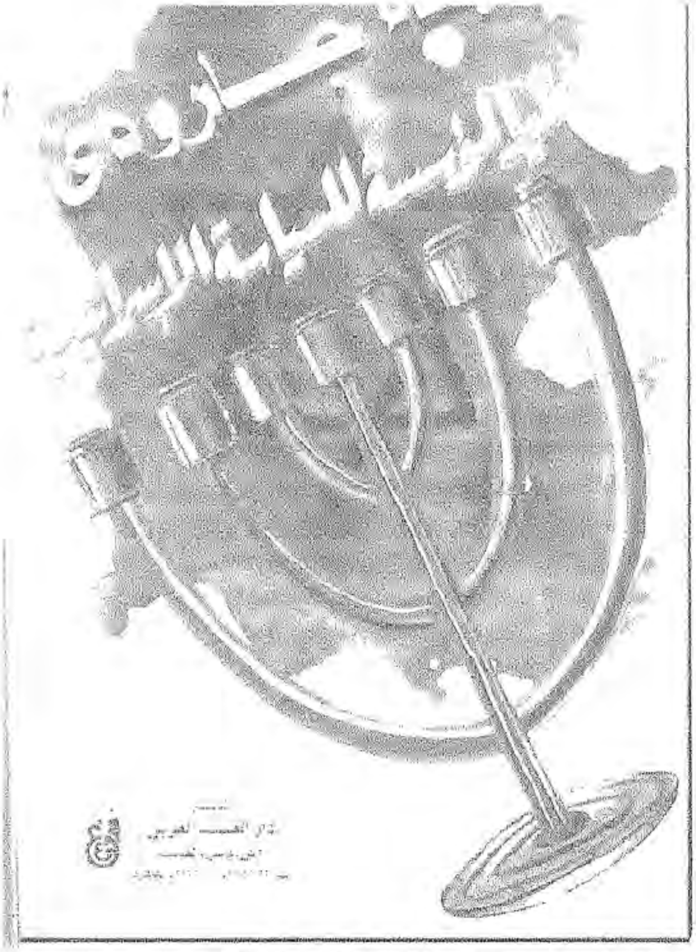
وما أثار حفيظة اليهود والصهاينة في الغرب هو كلامه عن معسكر «أوشيفتز» والتشكيك في رقم الستة ملايين يهودي من ضحايا الحرب العالمية الثانية، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة بل قدس الأقداس.

وقد نفى (رجاء جارودي) عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود وأكد أنه يقف فقط مع الحقيقة والحق.

* * *

ويقدم لنا المؤلف كتابه: «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» ليعالج لنا

الإسرائيلية



تاريخ الهرطقة ومحاولة جعل الدين أداة لخدمة السياسة واختفاء القداسة عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزل، وهذا هو المرض القاتل في نهاية هذا القرن رغم أن المؤلف قد سبق له أن عرض لهذا في كتابه عن «التطرف الديني».

ولقد عرفت الصهيونية نفسها بنفسها بأنها عقيدة سياسية منذ عام ١٨٩٦ وارتبطت بالحركة السياسية التي أسسها تيودور هرتزل .. وأيضاً إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر، ولم ينتسب مؤسس الصهيونية تيودور هرتزل نفسه إلى الدين بل إنه لا ينقاد لأي دافع ديني.

إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لي – أي (رجاء جارودي) مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية بل إنها مسألة قومية وعقيدة استعمارية ولا يتورع تيودور هرتزل نفسه عن الكشف عن أهدافه في تحقيق شركة ذات امتيازات تحت حماية إنجلترا أو تحت لواء أي قوة أخرى.

ونقرأ معاً ما كتبه بنيامين كوهين من جامعة تل أبيب في ٨ يونيو ١٩٨٢ قائلاً: عن غزو إسرائيل الدامي للبنان: اكتب وأنا أستمع إلى الراديو الذي أعلن أننا في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان، وهو ضمان السلام لأهالي الجليل!! وهذه الأكاذيب تجعلني كالمجنون، ومن الواضح أن هذه الحرب الشرشة والضارية أكثر من بربرية من كل سابقاتها ولا علاقة لها بأي شيء.. هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الحجم من الضراوة والوحشية.. هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقسوة إن أكبر نجاح للصهيونية هو عدول اليهود عن اليهودية.

إن الاستبداد بالرأي يلغي الحوار ويحول دونه فلا يمكن مثلاً التحاور مع هتلر ولا مع مناحم بيجن، لأن سموهما الجنسي وتحالفهما العنصري مع الأمة لا يترك أي مجال للآخر.

وما يغذي معاداة الصهيونية ليس نقد سياسة العدوان والإفك والدم التي تمارسها الصهيونية الإسرائيلية، بل إن التاييد غير المشروط لهذه السياسة أصبح لا يحتفظ

بأي من التقاليد العظيمة لليهودية غير التي تبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفي، وما يضعها فوق كل قانون دولي بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد أو اليوم.

* * *

ويقف المؤلف أمام بعض عناصر كتابه ليشرح لنا، ويلقي المزيد من الضوء على تلك الأساطير التي هي موضوع كتابه فجاء قوله: إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب علينا، أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية.

في يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤ قام الدكتور باروخ جولدشتين بقتل المسلمين، وهم يؤدون الصلاة في الحرم الإبراهيمي وأيضاً في ٤ نوفمبر ١٩٩٥ قام إيجال عامير باغتيال إسحاق رابين بأمر من الرب ومن جماعته المسلحة التي تنادي بإعدام كل سن يفرط في الأرض الموعودة ويسلمها إلى العرب.

وعن التفسير اليهودي للنبوءات قال المؤلف: إنه من غير المقبول من أي إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حالياً، هو تحقيق لنبوءة توراتية ومن ثم فإن كل الأفعال التي قام بها الإسرائيليون، لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب - كما يزعمون - ولا يمكن لصهيون أن ينظر لإعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل. وماذا يقول الصهيونيون في إيجال عامير قاتل إسحاق رابين فإن هذا القاتل ليس بعربيد ولا مجنون، ولكنه نتاج خالص للتربية الصهيونية المتعصبة، فهو ابن حاخام بل طالب ممتاز في الجامعة الإكليركية



بالقرب من تل أبيب. وقد تشبع بتعاليم المدارس التلمودية المتطرفة.

وإسحاق رابين نفسه الذي أعطى الأوامر بتكسير عظام أيدي أطفال الانتفاضة الفلسطينية وليس كما ادعى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون من أنه قد حارب طوال حياته من أجل السلام.. أي سلام هذا؟.. والحقيقة أن الأطفال الفلسطينيين لم يكن يملكون شيئاً سوى الحجارة للدفاع عن أراضي أجدادهم وأيضاً كان إسحاق رابين نفسه ضحية أسطورة أرض الميلاد.

* * *

أسطورة شعب الله المختار

تقول هذه الأسطورة: «لنسلك اعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» - سفر التكوين ١٥ - ١٨.

وجاء أيضاً: كذا قال الرب: «إسرائيل ابني البكر» - سفر الخروج ٤ - ٢٢.

هذه الأسطورة وما شابهها هي الإيمان بدون أي أساس تاريخي بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم. إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم ولقد تعددت أسماؤه ولكنه واحد.

ولقد ارتبط استقرار القبائل الرحل والمتجولة وخاصة في الشرق الأوسط بهيئة الأرض بواسطة إله من الآلهة، وهناك أساطير

حققت بمسيرة الإنسان طوال حياته مثل الطوفان الذي عاقب به الرب أخطاء الإنسان، وأعاد بدء خلقه فهو موجود في كل الحضارات.

ومن الأحداث التاريخية الثابتة أنه في ٩ أبريل ١٩٤٨ أباد مناحم بيجن ومعه وحدات أرجون العسكرية سكان قرية دير ياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفال بغير شفقة ولا رحمة.

ولكن ما انفكت إسرائيل تلعب دوراً حاسماً في مصير الغرب بتغطية العمليات الدموية منذ اضطهاد اليهود منذ عهد الرومان، ثم المسيحيين، ومحاكم التفتيش، والتحالفات المقدسة والهيمنة الاستعمارية التي مارستها الشعوب المختارة، وأيضاً عمليات الابتزاز التي مارستها إسرائيل بضغوطها على الولايات المتحدة، والتي صارت تلعب دوراً هاماً في سياسة أمريكا الخارجية من أجل السيطرة العالمية والعدوان العسكري عندما تقتضي الظروف العالمية. وفي ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، ورغم ذلك استطاعت أمريكا الضغط على الأمم المتحدة، وحصلت في ١٦ ديسمبر ١٩٩١ على إلغاء القرار العادل السابق إصداره في عام ١٩٧٥ ولقد أُتخذ هذا القرار الظالم بهدف قمع الشعب الفلسطيني وإبادته الجماعية البطيئة.

أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

وتحدث المؤلف عن أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية فقال: في عام ١٩٤١ اقترن اسم إسحاق شامير بجريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية، فقد دعا إلى التحالف مع هتلر ومع ألمانيا النازية ضد بريطانيا، وعندما بدأت الحرب ضد هتلر وقفت الأغلبية العظمى من المنظمات اليهودية إلى جانب الحلفاء بل إن حاييم وايزمان - مثلاً - قد اتخذ موقفاً مسانداً للحلفاء إلا أن الجماعة الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ ١٩٣٣ حتى ١٩٤١ وتواطات مع هتلر، وكتب حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية رسالة لرئيس وزراء بريطانيا يبلغه فيها: إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى، وسنحارب من أجل الديمقراطية.. لقد كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم وبتأسيس دولة جديدة، أعلنت مبدأ الجنس، وإن الاعتراف بالجنسية اليهودية يسمح لهم بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني (لاحظوا السعي الجدي لمصلحة الدولة اليهودية وبغير مراعاة لأي مبدأ أخلاقي بل نفاق وكذب).

كان من وجهة نظر ديفيد بن جوريون أن مهمة الصهيونية لا تكمن في إنقاذ بقية إسرائيل الموجودة في أوروبا ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودي وأن يتم اختيارها وفقاً لاحتياجات المشروع الصهيوني في فلسطين، وفي ٣١ أغسطس ١٩٤٩ قال بن جوريون: رغم أننا حققنا حلمنا في إنشاء دولة يهودية فإننا ما زلنا في البداية ومهمتنا القادمة هي إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل وتأسيس دولة قوية في فلسطين.

محكمة نورمبرج

وتحدث المؤلف عن أسطورة عدالة

محاكمة نورمبرج فقال: في ٣٠ يناير ١٩٤١ قال هتلر لجموع يهود أوروبا إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة وبعد ذلك بعام واحد صرح ثانية: إن الحرب ستقضي على اليهودية في أوروبا والوصية السياسية لهتلر والتي نشرتها المحكمة العسكرية الدولية تعج بمثل هذه الآراء، فهتلر يتحدث عن تدمير نفوذنا أما هيملر فإنه يتحدث مباشرة عن تدمير الأشخاص.

أما رئيس وزراء بريطانيا العظمى السير ونستون تشرشل فقال في ٤ يوليو ١٩٤٤: أود أن نفكر جدياً في مسألة الغازات الخانقة، وأود أن نبحث بهدوء نتائج هذه الغازات ولا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي بسبب مبادىء حمقاء.. ورغم ذلك لم يقف لا تشرشل ولا ترومان ولا ستالين في قفص الاتهام كمجرمي حرب، كما لم يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل كوفمان ذلك الأمريكي اليهودي الذي ألف كتاباً في عام ١٩٤٢ بعنوان «يجب إبادة ألمانيا» قال فيه: «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا».

بينما قال الكاتب إيليا أهرنبورج عام ١٩٤٤: «اقتلوا.. اقتلوا.. فلا أبرياء لدى الألمان.. لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون».

وكان النظام الأساسي لهذه المحكمة عدم التقيد بالقواعد الفنية بإقامة الأدلة والبراهين، ولا تطلب المحكمة تقديمها على الأعمال ذات الشهرة العامة وسوف تعتبرها ثابتة وكبراهين صحيحة الوثائق، وأيضا للمحكمة أن تأمر بالإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائي.

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات في صفوف القانونيين الأمريكيين وعلى أعلى مستوى، فتقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القانون ووجود انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أي قضية حقيقية مثل إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها أو تحليل الشهادات والظروف التي تم في ظلها الحصول عليها مع البحث العلمي لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه.

وعن أوامر هتلر لإبادة اليهود قال المؤلف: إنه في يناير ١٩٤٢ أبلغ رينهارد هيدريش زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضي الشرقية، وطردهم بعيداً عن الدوائر الحيوية للشعب الألماني. ونظراً لانعدام أي دلائل خطية ووثائق لا يرقى إليها الشك بأن محكمة نورمبرج قد قامت على شهادات أن الفارين الذين شهدوا على وجود غرف الغاز قالوا بذلك ليس على أساس ما شاهدوه، ولكن على أساس ما سمعوه، والشاهد الرئيسي الذي جيء به لإثبات نظرية المستنصرين المرتدين ولم تتأكد عمليات التعذيب التي تعرض لها هيس للحصول على أدلة إلا في عام ١٩٨٣، عندما كتب روبرت تايلر كتابه عن «فيالق الموت».

الهولوكوست

وعن الهولوكوست قال المؤلف: إن الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على جميع أفرادها، لقد خلفت الحرب العالمية الثانية خمسين مليوناً من الموتى منهم ١٧ مليوناً من السوفييت و٩ ملايين من الألمان إلى جانب عدة ملايين أخرى من أفريقيا والبلدان المحتلة الأخرى في

أوروبا. أما الهيمنة الهتلرية فلم تكن – كما أشاعت بعض ألوان الدعاية حكراً – على اليهود وحدهم ولتبرير الطابع المقدس للهلوكوست كان لابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

اللوبي اليهودي في العالم

وعندما تم فرض إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة وضغط الولايات المتحدة فإنها لم تقبل عضواً إلا بثلاثة شروط هي:

١) عدم المساس بوضع مدينة القدس.

٢) السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.

٣) احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى والفعالة التي ساعدت على ذلك هي إنشاء الصندوق القومي اليهودي عام ١٩٠١ الذي كان له طابعه الخاص المتمثل في أن الأرض التي تقع في حوزته، لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود لأنها أصبحت إسرائيلية.

ومن الوهم الاعتقاد في أي استقلال ذاتي حقيقي للفلسطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة وحمايتها بالجيش الإسرائيلي وتسليح المستوطنين، مما يجعل من المستحيل قيام أي سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع.

وكشف المؤلف عن حقيقة الاستخدام السياسي للأسطورة والأثر الفعال للجاليات اليهودية في معظم دول العالم وبصفة خاصة في الدول الكبرى، فنرى مثلاً اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الذي قال عنه بول فندلي: إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلي على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده.

لقد أثارت هذه الأساطير العقائد التي يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوي النيات الطيبة وأقوى لوبي في الولايات المتحدة هو «إيباك» والذي يطلقون عليه «لجنة الشئون الأمريكية الاسرائيلية» وتم قبول إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة التي قام بها اللوبي الصهيوني. ولا غرابة هنا عندما نجد هاري ترومان قد قال في عام ١٩٤٦: آسف أيها السادة ولكن عليّ أن أستجيب لمئات الناس الذين ينتظرون فوز الصهيونية وليس لدى آلاف العرب من بين الناخبين.. وبالتالي نرى أن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت اليهودي في الانتخابات وفي مقدار الإعانات المقدمة من الشركات اليهودية الكبرى.. ومنذ عام ١٩٤٨ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار وصور بول مندلي هذه الوقاحة فقال: إن أي إنسان ينتقد سياسة إسرائيل عليه أن يتوقع عمليات إنتقام موجعة، لا تنتهي بل قد تصل إلى فقدان مصدر رزقه بواسطة ضغوط اللوبي الصهيوني، وبذلك فإن الرئيس نفسه يخاف منه والكونجرس يخضع لكل مطالبه، وكما يخضع القادة العسكريون لضغوطه. والشيء نفسه تقريباً نراه في اللوبي الصهيوني في فرنسا، حيث يوجد لوبي قوي مناصر لإسرائيل يمارس نفوذه القوي وتأثيره الخطير في الدوائر الإعلامية في السينما والإذاعة والصحافة والتليفزيون، مما يساعد على تشكيل الرأي العام لصالح إسرائيل.

إن الصهيونية تلوح دائماً بشبح معاداة السامية والهرولة لنصرة إسرائيل وحبس الرأي العام في قوالب بعد أن أصبح مشبعاً بالمعلومات التي توحي بنزعة عرقية تغذي معاداة السامية.

إن قوة الكلمة اليهودية تأتي من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يلفها والدولارات التي تبطنها.. وهناك تعويضات ألمانيا التي بلغت (مليارا ونصف المليار دولار) إن المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة في المتوسط مليار دولار لإسرائيل بما فيها من شحنات أسلحة، ويكفي أن مجموع المعونة الرسمية الأمريكية التي تتلقاها إسرائيل وحدها ما يزيد على ألف دولار للفرد الواحد كبقشيش ودخل إضافي، وهو ما يزيد على إجمالي الدخل القومي ثلاث مرات في معظم البلدان الأفريقية. وصارت إسرائيل جيشا يملك دولة مع ارتهان هذه الدولة وارتباطها بالولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

نظرية تفكيك الدول العربية إلى دويلات أخرى

وعن نظرية التوسع الإسرائيلي من النيل إلى الفرات واستراتيجيتها التي لن تتراجع عنها، والشاهد على ذلك - كمثال واحد - المثال الذي نشرته مجلة «كيفونيم» (التوجهات) والتي تصدرها في القدس المنظمة الصهيونية العالمية!. وعنوانه الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في فترة الثمانينات والمقال تم نشره في فبراير ١٩٨٢ وقد جاء فيه:

إن مصر بوصفها جسداً مركزياً فإن هذا الجسد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التي تزداد بين المسلمين والمسيحيين، كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسي في التسعينات على الجبهة الغربية.

فإذا ما تفككت مصر وحرمت من السلطة المركزية، فإن بلداناً أخرى مثل السودان وليبيا وغيرها من البلدان الأبعد ستعرف نفس التفكك، ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر هو مفتاح الحل لتطور تاريخي تأخر اليوم بسبب اتفاق السلام ولكن لابد منه على المدى الطويل.

تفكيك العراق ثم سوريا

ورغم المظاهر فإن الجبهة الغربية تمثل مشاكل أقل من مشاكل الشرق ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات ما سيحدث في العالم العربي بأسره، وتفكك سوريا والعراق إلى مناطق محددة على أساس المعايير العرقية أو الدينية، ينبغي أن يكون على المدى البعيد والطويل هدفاً ذا أولوية لإسرائيل على أن تكون الخطوة الأولى هي تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين.. فالهياكل العرقية في سوريا تعرضها للتفكك الذي قد يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية على طول الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب وأخرى في دمشق، وكيان درزي قد يرغب في تشكيل دولته الخاصة به وربما فوق هضبة الجولان وشمال الأردن.. ومثل هذه الدول ستصبح على المدى الطويل ضماناً للأمن والسلام في المنطقة وهو ما في متناول يدنا بالفعل.

وهناك العراق الغني بالبترول والمرتع للمنازعات الداخلية التي هي خط التسديد الإسرائيلي، وتفكيكه سيكون بالنسبة لنا أهم

من تفكيك سوريا لأنه يشكل لنا على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل.

وعندما تصبح أهداف خطة كيفونيم بعيدة التحقيق والمجابهة محفوفة بالمخاطر فإن اللوبي الإسرائيلي كان ينجح دائماً في دفع الولايات المتحدة إلى القيام بالعملية المطلوب تحقيقها وما الحرب ضد العراق عام ١٩٩١ إلا مثل صارخ على ذلك وتأكيد عليه.

وفي ختام دراسته الخطيرة قال رجاء جارودي:

لقد استخدمت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة تقاليد شفهية ارتكزت أحياناً على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذي يسعى لتبرير أصولها وتنظيمها الاجتماعي، وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين.

* * *

إن هذا الكتاب رسالة لنا أمة العرب علينا أن نقرأها ونهتم بها لكي نتفادى ما يتربص بنا من أخطار مُطْبِقة علينا من حولنا.

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

أنا أهوى محمّداً

أنـا أهـواه بكـرةً وعشيًّـا ... فهـو في خـاطري، وفي مُقلتيًّـا

وهـو في القلـبِ نبضُـه ودمـاه ... أنـا أهـواه ملهماً، عبقـريـا

أنـا أهـواه عـائلاً، ويتيما ... أنـا أهـواه راعيـاً مـرعيـا

أنـا أهـواه صـادقاً، وأمينـا ... أنـا أهـواه مصطفـى، ونبيـا

أنـا أهـوى محمداً عُمق روحـي ... يـوم أقضي، ويـوم أُبعـث حيـا

سيـدٌ سـاد في الأنـام فقيرا ... عـالمٌ، علَّـم الـورى أُميـا

يـا رعـى الله مكـةً، وربـاهـا ... يـوم أشرقتَ في الـوجـود سنيـا

بعـد أن عاثَ في الشِعـاب طغـاةٌ ... يعشقـون الضـلال دينـاً ودُنيـا

كم لقيتَ العناءَ منهم وكـم كنت ... عفـوّاً، وبـالعنـاء رَضيّـا

يـا حبيبَ القلـوبِ، ذلـك قلبـي ... فـاض بـالحبِ طـاهـراً، ونقيـا

يـا حبيبـي، ويـا حبيبَ إلَـهي ... أنـا أهـواك، بكـرةً وعشيـا

محمد مصطفى البسيوني

اللغة العربية وعلاقتها

إعداد: رضا محمد شعبان

■ ناقشت ندوة اللغة العربية والثقافة العلمية التي شهدتها القاهرة مؤخراً عدداً من القضايا الهامة «مثل علاقة اللغة العربية بالثقافة»، إلى جانب علاقة اللغة العربية ودورها في تشكيل الوعي القومي، وعلى هامش الندوة أقيمت حلقة بحث خاصة حول قضية تعريب العلوم، إلى جانب ١٧ بحثاً ناقشتها الندوة عرضنا بعضها في الحلقة الأولى، ونستكملها في حلقة هذا العدد.

من خلال جلسة «اللغة العربية وتحديات عصر المعلومات» قدم الدكتور «حسن وجيه» ورقته (توجهات علم اللسانيات الحديث اللغويات السياسية كنموذج)، حيث ركز على التوجه التكاملي التمازجي لعبور فجوات قائمة بانفصال العلوم الاجتماعية، وكيف أن توجهات علم اللسانيات الحديث (علم اللغويات)، تؤدي إلى عبوره من هذه الفجوات، كذلك مسار تطور التنظير في علم اللغويات في العقود

الأخيرة، مع تقديم نموذج لتحليل ديناميات مطارحات القدرة في المفاوضات السياسية الدولية، مع التركيز على الأسئلة الخاصة بكيفية جمع البيانات وإجراءات تحليلها ووحدات التحليل الأساسية، والحاجة إلى مثل هذا النموذج الذي يقدم أول محاولة للربط بين مفاهيم مدرسة تحليل المطارحات بعلم اللغويات من ناحية، ومفاهيم القدرة في العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية من ناحية أخرى.

في حين حاول الدكتور «يوسف زيدان» أستاذ الفلسفة الإسلامية، الإجابة عن التساؤل الذي بدأ به بحثه (كيف استوعبت العربية الثقافة العلمية؟) حيث بدأ بتساؤل فرعي حول إمكانية اللغة العربية الإحاطة بالثقافة العلمية، وما هي شروط هذه الإحاطة؟ وللإجابة عليهما عرض الباحث لمفهوم اللغة، وانتقل إلى تجارب الأمة، حيث يرى أن الأمة العربية مرت بالعديد من التجارب المعرفية التي كان لها الأثر المباشر في تطور اللغة العربية، حيث تميزت صياغة العبارة في زمن الجاهلية بالقوة والصرامة والرسوخ، وهي سمات صورة العالم في ذهن العربي آنذاك، بينما رقت اللغة وزادت رشاقة بانعكاس طبيعة الحياة في العصر العباسي.

أما اللغة العلمية فيرى «يوسف زيدان» أن العلم العربي الإسلامي قد اتخذ طابعه المنهجي عقب حركة الترجمة والنقل، وهي الحركة التي شهد العصر الأموي بواكيرها.

بالثقافة العلمية

الحلقة الأخيرة

وفي العصر العباسي إشتد عودها وتم خلالها نقل علوم اليونان والشرق إلى العالم الإسلامي، واستبعدت أغراض، وتعمقت صورة العالم أمام الوعي العربي.

ويضيف «يوسف زيدان» أن اللغة العربية استطاعت أن تستوعب تلك الصورة الجديدة، وهو ما تمخض في النهاية عن اللغة العلمية التي لم يكن ظهورها في المحيط الثقافي العربي طفرة أو عكوفاً على ذاتها لتطوير آلياتها، و إنما حدث ذلك خلال أجيال تعاقبت، فكان جيل (حنين بن إسحاق)، يعرّب العلم بطريقته التي ظل فيها المصطلح العلمي بمنطوقه اليوناني. مع اتساع دلالته في عقول الأجيال اللاحقة من العلماء العرب المسلمين. فصار بالإمكان صياغة مصطلح علمي عربي، كان يدعى دوماً مع المصطلح اليوناني أو الهندي أو الفارسي، حتى اختفى المصطلح الأجنبي في مرحلة أخيرة، وصارت السيادة للكلمة العربية ذات الجذر الاشتقاقي الواسع، الذي يتيح صياغات لا حصر لها، وتراكيب تعبر عن أغراض أهل العربية. ولذلك فإن ما بقي من المصطلحات الأجنبية في العلم العربي الإسلامي، بعد القرن السابع الهجري ظل عدداً محدوداً من الألفاظ التي تجانست مع نسيج العربية.

و اختتم الباحث هذا الدرس التاريخي، بضرورة الحرص على جعل العلم والثقافة العلمية أحد أغراض الجماعة، و إطار (صورة العالم) عند أفرادها، مع الحرص على تعريب العلم والاستفادة من الإمكانية الواسعة للّغة العربية، وقدرتها على الاشتقاق حتى يمكن للّغة العربية أن تستوعب العلم وثقافة العصر.

وفي جلسة (**اللغة العربية والثقافة**)، تحدث الناقد «سامي خشبة»، عن اللغة من منظور ثقافي، حيث حاول تحديد جوانب ومستويات العلاقة بين اللغة والثقافة، مركزاً على ثلاثة جوانب للاتصال بينهما، أولاً: اعتبار اللغة جزءاً من الثقافة، حيث سعى لإثبات أن معظم ممارسات وسلوكيات البشر، مرتبطة باللغة ومتضمنة بطبيعتها (فيها)، فالعبارات والطقوس والشعائر والاحتفالات والأغاني والحكايات وغيرها، إلى جانب الجزء الأكبر من الإبداع الثقافي الناقل لما تملكه كل ثقافة من مضامين ومعانٍ، أو دلالات أو وظائف، تحتويها وتعبر عنها تلك الممارسات أو السلوكيات، فهي جميعاً أفعال لغوية منطوقة أو مكتوبة لا تتم دون اللغة، ولا تكتمل معانيها أو دلالاتها أو وظائفها بدون اللغة.

والمستوى الآخر من مستويات العلاقة بين اللغة والثقافة كما يحددها «سامي خشبة»، هي اللغة بوصفها تصنيفاً للثقافة، وهو ما يمكن اعتباره نتاجاً مباشراً للفرضية السابقة، أيْ نتاجاً لكون اللغة جزءاً للثقافة، فاللغات بشكل عام تتضمن وتكشف عن طريق التفكير والتجارب الأساسية المنظمة للمجتمعات البشرية، ومن البديهي القول،

بأن كل لغة توفر تصنيفاً لمجموع الحرف والمهن والإهتمامات والقيم البشرية المختلفة، وهو ما ينتج عنه بدوره الشكل الثالث من أشكال الارتباط بين اللغة والثقافة أيضاً ، وهو اعتبار اللغة رمزاً شكلانياً – منطقياً في الوقت ذاته – للثقافة التي ترتبط بها هذه اللغة.

اللغة العربية والوعي القومي

وقد تحدث الدكتور «يحيى الرخاوي»، عن «دور اللغة العربية في تشكيل الوعي القومي»، حيث أكد أن اللغة ليست إضافة لاحقة بظاهر الوجود البشري الفردي أو الجماعي، بل هي الوجود البشري في أرقى مراتب تعقده، إذ هي التركيب الغائر الذي يمثل الهيكل الأساسي الذي يصدر منه السلوك، وبالتالي فهي جزء لا يتجزأ من التركيب البيولوجي للمخ، فاللغة من هذا المنطلق، هي دائمة التشكيل والتشكل، وليس الكلام إلا بعض ظاهرها في سلوك رمزي منطوق أو مكتوب.

وحول أساسيات الاتصال باللغة العربية في الحياة العملية العلمية، قدم الدكتور «عاطف نصّار»، ورقته التي تناول فيها «الاتصال كمحاولة للانتقال من حالة فردية إلى حالة جمعية بغرض تحقيق هدف محدد»، واللغة أداته الأساسية، ويرصد الباحث هنا نمطين من اللغة: أولهما: الحرف الذي يعني لغة محدودة (عربية أو غير عربية)، والثاني: اللغة العالمية التي يشترك في فهمها كل أقوام الأرض.

ويركز الباحث على اللغة العربية التي يرى أنها في أمس الحاجة لفض الاشتباك بينها وبين الكاتبين والناطقين بها، ومن ثم يبدأ في تناول أساسياتها، في محاولة لإزالة الوهم المنتشر بأنها لغة تستحيل على الاستخدام في العلوم والفنون و إدارة الأعمال.

ويرصد الباحث ثلاث أساسيات رئيسية تميز هذه اللغة أولها: طواعيتها للاستخدام، واستجابتها لتقديم المصطلح، ومرونتها العالية في الإشتقاق والنحت و استعمال الدالة أو القرينة، أما الأساسية الثانية: هي سهولة تكوين الجملة المعبرة عن الحقيقة العلمية أو التعبير الوصفي والقصصي وأخيراً: الضبط السهل للكلمات.

تطور عملية التفكير العربي بترجمة وتعريب العلوم

تعريب العلوم في حلقة بحث خاصة

وعلى هامش ندوة اللغة العربية والثقافة العلمية – التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة – أقيمت حلقة بحث خاصة لمناقشة قضية تعريب العلوم، أدارها الأستاذ الدكتور «أسامة الخولي»، وشارك في مناقشاتها الأستاذ الدكتور «عبد العظيم أنيس»،

الاستفادة من الإمكانات الواسعة للغة العربيّة ضرورة عصريّة

والدكتور «سمير صادق»، والدكتور «حامد عمار»، والدكتور أحمد شوقي، والدكتور محمد علي الكردي.

بدأت الحلقة ببحث للدكتور «عبد العظيم أنيس»، أكد خلاله أنه لم توجد نهضة حقيقية حدثت في أي حضارة من الحضارات، دون الاعتماد على نقل العلوم للغة هذه الحضارة، وهو ما حدث مع الحضارة العربية الإسلامية، التي اعتمدت على ترجمة العلوم والآداب الفارسية واليونانية والهندية، وبرزت أسماء المترجمين مثل (الفيزاري)، الذي ترجم كتب الفلك، و(حنين ابن إسحاق) و(إسحاق بن حنين) وغيرهم، وهو النشاط الذي وصل للذروة مع إنشاء بيت الحكمة - في عصر (المأمون) - ليتفرغ فيه العلماء لهذا العمل، كما كانت الترجمة عن العربية هي العماد الذي قامت عليه الحضارة الأوروبية فيما بعد، وما يزال الكثير من الكتب العربية، هي الأصل الحقيقي لهذه النهضة التي قامت على الترجمة إلى اللاتينية.

وانتقل الدكتور «أنيس» إلى الجهود المختلفة في تعريب العلوم، مؤكداً أن الجهود لا زالت متواضعة، ولا زالت قضية تعريب العلوم - بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على إثارتها، في كلية مثل كلية «العلوم» - متواضعة وتجد من يعارضها، على الرغم من المعرفة - بالتجربة - أنه لا يوجد أساس لنهضة علمية إلا بلغتنا القومية، وهي ثمرة دراسات تجارب الأمم المتحدة، التي أكدت أن التكنولوجيا تتعمق فقط باللغة القومية.

وتقدم الدكتور «أنيس» باقتراح بإنشاء مؤسسة لترجمة العلوم في مصر، تتوفر على الكتب العلمية وترجمها للّغة العربية، مستعينة بأساتذة يجيدون اللغتين، المنقول عنها والمنقول لها.

وحذر الباحث من ظهور دعوات تحويل بعض الكليات التي تقدم العلوم بالعربية، إلى الدراسة بلغات أخرى، مثل الفرنسية والإنجليزية والألمانية وغيرها.

فيما اعتبر الدكتور «حامد عمار»، بعض المحاولات الحالية لإدخال التدريس بالأجنبية لرياض الأطفال، جريمة تعوق نمو اللغة مع الفكر، خاصة أن الطفل المصري، يعاني من أن مفرداته العامية لم تنمُ بعد، وهو ما يؤثر على شبكة تلقي الطفل للّغة الأم والأجنبية معاً.

وأشار الدكتور «حامد عمار»، إلى بعض التجارب في هذا الصدد، والتي أكدت أن الأطفال الدارسين للّغات أخرى في هذه السن، لا تتمكن لديهم أي من اللغتين الأم أو الجديدة، خاصة أن مستوى تعليم اللّغات الأجنبية في مصر متواضع بشكل كبير.

ويضيف «حامد عمار»، أن هذا مرتبط بالسياق الاجتماعي الذي يطرح تحديات لا يستطيع المجتمع في الوقت الراهن التفاعل

معها، ومن ثم يلجأ للاتباع، فيأتي هذا الاتباع للماضي في صورة الدعوات السلفية، أو اتباع الأنماط الغربية، تحت وطأة تصور أن المنقذ من الضلال والتخلف، هو اتباع النماذج والنظريات المؤسسية الغربية.

هذا فضلاً عن سياسات المراكز الثقافية الأجنبية، والسفارات التي يهمها تشجيع انتشار لغاتها القومية.

اللغة العربية ودورها في تشكيل الوعي القومي

فالواقع يؤكد أننا لا ندرس مشكلاتنا ولا نعنى بتحديدها، بل نقصد مباشرة للنقل دون دراسة مستفيضة، واستعداد لهذا النقل وتطويعه لظروفنا المجتمعية، وهو الأمر الذي ينتج عنه واقع مشوه مثل الحادث حالياً.

واختتم الدكتور «عمار» حديثه، بضرورة تشجيع الترجمة وتعريب العلوم، وتضييق نطاق الاعتماد على اللغات الأجنبية في الدراسات العلمية المختلفة، ومعاملة الترجمة كجزء من الإنتاج العلمي، وليس شيئاً منفصلاً عنه. وتعتبر المترجمات أبحاثاً علمية وجزءاً أصيلاً من النتاج العلمي، نمنح على أساسه الدرجات العلمية المختلفة والمكافآت وغيرها، باعتبارها نتاجاً علمياً مفيدا.

وأشار الدكتور «أحمد شوقي» في حديثه إلى الواقع المتردي الذي تعانيه الثقافة العلمية في الوطن العربي، من جراء عدم حسم الكثير من القضايا في مقدمة قضية لغة العلوم سواء، بالتعريب أو عدم التعريب، وعدم الانتباه إلى وجود خطر تمثله (إسرائيل) في المنطقة.. وانتقل في حديثه للخلط لدى من يعادون عملية تعريب العلوم، والذين يتذرعون بأن مستوى التعليم في البلدان العربية منخفض، وأن تدريس العلوم بالعربية سوف يزيد هذا المستوى انخفاضاً، حيث يخلطون بين تعليم اللغة ولغة التعليم، مشيراً إلى المستوى المتردي لتعليم اللغات الأجنبية، وهو ما ينبني عليه تلقي العلوم الطبيعية بلغة مشوهة.

ودعا الدكتور «شوقي»، إلى ضرورة الاقتناع بأن تعريب العلوم أصبح ضرورة حضارية لدخول القرن القادم، ولزيادة علمية التفكير العربي.. واختتم بالتأكيد على أن الجهود الشبكية للأفراد في مجال الترجمة ونشر المترجمات، هو السبيل لنهضة تعريب العلوم، وليس الشكل المؤسس الذي اقترحه الدكتور «عبد العظيم أنيس»، مؤكداً أن هناك الكثير من النماذج التي قدمت بجهدها الفردي الكثير من المترجمات خلال السنوات القليلة الماضية، وأن الترجمة لابد وأن تكون مطلباً مجمعياً حقيقياً، يحوله الناس والمجتمع إلى جهد مؤسس توضع له الاستراتيجيات.

وأشار في ذلك، إلى مثال علم الوراثة الذي

التكنولوجيا لا تتعمق إلّا باللغة القومية... حقيقة أكدتها الأمم المتحدة

يعد من أسرع العلوم تطوراً الآن، ورغم ذلك يتم تدريسه باللغة العربية بطلاقة شديدة.

وبدأ الدكتور «علي الكردي»، حديثه مؤكداً أن المقارنة بين تعريب العلوم في عصر النهضة الإسلامية، وقضية تعريب العلوم في الوقت الراهن، هي مقارنة تخلو من التأصيل التاريخي، حيث كانت العلاقة بين اللغة العربية واللغات المنقول عنها غير متكافئة. فقد كانت العربية سائدة وقوية، تأخذ حباً في الكشف العلمي، وهو الحافز المعرفي الأكثر أهمية، وليس بغرض حاجة هذه اللغة للعلوم الأخرى كما يحدث في الوقت الراهن. وانتقل إلى حالة اليابان كنموذج، التي كانت تستورد معارفها من الصين حتى أواخر القرن التاسع عشر، ثم انفتحت على هولندا وقررت الحكومة أن تكون الإنجليزية لغة إجبارية بجانب اللغة القومية، وأكد أن مناقشة قضية التعريب واللغة العلمية بحاجة للنظر بعين الموضوعية بعيداً عن العاطفة. فإذا كنا نفضل الثقافة العربية، فلا يجب أن تقام الجسور بيننا وبين الثقافات الأخرى، بل يجب أن تكون ثقافة مفتوحة ناقدة ومتفاعلة، ويضيف الدكتور «الكردي»، أن الخلل الحادث والفجوة الكبيرة بين الثقافة العربية والمصدر المعرفي الذي تعتمد عليه هذه الثقافة – وهو الغرب – يرجع لقوانين التلقي والاستقبال، الذي يحكم علاقة هذه الثقافة بغيرها، إضافة لشيوع نوع معين من الثقافات الغيبية التي تكرس لإغفال دور العلم والعقل؛ ودعا الدكتور الكردي للاهتمام بتعليم اللغة العربية بطريقة حديثة، وتوفير المصطلحات، وإحداث ثورة في تعليم وتعلم هذه اللغة..

وفي ختام الحلقة، ركزت المناقشات التي شارك فيها عدد كبير من الباحثين والعلماء، على القضايا المتصلة بالتعريب وضرورة إصدار مجلة للثقافة العلمية، وكيفية الإستفادة من مناهج تدريس اللغات الأخرى في تعليم اللغة العربية، ودور الترجمة الفردية والمؤسسات في حركة التعريب، وضوابط التصدي للترجمة التي أصبحت عملية أخلاقية بالدرجة الأولى.

حكمة:

حين يستغني الناس بالدنيا

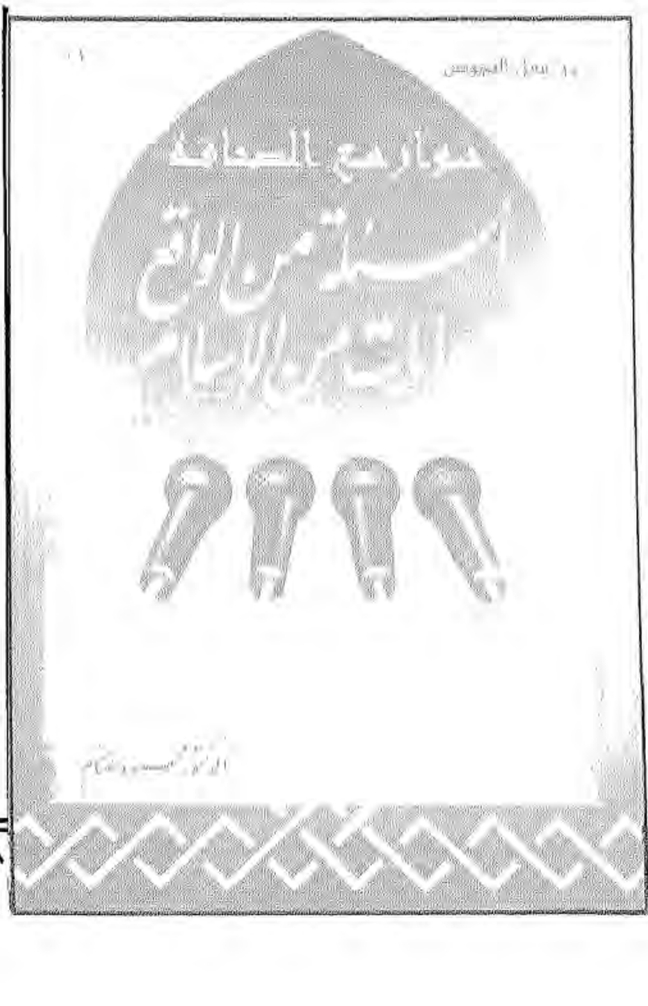
● إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله. وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله. وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله. وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العزة والرفعة.

المختصر في فقه الزكاة



■ كتـــاب من القطـع الصغير يقع في ٤٥ صفحـة بعد المقـدمـة والتقـريظ يبدأ ببـاب مشروعيّـة الزكاة ويمـرُّ على مستحقّي الزكاة ومصارفهـا ومن لا تجوز لهم الزكـاة وأنواع الزكـاة ومقاديرها وينتهي ببـاب الحـثّ على الزكـاة من خـلال الكتاب وفي نهايتـه جدول مـرتب ترتيبـاً جيـداً يبين المؤلف من خلالـه مصـارف الزكـاة وأحكـامها، وهـو من جمع وترتيب الأستـاذ عبد الحميـد بن الشيخ عبد الله محمد صـالح الخزرجي ويُطلب من وزارة الشؤون الإسـلامية والأوقاف التي أصـدرته على نفقتها.

حوار مع الصحافة



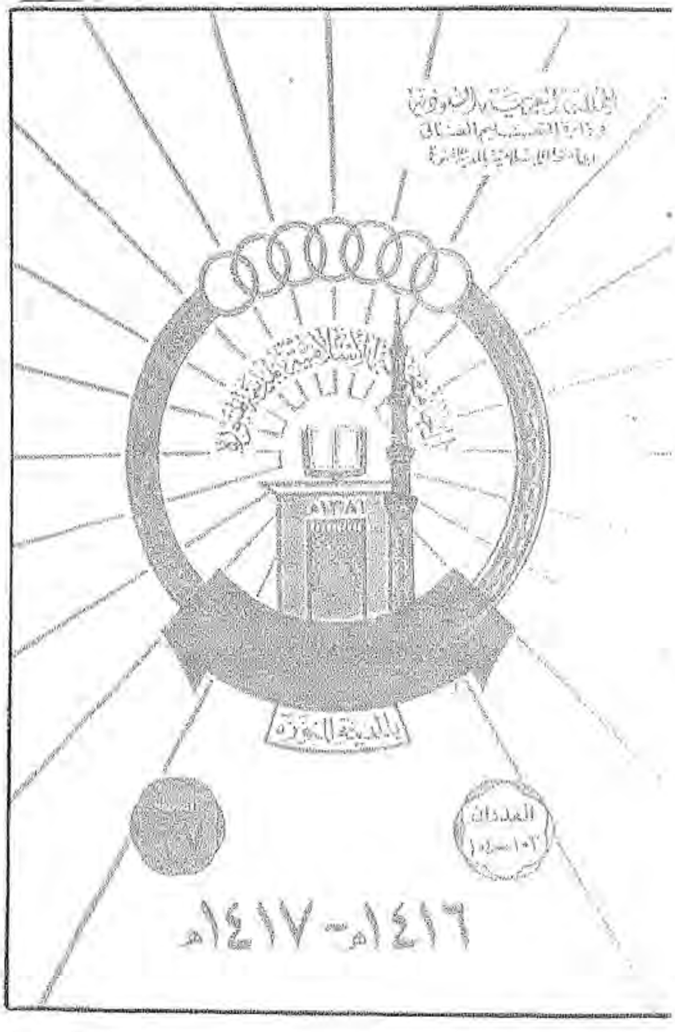
أسئلة من الواقع و إجابات من الإسلام
تأليف. د. محمد عكّـام

■ الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ - ١٩٩٥ جمع فيـه المؤلف مجموعـة من اللقاءات والأسئلـة والمحـاورات التي أجرتها معـه مجموعـة من المجلات الصادرة في عدة دول وتدور جميعها حـول الإسـلام، امتلك المؤلف نسخـاً من تلك المجلات وأعاد نشر إجابـاته في كتاب مستقل مـن القطع الصغير يحتـــــوي على (١٣٦ صفحة).

يُطلب من مكتبـة (فُصّلــت) للدراسـات والترجمة والنشر في سوريـا - حلب - أقيول ص.ب: ٨٢٦٠.

مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

■ العددان ١٠٣ و١٠٤ للعام ١٦ – ١٤١٧هـ في كتاب واحد من القطع المتوسط تقع في ٥٩٧ صفحة وتهتم المجلة بنشر البحوث الشرعية من جميع جوانبها في القرآن الكريم والحديث والسنن والسيرة، وهي (٨) كتب مستقلة لمؤلفيها جمُعت في هذين العددين والمجلة تصلح للمتخصصين من أهل العلم وطلبته، ويمكن طلبها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.





الغـذاء بين الأطباء والفقهاء

■ سبق للمؤلف نشر كتب سماها سلسلة النفائس الطبية وهي كتب تجمع بين الفقه والطب وفي هذا الكتاب يبحث المؤلف في الغذاء (الحلال والحرام) وذلك من خلال سبعة عشر باباً تطوف بالقارىء في أنواع الغذاء من طعام وشراب، وقد ختم كتابه بمقالة قول الرسول (ﷺ) لخِالِهِ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة». الكتاب يقع في (٨٥ صفحة) من القطع المتوسط ألفه الدكتور صلاح الأجاوي ويُطلب منه على عنوانه في رأس الخيمة – ص.ب: ٩٦٩ – الإمارات العربية المتحدة.

حول ملامح الرسالة في فكر مالك بن نبي

للأستاذ: مصطفى محمد طـــه

□ بداية لابد من الإشارة إلى أن مالك بن نبي – كمفكر إسلامي أصيل، قد أدرك بوعيه الحضاري الراشد، مدى ديناميكية ذلكم الدور الحيوي الذي تؤديه المرأة في بناء الحضارة بناءً شامخاً، على ضوء نسق إيماني معجز. ولكن ذلك لن يكون حقيقة بلجاء إلا بعد الالتحام العضوي الحي، فيما بين المشيئة الإلهية العليا، والإرادة البشرية السوية، بعد استجابتها الحية لنداء السماء.

ومن هنا فإن فعالية هذا الدور الحيوي للمرأة كعضو ناشط في تكوين الحضارة، لن تكون ذات جدوى، إلا بعد تعاونها المثمر مع شقها العضوي ونصفها الآخر، ألا وهو الرجل، وذلك ضمن إطار من التناغم والانسجام. ولذا كان من الحتمي أن تكون المرأة على ذلك المستوى الإيماني والحضاري الأمثل، الذي أراده لها خالقها عز وجل. وهذا هو ما بلوره مالك بن نبي بأسلوبه المتميز ذي الطابع الهندسي، عبر معطياته الثرية الجياشة،في هذا السياق، وفي ضوء هذا المنطلق تأتي حيوية معرفة المعالم الأساسية لرسالة المرأة الحضارية، وفقاً لتصور مالك بن نبي. الذي جاءت معطياته مترعة بدينامية الأصالة القرآنية بلمساتها الإيمانية الحانية، ومعينها الثرّ الفياض الذي لا ينضب أبداً، حيث حددت لنا القسمات البارزة لرسالة المرأة الحضارية في الوجود بدءاً من احتضانها للإنسان – صانع الحضارة – جنيناً غضاً، وانتهاء بتربيته حتى يصبح رجلاً قوياً، يكون في مقدوره أن يسهم في تشكيل الوجه الحضاري المشرق لأمته.

ومن هنا يعد مالك بن نبي، ولا ريب من أبرز المفكرين الذين عالجوا قضية المرأة من المنظور الإسلامي، ذلكم المنظور الذي يتسم ضمن ما يتسم به بالشمولية، ومن ثم فهو يضعنا مباشرة قبالة معطيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كمصدرين أساسيين لهذا المنظور. وفي هذا السياق يؤكد مالك تأكيداً جازماً على ضرورة إبراز مدى أهمية دور المرأة الفاعل في تشكيل ملامح

الحضارية للمرأة ..○○

البناء الحضاري الأمثل المنشود للأمة، وهي تعيش لحظات الإقلاع نحو الغد المشرق. وفي هذا الصدد يقول: «يجب علينا أن نعيد إلى المرأة – وعاء الحضارة الحاني – الكرامة التي وهبها لها الإسلام، عندما أنقذها من عادات الجاهلية القاسية، ولكن فلنعد لها كرامتها لنجعل منها السيدة التي توحي إلى الرجل بالعواطف الشريفة لا الفارسة التي تسيطر عليه». وهذا لأن المرأة في تكوينها وطبيعة دورها، هي رباط الوحدة في المجتمع، وهي أيضاً طيف المحبة الساري الذي يدغدغ بحنانه الجياش المترع بالمودة الصافية مشاعر الغلظة فيرققها، ويشذب شواذها، ويؤلف بين المتنافر من عناصر الجماعة، فإذا تخلت المرأة عن هذا الدور. فمن هو يا ترى ذلكم الكائن البشري الآخر المنوط به أداء هذا الدور؟!(١).

أبعاد المنظار الحضاري

ونلحظ هنا أن أبعاد هذا المنظار الحضاري لدور المرأة، وفقاً لتصور مالك بن نبي، يؤكد وبما لا يدع مجالاً للشك على مدى فعالية هذا الدور البارز، الذي سوف يساعد الأمة على تحقيق نقلة نوعية نحو مستقبلها الحضاري المنظور واللامنظور على ظهر هذا الكوكب الأرضي.

مصائب المرأة المعاصرة

وبرغم ذلك، فإن معرفة مدى فداحة التأزم الذي أصاب المرأة المعاصرة بعامة – والأوروبية بخاصة – يصبح أمراً لا مندوحة عنه وذلك حتى تتلافى المسلمة المعاصرة السبل التي أدت بالمرأة المعاصرة إلى الوقوع في هذا المأزق. مما يحتم علينا ضرورة أن ندلف إلى محاولة معرفة أبعاد هذا الواقع المتأزم للمرأة الأوروبية المعاصرة. ذلكم الواقع الذي يُراد للمسلمة المعاصرة الانسياق إليه رغم أنفها، لكي تسقط في نفس المرتع الوخيم، الذي سقطت فيه الأوروبية المعاصرة من قبل. وفي الواقع أن هدفنا من وراء ذلك هو عقد المقارنة بين نظرة الإسلام للمرأة ونظرة الغرب إليها. وفي هذا السياق فإنه ينبغي علينا أن نلقي نظرة طائر، على خارطة الواقع الاجتماعي الغربي الراهن. وسوف نرى أن الغرب قد جنى على المرأة عندما سلب منها أنوثتها الرقيقة، وهي أغلى ما تملك. ومن ثم سخَّرها لأمور وأعمال لا تكون بالضرورة دائماً متوائمة مع تكوينها الخِلقي وما أودعه الله فيها من عاطفة جياشة وحنان متدفق ورقة حانية وصبر وقدرة فائقة على المتابعة الجيدة، وجاء كل ذلك بصورة أو بأخرى على حساب وظيفتها الأساسية في الحياة التي خلقها الله عز وجل من أجلها، ألا وهي الأمومة وتربية الرجال، وأي عمل أعظم من ذلك وأي وظيفة حضارية أهم من تلك(٢).

فهل بعد ذلك يحق لأحد في الشرق الإسلامي، أن يدعو المسلمة المعاصرة إلى تقليد المرأة في الغرب؟. والإجابة الموضوعية

عن هذا السؤال المصيري، عند مالك بن نبي، جاءت عبر قوله: «لقد بدأت المرأة المسلمة التي كانت إلى زمن قريب تلبس (الملاية) في إفراط تسلك في سيرها الاجتماعي الطريق الذي رسمته أوروبا لنسائها، متخيلة أن في ذلك حلاً لمشكلتها الاجتماعية. ونحن نأسف أن يكون نساء الشرق بهذه الدرجة من البساطة، حين يرين مشكلتهن قد حُلت بمثل هذا التقليد لنساء أوروبا، فإن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية يتوقف على حلها تقدم المدنية، فلا يكون حلها إذاً بمجرد تقليد ظاهري لأفعال المرأة الأوروبية، دون نظر إلى الأُسس التي بنت عليها المرأة الأوروبية سيرها. والآن نسأل أنفسنا – مرة ثانية – هل من المفيد للمرأة المسلمة أن نجعلها في مركز تشبه فيه نظيرتها الأوروبية؟.

حل يعقد المشكلة

لقد اتبع هذا الطريق بعض البلاد الإسلامية وهي تمثل في نظرها حركة التجديد في حياة المرأة التي ما زال يدعو إليها المجددون، ولكننا بشيء من النظر نرى أن انتقالنا بالمرأة من امرأة متحجبة إلى امرأة سافرة، تطالع الصحف وتنتخب، وتعمل في المصنع لم يحل المشكلة، فهي لا تزال قائمة، وكل الذي فعلناه، هو أن نقلنا المرأة من حالة إلى حالة، وسنرى عما قريب أن انتقالنا هذا عقّد المشكلة بعد أن كانت بسيطة»(٣). كما هو الحال الآن في واقعنا الراهن، في أكثر من بيئة إسلامية.

ومن هنا فإن الاستفادة من التجربة الأوروبية – عند مالك بن نبي – لتجاوز سلبيتها، يتطلب منا أن نفهم بأن «تحديدنا لعمل المرأة في المجتمع جدير بالاعتبار، فمن المعلوم أن المرأة الأوروبية، كانت ضحية هذا الاعتبار، لأن المجتمع الذي حررها قذف بها إلى أتون المصنع، و إلى المكتب، وقال لها: عليك أن تأكلي من عرق جبينك، في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها، وتركها في حرية مشؤومة، ليس لها ولا للمجتمع فيها نفع، ففقدت – وهي ينبوع العواطف الإنسانية – الشعور بالعاطفة الجياشة نحو الأسرة، وأصبحت بما ألقي عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل، دون أن تبقى امرأة. وهكذا حُرم المجتمع من هذا العنصر في بناء الأسرة، وهو العنصر الأساسي فيها، وجنت أوروبا ثمار هذه الأسرة المنحلة مشكلات من نوع جديد»(٤).

الوضع المأساوي

وبالتالي فقد تولد عن هذا الوضع المأساوي للأسرة الأوربية إفراز نكد انعكس بطبيعة الحال، حالاً مأساوياً على واقع المرأة الأوروبية المعاصرة، ساعد عليها مرور أوروبا بحربين كونيتين خلال أقل من ربع قرن من الزمان. وفي ظل هذه الأجواء باتت المرأة – كما يقول الأوروبيون أنفسهم – شيئاً «أكثر منها من أي وقت سبق حيث إنها أصبحت مجرد سلعة استهلاكية بكل معنى الكلمة، وأصبح جسمها يستخدم كطعم في الدعاية «فمن أجل دعاية لمرهم الوجه تظهر المرأة عارية بأكملها، ومن أجل دعاية للجوارب – الكولان – تظهر المرأة مستندة إلى الأرض بأطرافها الأربعة وكأنها كلبة – والعياذ بالله – تطلب السفاد»(٥).

وهكذا نرى أن حالة المرأة الأوروبية، ليست بالحالة التي تحسد عليها، فظهورها في مظهر لا يخاطب في نفس الفرد إلا غريزته. قد أثار أخطاراً جديدة، كنا نود أن يكون المجتمع بمنجاة منها فمشكلة النسل في البلاد

الأوروبية وصلت إلى حالة تدعو أحياناً إلى الرثاء إذ إنها فقدت تنظيمها الاجتماعي، بحيث جعلت المجتمع الأوروبي وقد محيت منه معاني التقديس للعلاقات الجنسية فهو يعتبر هذه العلاقات مجرد تسلية للنفوس المتعطشة – لإشباع هذا النهم الشهواني – وبذلك فقدت وظيفتها الرئيسية من حيث كونها وسيلة لحفظ الأسرة وبقاء المجتمع. ومن هنا نجد نذيراً جديداً للذين يجعلون من أوروبا مثلهم الأعلى في كل تجديد فإن مشكلة المرأة الأوروبية ما زالت خطيرة، خطيرة حتى في ذهن المرأة ذاتها، وفي تصورها لنفسها، كيف تتحقق كمثل أعلى خلقي وجمالي لحضارة.(٦)

الواقع الحياتي للمرأة

ومن هنا فإن الواقع الحياتي للمسلمة المعاصرة، ينبغي أن يكون على العكس تماماً، من تلكم الصورة الشوهاء. وفي سبيلنا لتحقيق هذه الصورة المشرقة المنشودة، فإنه لابد أن نؤكد على أن دور المسلمة المعاصرة، في مجتمعنا لن يكون فعالاً ولا مستثمراً، ولا مستفاداً منه ما لم يكن متمشياً مع صلاح المجتمع ومتجانساً مع ما وهب الله للأنثى وخصائصها ومميزاتها حتى وإن بدا للبعض أن في ذلك حجراً على المرأة، وتجاوزاً لما جرى عليه عرف المطالبين بحقوقها بمعنى أننا عندما نريد الحديث عن مهمة المرأة المسلمة في الحياة فلا بد أن يكون ذلك مرتبطاً ارتباطاً عضوياً وموضوعياً، بما فيه صلاح مجتمعها وبما لا يخالف تكوينها الفسيولوجي (العضوي) والسيكولوجي (النفسي)، نظراً لوجود علاقة وثيقة بين ذلك وصلاح المجتمع، إن أريد أن يكون للمرأة دور رائد وفعال(١٧)، في تكوين حضارة إسلامية معاصرة، سوف تؤتي ثمارها اليانعة بإذن ربها الأعلى، فيما يستقبلنا من أيام على ظهر هذا الكوكب الأرضي.

التساؤل الحائر

وفي هذا السياق تأتي حيوية هذا التساؤل الحائر، ألا وهو، تُرى إلى أي وجهة تسير المسلمة المعاصرة؟!. ولعل دافعنا إلى طرح مثل هذا السؤال، هو أننا نرى أن المسلمة المعاصرة – في واقعها الراهن، إلا من رحم ربك وهن قليلات – تسير متطورة في زيها ومسلكها، مما جعلها لا تقوم بدورها الحضاري أحياناً. مما حدا بمالك بن نبي إلى أن يطرح أيضاً سؤالاً حيوياً فعالاً «فكيف وبأي أسلوب يمكن للمرأة المسلمة أن تقوم بدورها؟ – وعنده – إن علماءنا ومثقفينا ونساءنا «أنفسهن»، جميعاً مسئولون عن هذا الجواب(١٠). فهل هم فاعلون؟!.

وحتى يتسنى للمرأة المسلمة – فعلاً لا قولاً – الإسهام الحيوي في الارتقاء بأمتها، وهي في سبيل إقلاعها الحضاري المنشود. فإن مالك بن نبي يقدم معطياته الفكرية الثرية الجياشة في هذا السياق الحضاري، الذي جاءت معالمه البارزة عبر جرعته المنشطة التي سوف تساعد ولا ريب المسلمة المعاصرة، على إعادة الفعالية لأمتها، ولاسيما بعد انعتاقها من ربقة هذا التخلف الحضاري، الذي تعاني منه في كل مناحي الحياة. وفي هذا الصدد يقول: «نعم إننا نرى المرأة في تطور، ولكننا لم نشرع بعد في التخطيط الدقيق لجميع أطوارها، فنحن نراها في مظاهرها الجديدة فتاة المدرسة – وفي الجامعة وما بعدها – وفي حركة كشفية،

وفي تسابق في الحياة العامة عاملة، ومولِّدة وطبيبة - ومهندسة وأستاذة جامعية - ومدرِّسة وموظفة. عاملة في المصنع والأتوبيس ونائبة أخيراً - بل وحتى وزيرة ورئيسة حكومة حاكمة، كما هو الحال في أكبر دول العالم الإسلامي المعاصر، باكستان وبنجلاديش، ومن قبل في تركيا - ومهما يكن عجزنا كبيراً عن تخطيط مراحل تطور الفتاة المسلمة. فإنه يلزمنا عند أي تخطيط ألا نغفل بعض القضايا الجوهرية، كقضية «الحضور»، أعني حضور المرأة في المجتمع حضوراً محساً بيناً. نعم إن امرأتنا عندما لا تحضر في هذا المجتمع، ولا تدرك أحداثه التي تجري فيه، ولا تطوراته التي سوف يصير إليها تدع المجال لامرأة أخرى تخلفها حتى في البيت الذي تعتكف فيه، إننا نرى الآن «موضة» التزوج بالأجنبيات تنمو عند شبابنا - كما هو الحال في أكثر من بيئة عربية وإسلامية - وهي نتيجة تباعد المرأة العربية والإسلامية عن المجتمع. لقد بدأت الأجنبية تضع طابعها في حياتنا فعلاً»(٩).

مالك بن نبي أدرك حاجة أمته

وهكذا يبدو مالك بن نبي مفكراً إسلامياً أصيلاً. ومرجع هذا هو أنه قد عاش نبض أمته وأدرك بحسه الثقافي المتفرد، مدى حاجة أمته الماسة للتقدم الحضاري. حيث لمس وعن كثب معالم النقص التي تشوب واقعنا المعاصر. ولذا جاءت طروحاته الفكرية في هذا الإطار، راسمة ملامح الرسالة الحضارية للمسلمة المعاصرة في هذه الحقبة الدقيقة من حياة الأمة، فضلاً عما يستقبلها من أيام قادمة من ضمير الغيب، حيث إن للمرأة دوراً لا ينكره أحد في تحقيق الارتقاء الحضاري الشامل لنا كأمة وسط.

ومن هنا فإن الواقع الإسلامي الراهن، يحتِّم علينا أن نعود لنقول بأن من مقتضيات التربية، أن تعدل نظرة المرأة إلى نفسها، ونظرة المجتمع الدونية لها، فهي نصف المجتمع ويزيد، ومن ثم فإن تعطيل دورها في العمل والوظيفة، أو في التربية و الرعاية، هو تعطيل لطاقة هامة تساعد بشكل أساسي على البناء التقدمي في مسيرة التحضير، لأنها من غير جدال نصف المجتمع(١٠).

ولعل هذا يتساوق مع رؤية مالك بن نبي، الذي يرى أن المرأة والرجل يكونان معاً الفرد في المجتمع: فهي شق الفرد، كما أن الرجل شقه الآخر. ولا غرو فالرسول (ﷺ) يقول: «النساء شقائق الرجال». والله تعالى خلقهما من نفس واحدة. وأخبر عن ذلك بقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ - «النساء/١». فالمرأة والرجل هما قطبا الإنسانية، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر، فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد كوّنت نوابغ الرجال. ونحن نرى لزاماً علينا أن يكون تناولنا للموضوع بعيداً عن تلك الأناشيد الشعرية، التي تدعو إلى تحرير المرأة، فالمشكلة لا تتحدد في الجنس اللطيف فحسب، أو في بنات المدن، أو بنات الأُسر الراقية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبله وحضارته»(١١).

وأخيراً وليس آخراً.. فقد بلورنا عبر هذه المعالجة، ذات الطابع العلمي الأكاديمي،

مدى أصالة فضلاً عن ديناميكية الرسالة الحضارية للمرأة المسلمة في الوجود، كما جادت بها قريحة مالك بن نبي المشدودة إلى تراثها الحضاري الأصيل، فضلاً عن كونها منفتحة على المعطيات الحضارية للعصر لا سيما الإيجابية منها. ومرجع هذا هو أن المرأة، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور أسعد السحمراني - صاحب الأطروحة الأكاديمية (الدكتوراه) عن فكر مالك بن نبي الإصلاحي، من المنظار الحضاري - هي مصدر الحنان، وعامل التوحيد ومفجِّرة الطاقات الديناميكية، فضلاً عن كونها واحدة من ركائز التربية الأصولية، ومن ثم فإن صلاحها عامل هام في صلاح المجتمع(١٢).

كيف نطور دور المرأة

وحتى يتسنى للمسلمة المعاصرة عدم الوقوع في براثن الاستلاب الحضاري، الذي أراده لها بعض الخبثاء ممن يعيشون بيننا. فإنه لابد ألا يكون تطويرها وإعطاؤها الفرصة لتحقيق دورها الفعال في البناء، بأن تحذو حذو الأوروبية النعل بالنعل - وذلك بحجة اللحاق بالعصر - وتلك وايم الله دعوة باطلة. وإنما ينبغي أن تكون القسمات البارزة لتطويرها الأمثل، نابعة من حتمية العودة بها إلى إسلامها المشرق، فضلاً عن انفتاحها الحضاري الراشد على العصر. وذلك حتى لا تسقط مع الأوروبية المعاصرة - ومن جرى على شاكلتها سواء في الشرق أم الغرب - في غياهب حُفَر السقوط الأخلاقي المروِّع التي انحدرت إليها الأوروبية المعاصرة بعد تنكرها الصارخ لفطرتها السوية التي فطرها الله تعالى عليها.

وفي ضوء هذا المنطلق الإيماني الزاكي، تأتي حيوية الرسالة الحضارية لها في الوجود، كما حدد معالمها مالك بن نبي. وهذا لأن المرأة، تعد ولا ريب عنصرًا ناشطًا في تشكيل الحضارة الإسلامية المعاصرة. وهكذا هي المرأة دائماً وأبداً، تعتبر ملمحًا بارزاً في مشروع نهوضنا الحضاري المستقبلي، من أجل إضفاء طابع من التكاملية على الوجه الحضاري المشرق لهذه الأمة - ولن يكون ذلك حقيقة بلجاء في دنيا الواقع إلا بعد الانسجام والتناغم بين عنصريها الذكر والأنثى - في غدها المنظور واللامنظور، وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وذلك وفقاً لمقتضيات المنهج الإلهي السرمدي الذي يصبغ الحياة بصبغة الله ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ - «البقرة/١٣٨».

ومن هنا فإن إبراز وضعية المرأة على خارطة النتاج الفكري لمفكرنا الراحل، وفقاً لتصوره الواعي لسمو رسالة المرأة في الوجود. يؤكد لنا وبما لا يدع مجالاً للشك، على أن المرأة هي عامل حيوي في تكوين البناء الحضاري. ولذا فإنه يمكن لها أن تسهم إسهاماً حيوياً في رسم الملامح الناصعة لمستقبل أمتنا الإسلامية على ظهر هذا الكوكب الأرضي، حتى تعود لها وسطيتها وريادتها فضلاً عن شهودها الحضاري على أمم الأرض قاطبة، كما كانت في سابق عهدها أمة ذات هوية متميزة وذات حضارية فعَّالة.

وحقاً ما قاله مالك بن نبي في هذا الصدد: «إن الأمر يجري - بشأن المرأة المسلمة والأوروبية - في كلتا الحالتين بين تفريط وإفراط، ومن الواجب أن توضع المرأة هنا

وهناك حيث تؤدي دورها – ورسالتها – خادمة للحضارة، وملهمة لذوق الجمال وروح الأخلاق، ذلك الدور الذي بعثها الله تعالى من أجله أُماً وزوجة للرجل».

ونخلص مما سبق إلى أن للمرأة رسالة حضارية واعدة، بكل القيم المشعة، التي يقف على قمتها الباسقة قيم الجمال والحق والخير، وفي هذا ما لعله يجعل في مقدور أمتنا تحقيق الإقلاع الحضاري نحو المستقبل الباسم. ولن يكون ذلك حقيقة بلجاء في دنيا الواقع المحسوس إلا بعد أن نتخلص من ربقة هذا الواقع الراهن، الذي ألقى بظلاله الكثيفة على حياتنا مما جعلها تتسم بالخواء الحضاري، ولاسيما في الجانب المادي – المدنية – من الإبداع الإنساني بمفهومه الشامل. ورحم الله عز وجل مالك بن نبي حياً وميتاً. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

■ (الإحالات المرجعية):

(١) أ.د. أسعد السحمراني – مالك بن نبي – مالك بن نبي مفكراً إسلامياً – دار النفائس – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – ص ٢٣٣.

(٢) أ.د. مهندس/ محمود محمد سفر / ثقب في جدار التخلف – سلسلة التنمية والحضارة رقم (١) – دار الصافي للثقافة والنشر – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م – ص ٥٤.

(٣) أ. مالك بن نبي – شروط النهضة – ترجمة عبد الصبور شاهين وآخر – دار الفكر – دمشق – الطبعة الثالثة – ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م – ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٤) أ. مالك بن نبي – المرجع السابق – ص ١٨١ – ١٨٢.

(٥) أ.د. أسعد السحمراني – المرأة في التاريخ والشريعة – دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م – ص ٦٧.

(٦) أ. مالك بن نبي – المرجع السابق – ص ١٧٩.

(٧) أ.د. مهندس/ محمود محمد سفر – إنتاجية مجتمع – الكتاب العربي السعودي – رقم (١٠٧) – تهامة للنشر – جدة – الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م – ص ٨٨.

(٨) أ. مالك بن نبي – المرجع السابق – ص ١٨٤.

(٩) أ. مالك بن نبي – المرجع السابق – ص ١٨٣ – ١٨٤.

(١٠) أ.د. أسعد السحمراني – مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً – (مرجع سابق) – ص ٢٣٣.

(١١) أ. مالك بن نبي – المرجع السابق – ص ١٧٦ – ١٧٧.

(١٢) أ.د. أسعد السحمراني – مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً – (مرجع سابق) – ص ٢٣٤.

من الهدي النبوي

في الراعي والرعية..

● قال (ﷺ): «ما من راع يبيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة»، ومعنى هذا أنه حقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظراً ولما استطاع من عوراتهم ساتراً، وبالحق فيهم قائماً.

الوفاء بالعهد..

● قال رسول الله (ﷺ): «من أمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً».

وصايا الآباء للأبناء في الأدب العربي

للأستاذ

صبحي محمد جبر

لئن كانت تربية الأولاد مسؤولية، هامة وشاقة، فإن قلب الأب والأم مفطور على محبة الولد ومتأصل بالمشاعر النفسية والعواطف الأبوية لحمايته، والرحمة به والشفقة عليه والاهتمام بأمره، والقيام على تعليمه وتربيته. «فطرة الله التي فطر الناس عليها».

ولا عجب ألا يترك الأب – وهو الذي تقلب على مسرح الحياة، وصقلته التجارب، وأكسبته الأيام خبرة وحنكة – فرصة تمر، إلا وقد زود الابن بالإرشادات والمبادىء الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية، وقدَّم له من النصح ما يرسم له طريق السلوك القويم في الحياة، حتى يجنبه المزالق المهلكة والمواقف المحرجة، وحتى يجعل منه المثال الذي كان يطمع هو في أن يجعله لنفسه. والمثل الأعلى في ذلك وصية لقمان لابنه في القرآن الكريم: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ – «لقمان/١٣» ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السمٰوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعِّر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ – «لقمان/١٦– ١٩».

فضل النصيحة

النصح الأبوي في أدبنا العربي قد نجده شعراً أو رسالة نثرية، وقد يكون كتاباً قائماً بذاته يهديه الوالد إلى ولده يحضه فيه على النصح، ويهدي إليه من تجاربه وخبراته ما يضيف إلى الولد تجربة جديدة، ولا يغيب عن ذهننا أن هذا النصح يجعل العلاقة بين الأب (أو الأم) علاقة ودية دافئة، ويشعر الابن بأنه موضع رعاية واهتمام، فيزيده ذلك ثقة في نفسه وثباتاً على طريق النجاح.

الفيلسوف أمينوبي

حفظت لنا بطون المعابد المصرية القديمة.. نصيحة الحكيم المصري الذي عاش في مصر قبل نحو (٢٥) قرناً من

الزمان. يقول ناصحاً ابنه: لا تزحزحن الحد الفاصل الذي بين الحقول، لا تطأن حرث الغير، وخير لك أن تبقى بعيداً عنه. احرث الحقول حتى تجد حاجتك وتتسلم خبزك من جرنك الخاص بك، و إن المكيال الذي يعطيكه الله خير لك من خمسة آلاف.. تكسبها بالبغي، والفقر مع القناعة، والرضا عند الله.. خير من الثروة المغصوبة بالعدوان وأرغفة لديك مع قلب فرح خير لك من الثروة مع التعاسة.. وذلك لأن الغنى مع الضمير الشاعر بالذنب لا قيمة له، وما فائدة الملابس الجميلة.. إذا كان الإنسان عاصياً أمام الله.

نصيحة ذو الإصبع العدواني

لم يشأ الخطيب الحكيم – في العصر الجاهلي – ذو الاصبع العدواني، لما حضرته الوفاة – أن يدع ساعة الاحتضار تمر من غير أن يوجه نصيحة إلى ولده «أسيد» تعد دستوراً موجزاً للنجاح في الحياة فيقول بعد كلام: (..ألن جانبك لقومك يحبوك، وأصغ لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك،.. ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك).

النصيحة في الإسلام

إن التربية الإيمانية هي نبع الفضائل، وهي الركيزة الأساسية لدخول الولد حظيرة الإيمان وقنطرة الإسلام، وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤوليته ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية ولا يتخلق بمعنى الإنسانية الفاضلة... بل يعيش عيشة البهائم ليس له هم سوى أن ينطلق وراء الشهوات والملذات.. لا حياء يردعه، ولا ضمير يقمعه.. يقول ما قاله أبو نواس:

إنما الدنيا طعام
وشراب وندام
فإذا فاتك هذا
فعلى الدنيا السلام

لذلك أوجب الإسلام على المؤمن آداء النصيحة في المواقف التي تتطلب ذلك فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة العصر: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.. وحديث الرسول (ﷺ): «الدين النصيحة. قيل: لمن يا رسول الله. قال: لله ولرسوله... ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾ أخرجه «مسلم».

لذا كان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يعرف فضل النصيحة فيتعجل طلبها ولا ينتظر حتى تأتي إليه. فكان إذا ما جلس مجلس الإدارة أمر فالقى لرجلين من الفقهاء وسادة أمامه وقال لهما: (إنه مجلس شرة وفتنة.. فلا يكن لكم عمل إلا النظر إليّ فإذا رأيتما مني شيئاً لا يوافق الحق، فخوفاني وذكراني بالله عز وجل). الشرة: الحدة يقال: أعوذ بالله من شرة الغضب.

فلا عجب أن نجد الإمام علي (رضي الله عنه) يكتب إلى ولده الحسن (رضي الله عنه) رسالة نصيحة.. فيها روح الإمام وزهده في الدنيا ورغبته فيما عند الله وخشيته منه يقول فيها: (واحفظ وصيتي ولا تذهب عنك صفحا، فلا خير في علم لا ينفع) فالوصية بحفظ الوصية ووعيها شيء لا يفوت الآباء الناصحين أن ينبّهوا أولادهم إليه.

ويصل الإمام علي حبل النصيحة قائلاً: (فبع دنياك بآخرتك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف والأمر فيما لا تكلف، وخض الغمرات للحق ولا تأخذك في الله لومة لائم).

نصيحة «المهدي»

لما أسند أمير المؤمنين «المهدي» ثالث خلفاء بني العباس إلى ابنه «موسى» ولاية خراسان. قال له: أي بني إنك لسمت وجوه العامة نصبا، ولمثنى أعطاف الرعية غاية فحسنتك شاملة، وإساءتك نائية، وأمرك ظاهر، فعليك بتقوى الله وطاعته، فاحتمل سخط الناس فيهما ولا تطلب رضاهم بخلافهما. فإن الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه، وليس بكافيك من سخطه عليك إيثارك رضا من سواه.

اختيار بطانة الخير

ويزجي مروان بن محمد لابنه النصح في اختيار بطانته من أهل الخير ذوي النظر الصائب... والرأي السديد: لتكن بطانتك ودخلاؤك في سرك.. أهل الفقه والورع من خاصة أهل بيتك، وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور وقلبته الأمور في فنونها وركب أطوارها.. عارفاً بحسن الأمور ومواضع الرأي وعين المشورة.. مأمون النصيحة.. مطوي الضمير على الطاعة.

قواعد السلوك الاجتماعي

وها هي امرأة عربية تضع قواعد السلوك الاجتماعي الذي يرتفع بالنفوس إلى أعلى الدرجات، ومن مبادىء الأخلاق ما يرقى بالإنسان إلى أعلى المقامات.

روى الأصمعي عن آبان بن تعلب قال: مررت بامرأة وبين يديها ابن لها يريد سفرا وهي توصيه قائلة: اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك. وقليل إجدائها عليك أنفع من كثير عقلك.. إياك... والنمائم فإنها تزرع الضغائن، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم ومثّل لنفسك مثالاً مما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه، وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، وإياك والغدر فإنه أقبح ما تعومل به، وعليك بالوفاء ففيه النماء، وكن بمالك جواداً وبدينك شحيحاً.. ومن أعطي السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ربطتها وسربالها انهض باسم الله.

الرأي السديد والفكر الرشيد

وعبدالله بن الحسن يرشد ابنه إلى مرتكزات بناء الرأي السديد والفكر السليم فيوصيه قائلاً: أي بني.. إني مؤد حق الله في تأديبك.. فأد إليَّ حق الله في الاستماع مني.. أي بني كف عن الأذى، وارفض البذا، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب.. واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العامل إذا كان غاشاً.. لأنه يرديك بمشورته. واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان. فإياك أن تستبد برأيك فإنه حينئذ هواك ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين من أن عاقبته لا ترديك، وان نتيجته لا تجني عليك، وإياك ومعاداة الرجال فإنك لا تعدم مكر حليم أو معاداة لئيم.

دستور السعادة الزوجية

كان أصحاب رسول الله (ﷺ) إذا زفّوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بحسن صحبتها لزوجها ورعاية حقه. فها هو ذا عبدالله بن جعفر رضوان الله عليه يوصي ابنته ليلة زفافها فيقول لها: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث

البغضاء.. وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب.

وما دمنا بصدد الحديث عن الزواج فلابد لنا أن نشير إلى نصيحة سيدة عربية قديمة قدم ظهور الإسلام.. عاشت تحت سماء القرآن الكريم اسمها أسماء بنت خارجة الفزاري وهذه (النصيحة) تعتبر من درر النصائح بلاغة، كما تعد دستوراً للسعادة الزوجية ومفتاحاً لكل توفيق وهناء عائلي فقد قالت لابنتها عند التزويج: أي بنية.. إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه درجت.. إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه. فكوني له أَمَة.. يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشرا:

أما الأولى والثانية.. فاصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة.

أما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه.. فلا تقع عينه منك على خبيث، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح.

أما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه.. فإن الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

أما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً.. فإنك إن خالفته أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.. فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، كوني أشد الناس له إعظاماً يكن أشدهم لك إكراماً واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين.. حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله يخير لك إن شاء الله.

الشعر العربي

في تراثنا الشعري من نصح الآباء للأبناء ما فيه الكفاية للدلالة على عناية العرب بالتربية الحسنة والأخلاق الحميدة، وتقويم الأخلاق المعوجَّة ونبذ العادات القبيحة.. مثال ذلك قصيدة ابن سعيد المغربي - الشاعر الأديب الأندلسي التي بعثها إلى ولده علي - الرحالة المؤرخ - حين نهض مغترباً من الاسكندرية إلى القاهرة:

وانطق بحيث العِيّ مستقبح
واصمت بحيث الخير في سكنتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة
فإنه.. أنفع.. في.. غربتك
ولا تقل: أُسمُ فيّ.. وحدتي
فقد تقاسي الذل.. في وحدتك

وللشاعر عبد الله فكري قصيدة حكمية وجهها إلى ولده «أمين» ويبلغ عدد أبياتها ثلاثة وعشرين بيتاً تشتمل على طائفة من النصائح العامة التي تنفع المرء وتقوّم سلوكه في الحياة ولنقرأ معاً:

إذا نام غِرٌّ في دجى الليل فأسهر
وقم للمعالي والعوالي وشمِّر
وخلِّ أحاديث الأماني فإنها
علالة نفس العاجز المتحير
وسارع إلى ما رمت ما دمت قادراً
عليه فإن لم تبصر النجح فاصبر
ولا تأت أمراً لا ترجّي تمامه
ولا مورداً ما لم تجد حسن مصدر
ولا تستشر في الأمر غير مجرب
لأمثاله أو حازم متبصر

ونقرأ:

ولا تصغ في ود الصديق لكاذب
نموم، وإن يعرض لك الشر فاخبر

ولا تغترر تندم، ولا تك طامعاً
تذل، ولا تحقر سواك تحقّر
وعوّد مقال الصدق نفسك وارضه
تصدّق، ولا تركن إلى قول مفترى
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
لكفيك في الإنفاق إمساك مقتر

وللشاعر محمد مصطفى ا الماحي قصيدة ينصح فيها ابنه يقول فيها:

المجد ما تكسب الهندية القُضُبُ
والجود ما تهب الأرواح لا القُرُبُ
فاطلب فديتك مجداً لا كفاء له
تهون في مثله الأرزاء والنّوب
إني نذرتك للرحمٰن فامض على
مشيئة الله لا وهن ولا رهب
وابذل حياتك دون الحق غالية
يوهب لك الحق والتأييد والغلب

الهندية القضب: سيوف الهند المشهورة، القرب: ما يتقرب به من بر ونحوه وللشاعر هاشم الرفاعي: قصيدة رائعة حيث كان ذاهباً إلى فلسطين السليبة مزوداً بكل أسلحة الشاعر راح يكتب وصية لاجيء لابنه قبل أن يموت ويطلب من ابنه عدم البكاء فيقول:

لا تبكين فما بكت عين الجناة
هي قصة الطغيان من فجر الحياة
حيفا تئن أما سمعت أنين حيفا
وشممت عن بعد شذا الليمون صيفا
هي لا تريدك أن تعيش العمر ضيفا

أما الشاعر محمد أحمد الصادق فيدعو ابنته إلى التمسك بالفضيلة والأخلاق الحميدة:

دعي المسلك المذموم يا ربة الطهر
دعي كل ما يؤذي العفاف وما يزري
دعيه فتنزيه النفوس عن الخنا
يقيها عثار الدرب في ميعة العمر
أطلي على الدنيا الجديدة بالذي
ورثت من الأخلاق والدين والفكر
وكوني مثالا للفضيلة يحتذى
وشمسا تضيء الكون بالقيم الغر

وشاعر آخر يوجه قصيدة إلى ابنته بمناسبة نجاحها في الامتحان يقول فيها:

كل يجاهد في سبيل حياته
إن الجهاد قوام كل حياة
فاسعيْ إلى المجد الذي تبغينه
فسبيله مأمونة العثرات
الدين والعلم الصحيح كلاهما
نور يقيك مواطن الشبهات
ومكارم الأخلاق أفضل عدة
لك في الشدائد بل أعز قناة
إن الفضيلة للسمو وسيلة
تاج الفضيلة حلية الفتيات

إن الأب حين ينصح فإن أحق من يوجه إليه النصح وتقدم إليه الموعظة. هو الابن.. على أن الحكماء حين ينصحون لا يخصون أحداً بعينه ولا يقصدون شخصاً معيناً، فالنصيحة إذا اتجهت إلى الابن أو القريب فهي منصرفة إلى غيره من الناس، وجارية في الحكم والعمل بها على القريب والبعيد لهذا كانت جولتنا مع هذه الوصايا القيمة والنصائح الغالية ليستفيد كل قارىء ويعم النفع ويتسع مجال الفائدة.

والله ولي التوفيق

واحة الأسرة

إعداد :
موسى صالح شرف

وصايا وإرشادات لأبنائنا في مرحلتي الطفولة والمراهقة

من الضروري للأبوين أن يجعلا لهما منهج عمل تربويا يسيران عليه، وألا يتركا أبناءهما للعفوية وعدم الاهتمام، فإن الطفل يتلقى في مرحلة الطفولة عن أبويه، ويعتبرهما قدوة له، ، كما يتلقى من معلمه، ومن البيئة التي يعيش فيها، فتتكون شخصيته شيئاً فشيئا، حتى تأخذ صيغتها النهائية.

ويمرّ الأبناء – كما هو واضح – في الجوّ العائلي بمرحلتين، يحتاجون فيهما إلى الرعاية والعناية، وهاتان المرحلتان هما:

١ – مرحلة الطفولة.

٢ – مرحلة المراهقة.

وواضح أنّ مرحلة المراهقة، أشدّ خطراً في حياة الانسان، وتحتاج إلى حكمة في التربية والتوجيه، وعناية فائقة من الأبوين.

ومن المفيد هنا أن ندوّن بعض الإرشادات العملية لتعليم الأبناء، وإرشادهم في كلّ من المرحلتين: –

– إنّ أولى الوصايا والإرشادات العملية هي أن يحرص الأبوان على تكوين علاقة طيّبة بينهما، فإنّ عدم الانسجام والخلاف، أو التصرّفات غير السليمة بين الأبوين في البيت، تنعكس على سلوك الأطفال والأبناء، فالأب الذي لا يحترم الأم، أو الأم التي لا تحترم الأب، أو المشاجرة المستمرّة، أو حالة السخط وعدم الرضا، أو جوّ الكآبة والكراهية، كلّ ذلك ينعكس سلباً على الأبناء، ويؤثّر تأثيراً مخرّباً في سلوكهم وأخلاقهم وحالاتهم النفسية، كما أنّ علاقة الأبوين بالأبناء، وأسلوب التعامل معهم، يترك أثره الحسن، أو السيِّىء في نفوسهم، وعلاقتهم المستقبلية بالأبوين، وعلاقتهم بالمجتمع.

– فالطفل الذي لا يشعر بالحبّ والحنان والرعاية من أبويه، قد ينشأ طفلاً غير سوي، عدوانيّ السلوك والنزعة، وربّما ساقه ذلك التعامل إلى التشرّد والكراهية، أو أُصيب بعقدة نفسية سلبية.

– وسوء المعاملة مع الطفل المراهق، وعدم احترام شخصيته، قد يقوده إلى الإساءة إلى والديه، وإلى الآخرين وتكوين عقدة النقص عنده.

والتضييق عليه في التعامل، وحرمانه المادّي، قد يجرّه إلى الكذب أو السرقة والاحتيال.

التفريق.. ضرر

– وإنّ التفريق في التعامل بين الأبناء، وعدم إشعارهم بالحبّ والعناية المتكافئة، كثيراً ما يدفعهم إلى الكراهية فيما بينهم، وإلى النفور من الأبوين، وضعف الرابطة بهما، وإلى التوغّل في عقوقهما.

– وإنّ الانطواء والعزلة في جوّ العائلة عن الأهل والجيران والمجتمع، يتركان أثرهما السلبي في حياة الأبناء، أمّا إذا وجد الأبناء



آباءهم يعيشون علاقات طيّبة مع الأرحام والأقارب والجيران والأصدقاء، كالزيارات، وتبادل الهدايا، والضيافة، والاهتمام بحوائجهم، فإنّهم يتلقّون هذه الأخلاق والعادات الحسنة، ويتأثّرون بها.

- من الضروري أن يرسم الأبوان منهاجاً ثقافياً تربوياً لأبنائهم، منذ الصغر والطفولة، يلقّنوهم الآيات والعبارات الإسلامية، كالشهادتين وبعض أقوال الرسول الكريم (ﷺ)، والتعريف بحياة الرسول (ﷺ) وسيرته وأهل بيته، على شكل قصص وموضوعات مختصرة.

- وتعليم الصبيان الصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، واصطحابهم إلى المساجد وتعريفهم بالمناسبات الإسلامية، وتفهيمهم مدلولاتها، كليلة القدر، والبعثة النبوية، ومعركة بدر، والحج... الخ.

ذكر اللّه، والتعلّق به، كالتسمية عند البدء بالطعام والشراب، والحمد للّه عند الانتهاء منهما، والاستعانة به عند حصول الشدائد، والشكر له عند قضاء الحوائج وحصول الخير... الخ.

- تربية الطفل، وتدريبه على مفهوم الاعتذار والتوبة، إذا أخطأ وأساء، فيطلب منه أن يقول: (أعتذر، أو عَفواً، أو أستغفرُ اللّه... الخ)، مع توجيهه، وإرشاده، ومعاقبته إذا كان الموقف يستدعي العقوبة، دون أن يبالغ في العقوبة.

- تعليمهم النظافة، والعناية بحسن المظهر.

- تعليمهم آداب التحيّة والحديث والمجلس، واحترام الآخرين.

- إبعادهم عن أصدقاء السوء، وتوجيههم لاختيار الأصدقاء الصالحين الذين يُستفاد منهم.

- توجيههم لاستثمار أوقات الفراغ، والمساهمة في الأعمال العامّة، التي تضمّ أقرانهم، كالألعاب الرياضية، والتدريب على الخط والرسم والنجارة... الخ.

- تحبيب العلم إليهم، وتوسيع أفق تفكيرهم في المستقبل، وتوجيههم توجيهاً صحيحاً في هذا المجال.

- مراقبة سلوكهم، وإسداء النصائح لهم، عندما تظهر عليهم بعض الآثار غير السليمة.

- محاولة نقل التجارب الاجتماعية النافعة لهم، من خلال الحديث العائلي، وسرد الحكم والقصص التاريخية وتجنيبهم الوقوع في الأخطاء والأخطار.

الحلال والحرام

- تعريفهم مفهوم الحلال والحرام، وتدريبهم على الالتزام به.

- التوسعة على الأهل والعيال، وسدّ حوائجهم المادّية، فإنّه أفضل الصدقة، وفي بعض الروايات أنّه صدقة.

فمن أراد أن يحسن، فأهله أحقّ ببرّه، وإحسانه، كما ورد في الأحاديث الشريفة.

إنّ عناية الزوج بزوجته، وأبنائه، وأفراد أسرته، واجب ومسؤولية شرعية، يصون

بـأدائها نفســه، وأهلـه، من الشر والعـذاب، ويحقق لهم الهدىٰ والصلاح.

﴿وقُلِ اعْمَلوا فَسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُم ورَسولُهُ والمؤمنــونَ وسَتُرَدّونَ إلى عالِـــم الغَيـبِ والشّهـادَةِ فَيُنَبّئُكُـم بِما كُنتُـم تَعمَلـونَ﴾ – «التوبة/١٠٥».

من فقه المرأة

طلقها طلقة واحدة

○ س : حدث خلاف بيني وبين زوجتي.. واحتــدم الخلاف حتـى تصـاعـد إلى شجـار وأثناء غضبـي طلقتها طلقة واحدة فهـل يقع الطـلاق علماً بـأنني لا أريد فـراقهـا وهـي كذلك؟.

– جـ : نعم.. يقـع الطلاق إلا إذا بلـغ بهذا الـرجل الغضب إلى درجة أنـه لا يدري مـاذا يقول أما إذا كـان عارفاً بما يقول فـإن طلاقه واقع.

مرور الأطفال أمام المصلين

○ س : الأطفــال الصغــار الـــذيــن لا يدركــون.. هل يبطلون الصـلاة إذا مروا بين أيدي المصلين؟.

– جـ: لا ينبغـي تركهم يمـرون بين أيدي المصلين لكن ذلك لا يبطـل الصـــلاة والعلماء قالوا إن المرور بين المصلي وسترته محرم على الكبار المكلفين، وتعليم الأطفال حـرمـة ذلك بألفــاظ مبسطـة مقنعـــة، ونهرهم بلطف، وإرشادهم بـالحسنى كل ذلك تربيـة راقية.

وبعض النـاس يستشهــدون بحملـه (ﷺ) للحسن والحسين (رضي الله عنهما) أثنـــاء الصلاة، لكني أرى أن هذا الاستشهاد ليس في محلـــه إذ كـــان الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يقفـان عن يمينـــه وعن يســاره ومن خلفه ولم يكونا أمامه.

الألبسة التي تحوي صوراً

○ س: مـا حكم لبس الثيـــاب التي فيهـا صورة؟.

– جـ: لا يجوز لـلإنسان أن يلبس ثيـاباً فيها صورة حيوان أو إنسان ولا يجوز أيضاً أن يلبس غترة أو عمامة أو ما أشبه ذلك وفيه صـــورة إنســان أو حيـــوان وذلك لأن النبي (ﷺ) ثبت عنه أنه قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة».

ولكن تخفيفاً على النـاس، ولعموم البلوى يستحسن عدم التشدد، واختيـار ما تقرر في المذهب المالكي، من أن المحرم من الصور هو الذي له ظل شـاخص، أي تمثال منحوت من حجر أو شجر أو غيرهما وعليه يحمل مفهوم الحديث السابق الذكر، والله تعالى أعلم.

يا رب.. صن أمي

وهذه وقفة، مع الشاعرة روحية القليني

مـن وحـي قلبي مـن تـألـق ذاتي
من نبع وجـداني سَرَتْ دعـــواتي
ووقفتُ في المحـراب خـاشعـةً وفي
نجوى الدعاء همستُ في السّجدات



يـا ربِّ صن أمي وسِّـر سعـادتي
يـــا رب واحفظهـا بحق صـــلاتي
من ذا الـذي أدعـوه غيرك حافظـاً
أمي الحبيبـــــة أجمل المنحـــات

العقاب وآثاره النفسية على الطفل

الأخـــت فاطمة قطب – من مصر – تناقش هذا الموضـوع قائلـة: بأن الطفل يُولـد، وهو خـامة طبيعيـة يسهل تشكيلها كيفما يشـاء الأهل، وشـاءت الظـروف؛ فمن هـذه الخامـة يخرج الـرجل الشـــريف، والمجـرم الخطير.. أمّـا مـا يقرر مصيره بشكل كبير، فهـو تأثر الطفل بوالديه – من حيث الطباع والتصرفات والأخلاق، والتعـامل مع الآخرين – فـالطفل بين الثـالثـة والسـادسـة، يعبر عـن حبـه لـوالديـه، بأن يحاول تشكيل نفسـه حسب صورتهما لديه، مقلداً لـوالديـه، فالولـد يقلد أباه، والبنت تكون مقلدة لأمهـا، فهذه مرحلة التقليد والمحاكاة.. وبالرغم من رغبة الطفل في أن يكون طيباً، فإن التجربة تنقصه، وتتحكم في أهـوائه، ولـذا يجب على الوالـدين، إرشـاد طفلهما بلطف وهـدوء، إلى ما لا ينبغي عمله، وأن يفعلا ذلك بحزم وثقة بالنفس.

ولكن ماذا يحدث لـو أخطأ الطفل بالـرغم من القدوة الحسنة؟.

هنـا يأتي دور العقـاب.. وعن ذلك يقـول الدكتـور يسري عبد المحسن – أستـاذ الطب النفسي – العقاب، يتراوح بين نظـرة التأنيب الجازمـة، وبين الضرب، وهـــو على العمـوم، مجرد خيط نسبي، حيث إننا نحاول أن نمنع الطفل عن عمل شي، فنضربـــه أو نتـوعـــده بصورة أو بأخرى، حتى لا يفعل مرة أخرى، الشيء الـذي عـوقب عليـــه.. والآبـاء الـذين يلجأون إلى العقـــاب كثيراً، لا يســـاعـــدون أطفـــالهم على النحـــو السليـم، بل إنهم لا يســاعـدونهم حتى على اكتسـاب النظـام، أو التـوقف عن الخطـأ، إن كل مـا يستطيعـون الوصول إليه بـالعقاب، هو أن يمنعوا الطفل عـــن فعـل الشيء، مـــن غير أن يفهــم لماذا.. والهدف الـــرئيسي الـذي ينبغي أن يضعـــه الآبـاء، الـذين يهدفون إلى مصلحـة أبنائهم – نصب أعينهم – هـو: عدم تنفيذ السلـوك عن طريق العقاب، ولكن يساعدونه، على أن يقرر لنفســه، ما ينبغي، ومـا لا ينبغي أن يفعلـه، بالتوجيه الهادىء المتزن.

فقـد علمنـا الإسلام، أن نعـامل أطفـالنـا بـالرقـة والحنـان، ولنا في رسـول الله (ﷺ) أسـوة حسنة، حيث يقـول: «من لا يـرحم، لا يُرحم». و«ليس منا من لم يرحم صغيرنا».. ولنا في سيرة السلف الصالح، دروس وعبر.

الطب عند العرب والمسلمين في فجر الإسلام

5

بقلم الأستاذ الدكتور: محمود الحاج قاسم محمد

قبل البدء لابد من الإشارة إلى أن الموضوع واضح ولايمكن الإحاطة بتفاصيله في مقال واحد، لذا سيكون عرضي مختصراً مع الحرص على أن يكون شاملاً، من أجل إعطاء صورة صادقة عن حال الطب والأطباء في الجزيرة العربية في فجر الإسلام. وسيكون تناولنا للموضوع ضمن قسمين رئيسين:

القسم الأول: الطب قبل الرسول (ﷺ)

كان يقوم بممارسة الطب في الجزيرة العربية في ذلك الزمان فئتان:

الفئة الأولى:

اعتمدت على التكوين بأسباب المرض وسره وعلاجه، والاستعانة بالنجوم والتعاويذ والرقي والسحر، وكان لكل قبيلة عراف يرجع إليه أفراد القبيلة فيما يصيبهم من أمراض وعلل وأحداث مختلفة، وكانوا ينزلونه منزل الكاهن من حيث الاحترام والتقدير، فهو يعالج أمراضهم بوسائله الخاصة ويخبرهم بالغيب على حد زعمهم.

ولابد من التنويه هنا على أن تلك الوسائط العلاجية التي ذكرناها لم تكن من عادات العرب فحسب، بل كانت من عادات كل الشعوب والأمم في تلك الفترة التاريخية، كما وأن ذلك لايزال شأن بعض الأمم المتأخرة وحتى بعض المجتمعات الراقية اليوم.

الفئة الثانية: هي الفئة التي كانت تعتمد الأساس المادي في التطبيب، تزاول العلاج بالكي والبتر والفصد والحجامة والحمية والعقاقير والأعشاب الطبية، وترفض فكرة حدوث الأمراض بتأثير الجن والشياطين.

وكان هذا النوع من الأطباء يخالط أفراد القبيلة في حلها وترحالها، وكانوا أثناء ذلك يراقبون ما يحدث من حمل وولادة ومرض للإنسان والحيوان، وبذلك تعلموا نتيجة تلك الملازمة، الكثير مما يتعلق بالصحة وخصائص الأعشاب وشيئاً عن تشريح الحيوان وأماكن أعضاء الجسم ووظائف كل عضو وأثره في الصحة وازدادت مكانة هذه الفئة بمرور الزمن واشتهر من حذق الصناعة حتى صار مضرباً للمثل(١).

ومن البديهي أن كان الطب في حضر الجزيرة العربية وخصوصاً المتاخمة لامبراطوريتي فارس وبيزنطة الروم (كحيرة المناذرة، وبصرى الغساسنة، ومدن اليمن) أعلى مستوى من طب سكان داخل الجزيرة، وذلك لاختلاط أولئك بالأعاجم الذين كانوا عهدئذ أكثر معرفة من العرب بالعلوم الطبية، ولأن سكان المدن ايضاً أكثر حاجة إلى تعلم هذه الصناعة فتعلموها بالدراسة والتقليد، كما سافر بعضهم طلباً لعلومها إلى ديار اليمن وفارس، وهناك استزادوا من معارفها وتدربوا على ممارستها، ورجعوا إلى بلادهم فخورين بما تعلموه من معارف جديدة في هذه الصناعة (٢).

والغريب أن معلوماتنا عن أطباء داخل الجزيرة العربية على ندرتها أكثر مما نعرف عن أطباء الحواضر والمدن في أطراف الجزيرة العربية، والمفروض أن يكون العكس. إن ما سنذكره عن الأطباء سوف يدلل على أنه كان للعرب طب في جاهليتهم، وبعد الإسلام قبل عصر الترجمة، إلا أن انشغال المسلمين السابقين بالجهاد واهتمامهم برواية تعاليم الدين الجديد، زهدّهم في نقل الكثير من أخبار الطب. وأن جل الأطباء الذين عرفناهم في داخل الجزيرة العربية هم مخضرمون نشأوا في العصر الجاهلي، وامتدت أعمار بعضهم حتى العصر الأموي. وتبقى الثغرة الكبرى في تاريخ الطب العربي بالنسبة لهذه الحقبة، أسماء أطباء اليمن أصحاب المدرسة الطبية التي كان يقصدها الطلاب من بقية أنحاء الجزيرة العربية للتعلم، والتي كان لها اتصال بالطب الفرعوني الذي أثرت فيه وتأثرت به. والأطباء الذين استطعنا جمع أسمائهم من المصادر التاريخية بالنسبة لهذه المرحلة هم:

١ـ ابن حذيم: وهو رجل من بني تيّم الرباب، كان معروفاً بالحذق في الطب مضرباً للمثل، أدرك الرسول (ﷺ).

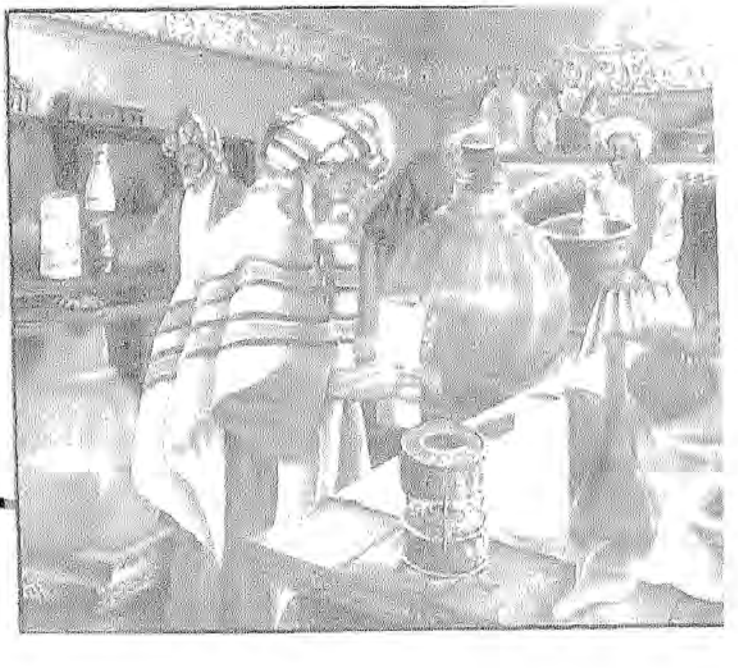
٢ـ زهير بن جناب: كان سيد قومه، وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم... وطبيبهم.

٣ـ رباح ابن عجلة: كان يقيم باليمامة.

٤ـ الأبلق السعدي: من أهل نجد.

٥ـ الحارث ابن كلدة الثقفي: هو أبو وائل ابن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي، أصله من الطائف، تعلم الطب في اليمن وجند يسابور في فارس. أشهر أطباء العرب قبل الإسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام(٣) لم يشر المؤرخون إلى إسلامه، كانت له معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاجه من المعالجة والمداواة وله كلام حسن فيما يتعلق بالطب وغيره.

ويسرد ابن أبي أصيبعة الحوار المستفيض الذي دار بينه وبين كسرى أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧١) والذي وردت فيه نصائح طبية منها ما كانت معروفة لدى عرب الجاهلية قبل الإسلام بشكل تطبيقي، وأخرى تشكل خلاصة الطب الذي تعلمه الحارث في اليمن وجنديسابور (اليوناني



منه واليمني الأصل). ولضيق المجال سوف لن أذكر الحوار. ولا بد من التأكيد على أن «طب الحارث كان ثورة طبية، ومنطلقاً إلى أعماق جديدة في المهنة بالنسبة لما كان لدى العرب من هذه الصنعة قبل عصر الحارث» «والحارث لم يعقب إلا بنتاً اسمها (أزده) ولم يكن له ابن باسم النضر» (٤).

وهناك اختلاف في تاريخ وفاته، قيل إن عمر (رضي الله عنه) ومعاوية سألاه مسائل في الطب (وربما كان ذلك قبل توليهما الخلافة) لأن من المرجح وفاته قبل خلافة عمر فقد جاء في العقد الفريد «قال الليث بن سعد عن الزهري، أهدي لأبي بكر طعام وعنده الحارث بن كلدة فأكلا منه، فقال الحارث: أكلنا سم سنة، وإني وإياك لميتان عند رأس الحول، فماتا جميعاً في يوم واحد عند انقضاء السنة، وإنما سمته يهود كما سمت النبي (ﷺ) بخيبر في ذراع الشاة» (٥).

٧ـ النضر بن الحارث بن كلدة: يقول الدكتور جواد علي «وقد نسب أهل الأخبار النضر بن الحارث على هذه الصورة (النضر ابن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار) وقالوا إنه من أشراف قريش وأسيادها.. ونصوا أنه كان من كفار قريش شديد العداوة لرسول الله، وأنه ابن خالة الرسول (ﷺ)، ولهذا فلا يمكن أن يكون النضر هذا ابناً للحارث بن كلدة الثقفي الذي هو (الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج) على رواية من ضبط نسبه من أهل الأخبار. ثم ان الحارث بن كلدة الثقفي، لم يخلف إلا ابنة يقال لها أزدة، على ما ذكره أبو عبيدة، لذلك فلا يمكن أن يكون النضر بن الحارث ابناً له، كما ذهب إلى ذلك ابن أبي أصيبعة وغيره، لاسيما وأن ابن أبي أصيبعة نفسه قد جعله

في عـداد المشـركين من قـريش الذين آذوا الرسـول (ﷺ)، وذكـر أنه ابـن خـالـة النبي، وأنه أذاه وساهم مع المشركين في معركة بدر، فأسر. وأن أخته قتيلة قد رثته بشعر دَونهُ. وما دَونهُ عنه دونه غيره من ترجمته (النضر ابن الحـارث بن كلدة بن عبـد مناف بن عبـد الدار القرشي). وتجده مذكوراً مع شعر الرثاء في كـتـاب نسب قـريش للزبـيـري، وهو من العالمين بنسب قريش ومن المتقدمين على ابن أبي أصيبعة» (٦).

وبقي النضر على عناده وكفره وعداوته للرسول (ﷺ) وقتل يوم بدر.

٨ ـ ابن أبي رمثة التميمي: كان طبيباً على عـهـد الرسـول (ﷺ) مـزاولاً لأعـمـال اليـد وصناعة الجراحة.

٩ـ ضماد بن ثعلبة الأزدي: أدرك الرسول (ﷺ) وأسلم.

١٠ ـ الشـمـردل بن قـبـقـاب الكعـبي النجراني: أدرك الرسول (ﷺ) وأسلم.

١١ ـ الحـارث بن كـعب: متطبب عـاصـر النبي (ﷺ)، وقيل انه حضر وفاة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بـالطعنة القـاتلة، وربما شارك في مداواته.

١٢ ـ سـعد الأسلمي: كـاهن ومتطبب وهو والد رفيدة الأسلمية.

القسم الثـاني: الطب في عـهد الرسـول (ﷺ) والخلفاء الراشدين:

الطب النبـوي: بـحث مـوضـوع الطب النبوي عبر مراحل التاريخ الإسلامي من قبل العـديد من أعـلام الفـقـه والطب المسلمين، وألف فـيـه العـديد من الكتب. لذا فـتـغطيـة الموضوع في هذه العجالة أمر مستحيل، وما سأقوم به هنا هو الإشارة لبعض معالم هذا الطب.

بُعث الرسـول مـحـمـد (ﷺ) رسـولاً للإنسانية كافة في أرض أصيلة فقيرة بالطب والأطباء كما ذكرنا. ولكن، لما كان ليس من مهمات الرسل عليهم السلام أن يعلموا الناس الطب ولا القيام بإيضاح العلوم الكونية، لذا فـقـد ترك ذلك لجـهـود البـشـر وتجـاربهم وأبحاثهم العلمية، ومع ذلك لم يخل تشريع سماوي من وصايا تنادي بالنظافة والطهارة والاعـتـدال في الطعـام والشـراب وتحـريم الإضرار. وكان نصيب الإسلام من ذلك القسط الأوفر، وجاء ذلك في القرآن الكريم وأحاديث المصطفى (ﷺ).

ويعـرف أصـحـاب الاخـتـصـاص الطب النبوي بأنه مجموعة النصوص المتعلقة بالطب والتي ثبتت نسبـتـهـا إلى الرسـول (ﷺ) بطريق الاختصاصيين بعلوم الحديث، ويقسمونه الى:

١ ـ **الطب النبـوي الوقـائي**: وهو أوسع قسم لأن الطب الوقائي من مـهمـات الدولة أيضاً، والنبي محمد (ﷺ) هو أول مؤسس لدولة عربية إسلامية، وأن تعـاليمه في هذا الباب تناولها الكثيرون وتناولناها بالتفصيل في كتابنا (الطب الوقائي النبوي) وسنكتفي هنا بإيراد بعض المسائل البارزة والتي تشمل هديه (ﷺ) في الوقاية من الأمراض المعدية.

أ ـ النظافة الشخصية: حرص الإسلام كل الحـرص على مسألة النظافة يقول (ﷺ) «النظافة شطر الإيمان». وإضـافـة لفرض الوضوء قبل كل صلاة كسبيل إلى النظافة وتطهـيـر لأعـضـاء الإنسـان يوصي (ﷺ): «اغسل يديك قبل الأكل وبعده».

وعن حـفـصـة (رضي الله عنها) «أن النبي

(ﷺ) كان يجعل يمينه لأكله وشربه وثيابه وأخذه وعطائه، وشماله لما سوى ذلك» رواه أحمد.

ويقول (ﷺ) «قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها» ولما كان الشيطان عدوا للبشر فيمكن اعتبار الميكروبات من جنس المخلوقات الضارة بالبشر كالشياطين.

ويقول (ﷺ) أيضاً «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». ويقول (ﷺ) «حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده» وقال أيضاً «خمس من الفطرة، الاستحداد - أي حلق شعر العانة - والختان، وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر» رواه الجماعة.

ب - *صحة البيئة*: لصحة البيئة مكانة خاصة في هدي النبي (ﷺ)، فمن تعاليمه في نظافة الطعام والشراب قوله (ﷺ) «أوكئوا - أي شدوا أفواه - قربكم واذكروا اسم الله، وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله» رواه البخاري.

وشدد(ﷺ) على عدم تلويث مصادر المياه «اتقوا الملاعن الثلاث - البراز في الموارد - أي موارد المياه - وقارعة الطريق والظل» رواه أبو داود.

ونهى (ﷺ) عن التبول في الماء الراكد والجاري. وقال أبو هريرة (رضي الله عنه)، سمعت رسول الله ﷺ يقول «من غسل سخيمته على طريق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» والسخيمة تعني الغائط.

ج - *التعاليم الوقائية عند حدوث الأوبئة*: من إرشاداته الوقائية (ﷺ) عند إصابة أحد بمرض معد عزله عن الأصحاء يقول (ﷺ) «لا يورد ممرض على مصح» أخرجه



البخاري. ومن أقواله (ﷺ) «كلّم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين» وقال «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد».

وقد وضع أساس الحجر الصحي وذلك بنهيه أهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج ومنع من هم خارجه من الدخول إليه فقال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها» رواه البخاري.

٢- الطب النبوي العلاجي: على الرغم من أن توضيح ذلك ليس من مهام الرسالة السماوية، فقد ورد عنه (ﷺ) بعض الإرشادات حسب المستوى العرفي الذي كانت عليه الإنسانية في ذلك العصر من ذلك.

أ- *الترغيب بالتداوي بالعقاقير*: وبين أن ذلك لا يتنافى مع التوكل على الله والإيمان بالقدر. وأهم ما روي عنه (ﷺ) استعمال الماء البارد لعلاج الحمى، يقول (ﷺ) «إنما الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»، وعلاجات لبعض الأمراض الجلدية

والاكتحال بالإثمد واستعمال ماء الكمأة والحبة السوداء في علاج الزكام والقسط الهندي سعوطا لأمراض البلعوم، والعسل في معالجة بعض أمراض البطن والسنا ضد الأمساك.

ب ـ *المعالجة الوحية*: بالدعاء والرقى الإسلامية عوضا عن وسائلها المعروفة في الجاهلية والمتنافية مع العقل ومع تعاليم الدين الحنيف. واستعملت هذه الطريقة في معالجة الأمراض النفسية وفي بعض الأمراض عند فقدان العقارات الشافية وكذلك بالمشاركة مع الأدوية المتوفرة لبعث الأمل والطمأنينة وعزل العنصر النفسي.

ج ـ تصحيح *أخطاء شائعة في المداواة الشعبية* كالمبالغة في المعالجة بالكي والحجامة المدماة. وكذلك التأكيد على الحمية وهناك أمور كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

٣ـ هديه (ﷺ) في ممارسة المهنة الطبية: نجد في نصوص الطب النبوي شيئاً مما يتعلق بممارسة المهنة الطبية، لأن تنظيم الممارسة من مهام الدولة وبالتالي من مهام الرسول (ﷺ) فمن ذلك:

أـ نبه (ﷺ) إلى التشخيص الصائب واختيار الدواء الملائم، ونبه أيضاً في التداوي بالرجوع إلى أهل الخبرة، وحذر المدعين بأنهم ضامنون لما ينجم من أضرار نتيجة جهلهم.

ب ـ أما إتقان العمل والأمانة فيه، والتحلي بالأخلاق الحميدة والنجدة لتفريج الكروب وكتمان السر، فإن ذلك من تعاليم الإسلام لكل فئات المجتمع وفي كل المهن والأطباء منهم بل عليهم تطبيق ذلك بشكل أعم وأشمل.

٤ـ أثر التعاليم المحمدية في نهضة العرب الطبية: تعتبر التعاليم الصحية والأساليب الوقائية التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) جزءاً من تعاليم الدين، فالمسلم المتمسك يتقبلها ويطبقها طاعة لله ورسوله. أما لماذا لم يجمد الأتباع على معارفهم بل أقبل الكثير منهم في القرون الهجرية الأولى على تلقف مختلف العلوم الطبية حتى أضحت الحضارة العربية الإسلامية منارة العالم كله لعدة قرون، وحظي الأطباء فيها بالمكانة السامية لدى الخلفاء والعامة ولو كانوا من غير المسلمين، والتاريخ يشهد بذلك والجواب على ذلك هو الآتي:

أ ـ أن الإسلام رغب في العلم النافع مهما كان نوعه وأبان أن العلم لا يقف عند حد، يقول عز وجل «وقل رب زدني علماً».

ب ـ إشارة الرسول (ﷺ) إلى أن لكل داء دواء علمه الطبيب أو جهله، ما اكتشفه العلم أولا يزال مجهولاً» باستثناء الموت والهرم حيث قال «يا عباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله».

ج ـ أوضح الرسول (ﷺ) أن الأمور الكونية تستند إلى علوم لا تدخل في مهمة رسالته (ﷺ)، وإن كان يشملها بالتوجيه الخلقي الإنساني الرباني، حتى تستخدم هذه العلوم لمنفعة الإنسان وصالح الإنسانية ضمن الإطار الأخلاقي، قال (ﷺ) «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

وبذلك أكد أنه لم يبعث (ﷺ) ليحجر على العقل ويعطيه الحلول الجاهزة، وذلك لأن الله سبحانه أستخلف الإنسان في الكون وأعانه على تحمل المهمة بأمرين الوحي

والعقل، الوحي فيما لا يستطيع أن يصل إليه بذاته، والعقل وآلاته فيما يمكن أن يصل إليه بذلك.

د ـ رغّب الرسول (ﷺ) في نشر العلم وبين ثواب ناشره فقال (ﷺ): «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

لقد اكتسب أصحاب رسول الله (ﷺ) من تعاليم دينهم وتوجيهات نبيهم مرونة فكرية وتطلعاً للعمل وحباً في نشره وتشوقاً للاكتشافات وتقبلاً لما يجد من حقائق علمية، واكتسب منهم التابعون ما اكتسبوا ولو أن معظمهم كان منشغلاً بالجهاد.

ولذلك استفادوا من العلوم الطبية الموجودة في البلاد التي حرروها من الاستعمار الفارسي والروماني ومن العبودية لغير الله.

الأطباء في فجر الإسلام:

أـ الأطباء: لقد أدرك قسم من أطباء الجاهلية الإسلام، ومارسوا الطب في فجر الإسلام ممن ذكرنا سابقاً من أمثال الحارث بن كلدة، وابن رمثة التميمي، والشمردل بن قبقاب، وضماد ابن ثعلبة.

وإضافة لهؤلاء كان هناك آخرون يمارسون الطب في هذه الفترة، أغفل المؤرخون ذكر أغلبيتهم وممن جاء ذكرهم:

١ـ *الطبيب يزيد بن عمر بن وعلة:* ينتهي نسبه إلى جشم بن عبد شمس وهو والد الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب الذي أدرك الإسلام والذي توفي سنة ٢٥ هـ/ ٦٤٥م (٧).

٢ـ *أثير بن عمر السكوني الطبيب الكوفي:* يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان «أنه لما جرح علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وجمع له الأطباء، لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم، كان أبصرهم بالطب أثير بن عمر السكوني الطبيب الكوفي المعروف بابن عمر[٨].

٣ـ *الساعدي الطبيب:* « عندما ضرب البرك بن عبدالله معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بالسيف ليلة ضرب فيها علي (كرم الله وجهه)، بعث معاوية إلى الساعدي الطبيب فعالجه فشفي» [٩].

ب ـ الطبيبات: لم يكن الطب في فجر الإسلام وقفاً على الرجال ولكن زاولته النساء أيضاً وبرعن فيه، منهن:

١ـ *عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها):* قال هشام بن عروة «ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلت يا خالة ممن تعلمت الطب؟ قالت كنت أسمع الناس يبعث بعضهم لبعض فأحفظ»، وعنه قال، قلت لعائشة يا أم المؤمنين أعجب من بصرك بالطب، قالت يا ابن أختي: إن رسول الله (ﷺ) لما طعن في السن سقم فوفدت الوفود فسمعت»(١٠).

٢ـ *أسماء بنت عميس:* (زوجة أبي بكر الصديق) (رضي الله عنها) اشتهرت بالتطبيب.

٣ـ *سودة بنت مسرح:* قابلة من قابلات العرب، كانت تقبل فاطمة بنت النبي (رضي الله عنها)، وروى عنها عروة بن فيروز (١١).

٤ـ *الشفاء بنت عبدالله القرشية:* اشتغلت في الطب، ومما اشتهرت به معالجتها النملة (نوع من الأكزيما). توفيت أيام خلافة عمر (رضي الله عنه) سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠م.

٥ـ *رفيدة الأسلمية بنت سعد الأسلمية:* جاء اسمها في بعض المصادر (كعيبة) وفي مصادر أخرى (رفيدة)، ولكن تغلب تسميتها في أغلب المصادر على أنها رفيدة، آسية وطبيبة متميزة بالجراحة» (١٢).

تعلمت التمريض والتطبيب من والدها الكاهن سعد الأسلمي. بعد إسلامها، جمعت صاحباتها المؤمنات، وقامت بتعليمهن التمريض ورعاية الجرحى، ونصبت لها خيمة في المدينة المنورة في مسجد رسول الله (ﷺ) للقيام بالتمريض والتطبيب.

«وهكذا كانت رفيدة بنت سعد الأسلمية أول ممرضة ومطببة في الإسلام، وهي بذلك منشئة أول مدرسة للتمريض في العالم، وصاحبة أول عيادة في الإسلام وواضعة للقواعد الصحيحة للتمريض» (١٣).

ج ـ الآسيات (وفي اصطلاحنا تعني الممرضات).

كان العرب يطلقون الآسيات والأواسي على النساء العربيات واللاتي يعملن في تضميد الجراح وجبر العظام والوقاية من النزف وغير ذلك من أعمال الإسعاف. ومن بين الآسيات اللاتي اشتهرن (١٤):

أ- آسيات فجر الإسلام:

١ـ *نسيبة بنت كعب المازنية*: اشتركت في غزوة أُحد، يعتبرها البعض أول ممرضة في الإسلام. إلا أننا نميل إلى تسمية رفيدة السابقة الذكر أول ممرضة في الإسلام.

٢ـ *أمية بنت قيس الغفارية*: خرجت زعيمة للآسيات، ولما تبلغ السابعة عشرة من عمرها في غزوة خيبر، وقد أكبر الرسول (ﷺ) حسن بلائها فقلدها بعد إنتهاء الغزوة قلادة تشبه الأوسمة الحربية في عصرنا الحاضر.

٣ـ *الربيع بنت معوذ*.

٤ـ *أم سليم حلمان بن خالد*.

٥ـ *أم سنان الأسلمية*

٦ـ *أم أيمن بركة بنت ثعلبة*.

٧ـ *خمنة بنت جحش*.

٨ـ *أم عطية الأنصارية*.

٩ـ *أم رمثة بنت عمر بن هشام بن عبدالمطلب*.

١٠ـ *أم سليط*.

١١ـ *بحيته بنت الحارث*.

١٢ـ *أم الحارث الأنصارية*.

١٣ـ *أم زياد الأشجعية*.

١٤ـ *سلمى مولاة الرسول (ﷺ)*.

١٥ـ *صفية بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)*.

١٦ـ *أم الضحاك بنت سعد الأنصارية*.

١٧ـ *أم منيع عمر بن عدي بن سنان*.

١٨ـ *معاذة الغفارية*.

١٩ـ *ليلى الغفارية*.

٢٠ـ *أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث (الشهيدة)*.

ب ـ آسيات الفتوح الاسلامية.

خلدت كتب التاريخ خلال الفتوحات الإسلامية ذكر نساء مسلمات أخريات كن يخرجن إلى القتال مع أزواجهن وإخوانهن وآبائهن ليقمن بتحضير الطعام وسقي الماء وتضميد الجرحى ومعالجة المصابين والمرضى نذكر منهن:

١ـ *أميمة بنت أبي بشير بن يزيد*: شهدت اليرموك مع بعلها عبدالله بن قرط الأزدي.

٢ـ *أسماء بنت يزيد*: اشتركت في إسعاف الجرحى ومقاتلة الروم في معركة اليرموك.

٣ـ *أم حبيب بنت العاصي القريشية*: أدركت عصر النبوة وشهدت معركة اليرموك.

٤ـ *أم حكيم بنت الحارث المخزومية*: أبلت بلاءً حسناً في معركة اليرموك.

٥ـ *أم موسى بن نصير*: شهدت مع زوجها اليرموك، آسية ومقاتلة.

إدارة وتنظيم المكتبات الإسلاميّة

بقلم: الدكتور ربحي مصطفى عليان

إن وجود المكتبة في أي حضارة من الحضارات، ووفرة الكتب فيها يعتبر أمراً غير كاف في حد ذاته، ويجب أن يتوفر إلى جانب ذلك ناحية أخرى مهمة وهي كيفية تنظيم المواد في المكتبة وحُسن إدارتها. ولقد كانت المكتبات في الإسلام منظمةً تنظيماً رائعاً وجيداً. نحسدها عليه – نحن المسلمين – في القرن العشرين. وقد مكّنها هذا التنظيم من خدمة روادها أفضل خدمة ممكنة بمقاييس ذلك الزمان.

لم يكن للمكتبات الإسلامية أول الأمر أبنية مستقلة خاصة بها، ولا نعرف شيئاً عن هذا الموضوع بالنسبة للمكتبات الأولى في الحضارة العربية الإسلامية. ويغلب الظن أن المكتبة كانت جزءاً غير مستقل عن المؤسسة نفسها. أما المكتبات الكبرى كدار العلم التي أسسها الفاطميون في القاهرة، فقد كان لها بناء مستقل خاص بها أسّس منذ اللحظة الأولى ليكون مكتبةً. وقد كان عدد غرف مكتبة الخلفاء الفاطميين أربعين غرفةً في القصور الداخلية، مما يؤكد إتساع هذه المكتبة التي تضاهي المكتبات الضخمة في أيامنا هذه. والشيء نفسه يُقال عن مكتبة دار العلم في بغداد التي أسسها سابور بن أردشير، حيث اشترى لها داراً خاصةً. وكذلك الحال مع بقية المكتبات الأخرى في البصرة والموصل والريّ ومرو وغيرها. إذ نفهم من المصادر التي وصلتنا أن هذه المؤسسات كانت في دور خاصة مستقلة. أما مكتبات المساجد والجوامع والمشافي والمدارس، فقد كانت في الغالب ملحقةً بالمؤسسة التي وجدت من أجل خدمتها.

وقد أُلحق بأغلب المكتبات الكبرى في الإسلام غرفة أو أكثر، أعدت للنسخ، فيجلس فيها النسّاخ على مراتب مهيأة لهم وبشكل معين، وينسخون الكتب التي يطلب منهم نسخها، وكان هناك موظف أو أكثر مهمته جلب الكتب إلى النساخ وخدمتهم.

كذلك كانت المكتبات الإسلامية تزوّد بالبسط والسجاجيد والستائر وجميع أنواع

الأثاث الذي يساعد القارىء على المطالعة ويوفر له الراحة، كما هو الحال في دار العلم في القاهرة التي لم تفتح أبوابها للجمهور، إلا بعد أن فرشت وزخرفت، وعلّقت على جميع أبوابها وممراتها الستائر وكانت فيها غرفة خاصة للمطالعة، وغرف أخرى من أجل المناظرة والبحث والإجتماعات والمحاضرات، وقد وجدت مكتبات عربية حوت غرفاً للموسيقى.

وكان يعلّق على المدخل الرئيسي ستارة سميكة غليظة في فصل الشتاء، لمنع دخول الهواء البارد إلى المكتبة. أما الغرف المعدة لخزن الكتب فقد زوّدت بالأرفف اللازمة لذلك، وكان أغلب الرفوف مفتوحاً ويمكن الوصول إلى محتوياتها بسهولة. أما الكتب الثمينة فكانت تحتفظ في رفوف خاصة مغلقة لكيلا تمتد إليها أيدي العابثين والطامعين.

وقد درجت أغلب المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية على تزويد روادها بالحبر والأقلام والمحابر والأوارق، وكلّ شيء يساعدهم على القراءة والنسخ. كذلك أضافت بعض المكتبات الإسلامية الكبرى إلى مجموعاتها مواد أخرى ليست كتباً كالأدوات الفلكية والكرات الأرضية ونحوها.

وقد كانت المكتبات الإسلامية الكبرى توضع تحت إدارة ثلاثة أشخاص هم:

أولاً: المشرف الأعلى ويسمى الوكيل.

ثانياً: أمين المكتبة ويسمى الخازن.

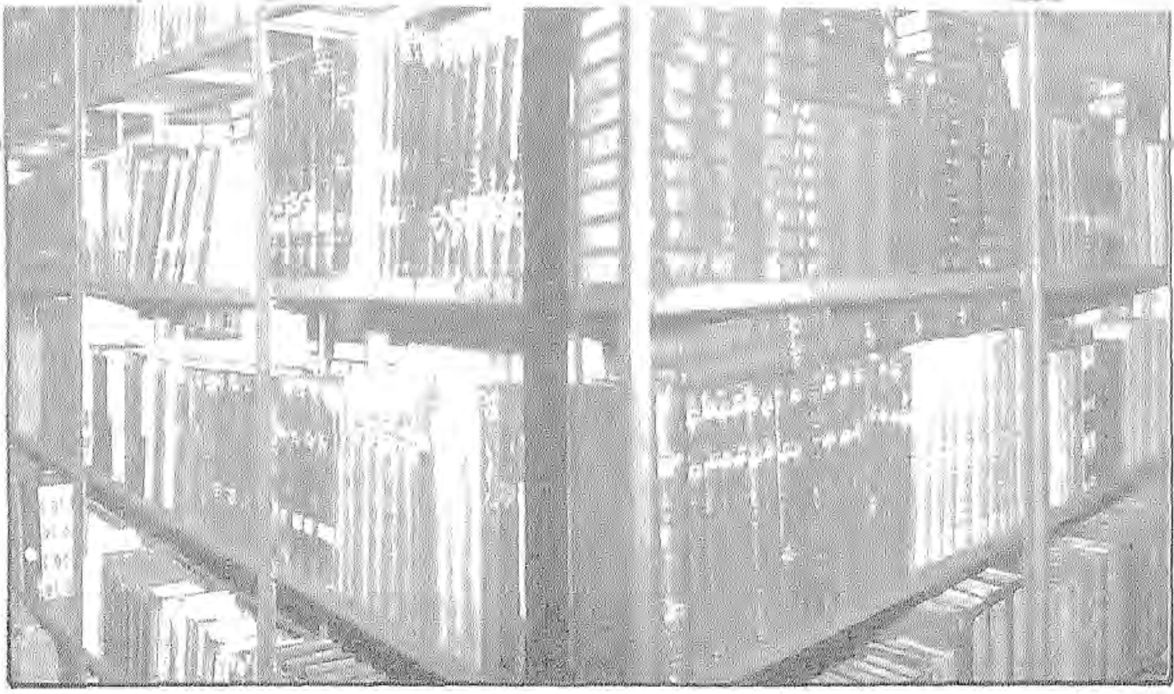
ثالثاً: مساعد ويسمى المشرف.

وأحياناً كانوا يصنّفون بأشكال مختلفة كالخازن والمشرف والمناول وذلك لأن سلطة كل واحد لم تكن واضحة تماماً أو محددة بالضبط، بل وجد تداخل في الإختصاصات وتضارب في الصلاحيات. وبشكل عام فقد كان هؤلاء رجالاً هم في الذروة من مجتمعهم حسباً ونسباً وعلماً وفضلاً وأمانةً وصدقاً. وبطبيعة الحال، كان هناك فراشون وبوابون وخدم في جميع المكتبات العربية الإسلامية وذلك من أجل خدمة المكتبة وصيانتها وتنظيمها ومن أجل خدمة القراء. وقد أوجد هؤلاء دواء للعت والإرضة التي تأكل الورق والمخطوطات واستعملوه لحماية الكتب من التلف. كذلك عمل في المكتبات العربية الإسلامية عدد من النسّاخ والمجلدين والخطاطين بحسب حجم المكتبة ومتطلباتها وإمكاناتها المادية.

وقد تولى إدارة المكتبات العربية الإسلامية ألمع الشخصيات وأذكاها حتى أن سمعة عدد كبير من المكتبات الإسلامية وعظمتها وأهميتها تعود بشكل رئيسي إلى الرجال الذين تولوا القيام بمهامها وأمورها. وإذا ما استعرضنا أسماء «هؤلاء المكتبيين وجدنا أنهم رجال أدب وعلم وفضل وأن لهم المؤلفات العديدة.

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، ابن مسكويه المؤرخ الشهير، الذي كان خازناً لمكتبة عضد الدولة، وعليّ بن محمد الأديب





الفاضل الذي كان أميناً لخزانة كتب العزيز بالله الفاطمي والشريف المرتضى الذي كان وكيلاً لمكتبة سابور. وممّن عمل في مكتبة سابور أيضاً أبو منصور الخازن وأبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري الذي كان عالماً أديباً قارئاً للقرآن الكريم.

أما أبرز أمناء مكتبة المدرسة النظامية في بغداد فتذكر المصادر أبا يوسف الأسفراييني الذي كان شاعراً وأديباً. ومحمد بن أحمد الأبيوردي وعليّ بن أحمد بن بكري وهم من المؤلفين وأصحاب المصنّفات. أما مكتبة المستنصرية فهناك العديد ممّن تولى الإشراف على شؤونها فعند الافتتاح، عيّن الخليفة علي بن الكتبي خازناً للمكتبة، وعيّن العماد علي بن الدباس مشرفاً وإبراهيم بن الحذيفة مناولاً.

ومن أشهر من تولى أمر خزانة كتب المدرسة المستنصرية اثنان اشتهراً بأنهما من المؤلفين البارزين في زمانهما وهما ابن القوطي ويُوصف بأنه كاتب ومؤرخ وفيلسوف وحسن الخط، ألف في التاريخ العديد من الكتب، أما الثاني فهو ابن الساعي تاج الدين علي بن أنجب، وكان مؤرخاً وإماماً حافظاً وقارئاً ومحدثاً وشاعراً ومن أشهر كتبه (التاريخ الكبير في بغداد).

وقد اهتم المسلمون أيضاً بفهرسة مكتباتهم وتصنيفها وتنظيمها بحيث يسهل الوصول إلى محتوياتها وتناولها من قبل الباحثين والدارسين. وقد انتبه أوائل مؤسسي المكتبات الإسلامية إلى أهمية الفهارس والتي كانت على نوعين: إما مكتوبةً في مجلدات وتستعمل كالكتب تماماً، حيث يرجع إليها المطالع الباحث من أجل معرفة محتويات المكتبة، وإما أن تكون أسماء الكتب والمؤلفين مكتوبةً على لائحة معلقةٍ على كل قسمٍ من الأقسام. وقد كان كلا النوعين شائع الاستعمال في المكتبات العربية الإسلامية.

وقد بلغ الأمر في بعض المكتبات أن وصل عدد فهارس الدواوين الشعرية فيها إلى أربعة وأربعين فهرساً، في كل فهرس عشرون ورقة، فكيف بفهارس الموضوعات الأخرى. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حجم مقتنيات المكتبات العربية الإسلامية وتنظيمها الذي كان موضوعياً كما يبدو، أي حسب الموضوعات. وقد كانت الفهارس تعرف بثبت الكتب في المكتبات العربية

الإسلامية. وقد كانت الكتب في المكتبات الإسلامية مرتبةً ومنظمةً وذلك ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها. على أن ترتيب الكتب على الرفوف في المكتبات العربية الإسلامية اختلف عن ترتيبنا الحالي لها. ذلك أنهم كانوا يضعـون الكتب على الأرفف مستلقيةً الواحد فوق الآخر، بحيث تكون المجلات ذات الحجم الكبير أو الضلع الكبير في الأسفل، والصغرى وذوات الضلع الصغير في الأعلى حتى لا تتساقط من على الرفوف.

أما عنوان الكتاب واسم مؤلفه فلم يكونا يكتبان على كعب الكتاب كما هو متبع الآن، وإنما على أطراف صفحات الكتاب ومن الجهة الخارجية للرف. أما الكتب الثمينة، فقد خُصصت لها صناديق خاصة في حجم كل كتاب. وكتب اسم المؤلف وعنوان الكتاب على جانب الصندوق.

بالنسبة للأمور المالية للمكتبات العربية الإسلامية، فلا ندري بالضبط، وليس لدينا مصادر كافية لنعرف موازنتها. ولكن يبدو من الملاحظات الواردة في بعض المصادر، أن الأموال التي كانت تنفق على المكتبات لم تكن قليلة بأي حال من الأحوال. فقد أوقف مؤسسو هذه المكتبات الأوقاف السخية ليضمنوا استمراريتها وحُسن أدائها لمهمتها التي وجدت من أجلها وبخاصة بعد وفاة مؤسسها كما فعل المأمون ونظام الملك والحاكم بأمر الله والحكم الثاني والمستنصر بالله وغيرهم.

وقد كانت الميزانية المخصصة لمكتبة بيت الحكمة في بغداد موزعةً على النحو التالي:

* ثمن الورق للنسخ.... تسعون ديناراً.

* رواتب الخازن والمشرف والفراشين وغيرهم... خمسة وسبعون ديناراً.

* إصلاح الكتب وترميمها.... اثنا عشر ديناراً.

* ثمن الماء.... اثنا عشر دينارا.

* الحصر وفرش الأرضية.... خمسة عشر ديناراً.

* ستائر (ترميم وصيانة).... دينار واحد.

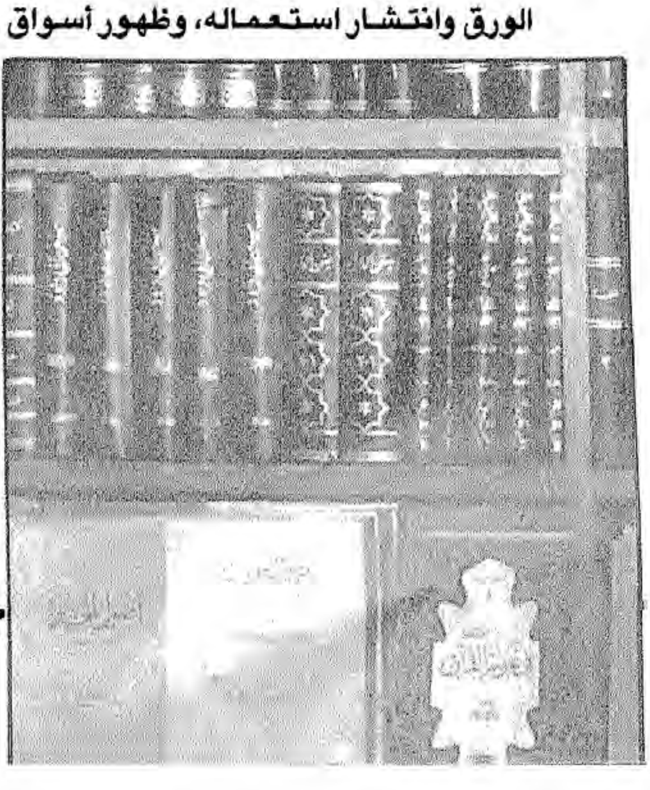
ومما سهّل عمل الباحث المسلم أن الكتب كانت متوفرة في المكتبات العربية الإسلامية للجميع من أجل المطالعة الحرة، وكانت الأوراق والأقلام والحبر تقدّم بالمجان لمن يريد استنساخ شيء من مقتنيات المكتبة. كذلك فقد أدت تسهيلات الإعارة والمطالعة والإستنساخ وسهولة الوصول للكتب إلى استغناء الباحثين والعلماء عن شراء الكتب وإنفاق الأموال في شرائها، وبخاصة إذا كانت أحوالهم الاقتصادية ليست على ما يرام. فهذا أبو حيان الغرناطي لم يشتر كتاباً واحداً لأنه إذا أراد كتاباً استعاره من المكتبة وقضى حاجته.

أما الإعارة خارج المكتبة، فقد اختلفت شروطها باختلاف الظروف. والمبدأ الأساسي هو السماح بإعارة الكتب أحياناً دون مقابل وأحياناً مقابل رهن. فهذا ياقوت الحموي يقول: إن الإعارة الخارجية في مكتبات مدينة مرو كانت مباحة وبأعداد كبيرة، ولهذا كان مسروراً في الإقامة بتلك المدينة. ولولا غزو التتار لما فارقها حتى الممات.. وعندما فارقها كان فيها عشر مكتبات لم يرد في الدنيا مثلها كثرةً وجودةً... وكانت كتبها سهلة التناول. ويبدو أن القاعدة كانت السماح بإعارة الكتب للأشخاص المعروفين والموثوقين.

وبمناسبة الحديث عن الإعارة في المكتبات العربية الإسلامية، فلابد أن نذكر أن العادة جرت أن يستعير الأدباء والعلماء المسلمون بعضهم من بعض. وقد كان بعضهم ضنيناً بكتبه وبخاصة الأصول منها، حيث لا يعير الأصل بل نسخة منسوخة عنه. في حين وجد آخرون كرماء وأسخياء في إعارة كتبهم وبخاصة لطلاب العلم.

وقد كانت المكتبات الإسلامية تحرص على أن تملك أكبر كمية ممكنة من الكتب المخطوطة بخطوط مؤلفيها، حيث كانت تتفاخر بذلك. وكانت المكتبات العربية الإسلامية تحصل على كتبها بطرق متعددة أهمّها الشراء والوقف والنسخ والهبات والهدايا والمصادرة. أما القاعدة الرئيسية في إغناء المكتبات العربية الإسلامية بالكتب فكانت من خلال الشراء، حيث ازدهرت تجارة الكتب في العالم الإسلامي ازدهاراً واسعاً، واشتغل بها علماء وأُدباء أجلاَّء مثل ياقوت الحموي الذي كان تاجراً للكتب يشتريها ويبيعها وينقلها للبلاد المختلفة.

وقد ظهرت تجارة الكتب في العالم الإسلامي في وقت مبكر جداً، أي منذ دخول الورق وانتشار استعماله، وظهور أسواق



وحوانيت الورّاقين ودكاكينهم التي كانت تبيع الكتب كأية سلعة عامة. وقد كان الخلفاء يبعثون الرسل إلى أسواق الوراقين من أجل الحصول على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات.

وقد جرت العادة أن تُباع كتب العالم بعد موته، ولاسيما إذا كان أولاده لا يحبون الكتب أو العلم أو لأي سبب آخر. وقد كانت تقام الحلقات لبيع الكتب وكان ينادي عليها بالمزاودة. وكان بعضهم يستغل جهل البائع بقيمة الكتاب فيشتريه بأرخص الأسعار. هذا وقد منع بعض الحكام تصدير الكتب من ديارهم إلى أي بلد آخر، وبخاصة إذا كانت تلك الكتب نادرةً. ذلك أنهم يريدون أن تبقى تلك الكتب في البلاد التي يحكمونها، لأن في ذهابها إضعافاً للحركة الثقافية.

أما بالنسبة لأسعار الكتب فقد اختلفت باختلاف العصور والدول والأزمان والأماكن وهناك صفات ومواصفات معينة تحكمت في أسعار وأثمان الكتب العربية الإسلامية ,منها:

أولاً: جودة خط الكتاب وشهرة الخطاط.

ثانياً: نسبة المخطوط إلى شخص عظيم كالخليفة أو الوزير أو الأمير أو الحاكم وهذا ما يسمى بكتب العظماء. وتزداد قيمة مثل هذه الكتب مع ارتفاع مكانة الشخص الذي كان يملك هذه الكتب سابقاً.

ثالثاً: شهرة مؤلف الكتاب وهذا طبيعي، فالكتاب الذي مؤلفه مشهور ومعروف أغلى ثمناً من الكتاب الذي ألّفه شخص مغمور أو ناشىء في عالم التأليف. فيذكر ياقوت أن نسخة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بيعت في القرن الرابع الهجري بعشرة آلاف درهم.

وقد كانت الكتب العربية الإسلامية تماماً كالسلع تخضع لقانون العرض والطلب، وكان لها أوقات رواج كما كانت تجارتها تصاب بالكساد أحياناً. فإذا وجد حكام شجّعوا الآداب والعلوم ازدهرت تجارة الكتب وراج سوقها وارتفع ثمنها. ويعتبر وقف الكتب على المكتبات مصدراً رئيسياً آخر من مصادر تزويد المكتبات العربية الإسلامية بالكتب. وقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير من المسلمين على وقف أشياءً كثيرةً على المساجد والمدارس والمعاهد والمشافي.. إلخ. ابتغاء ثواب الله تعالى والأجر في الآخرة، وكان للمكتبات نصيب موفور من المحسنين.

أما النسخ فيعتبر من أهم مصادر الحصول على الكتب للمكتبات العربية الإسلامية والواقع أن معظم هذه المكتبات كان عندها نساخ يتناوبون العمل فيها، ففي مكتبة بني عمار في طرابلس الشام على سبيل المثال كان هناك مئة وثمانون نساخاً يتناوبون العمل فيها ليل نهار، وكذلك الحال في معظم المكتبات العربية الإسلامية الضخمة. وقد أُلحق بأغلب المكتبات الإسلامية غرفة أو عدة غرف أعدت لجلوس النساخ لممارسة أعمالهم وقد زوّدت تلك الغرف بمستلزمات النسخ من أثاث وتجهيزات ومحابر وأقلام وورق...إلخ. ولم يكن باستطاعة أي انسان أن يحترف النسخ، إذ إن الشرط الأول والأساسي لهذه المهنة كان جودة الخط ووضوحه وصحته وكانت هناك طريقتان للنسخ:

الأولى: أن ينسخ فيها الناسخ بنفسه من المخطوط مباشرة دون مساعدة أحد، وبعد انتهائه من النسخ يراجع ما نسخه شخص آخر للتأكد من صحة ما نسخ. وأما الطريقة الثانية فهي أن يجلس عدد من النساخ في أماكنهم وأن يملي عليهم شخص آخر من مخطوط أريد الحصول على عدّة نسخ منه. وبعد الانتهاء من عملية النسخ، تجري عملية المقابلة للتأكد من صحة النسخ ودقته وأمانته.

هذا وقد كانت المكتبات العربية الإسلامية الضخمة تحوي قسماً للتجليد وكانت ترسل الكتب إلى ذلك القسم لتجليدها بعد الفراغ من نسخها. وقد اختلفت أجور النسخ حسب الأزمان والأماكن والأحوال والأشخاص والنساخ. كذلك اختلفت سرعة النسخ من ناسخ إلى آخر. وقد كانت مهنة النسخ مهنة الصالحين والفضلاء الذين يريدون أن يكسبوا رزقهم حلالاً وبكدّ يمينهم. هذا وقد كان من أهم صفات الناسخ أن يتحلى بالأمانة فيما ينقل وينسخ، إذ يجب أن ينقل طبق الأصل وإلا فسد المعنى وضاعت الفائدة. ولهذا كانت مهنة النسخ من المهن المتعبة والمكروهة وحتى غير المحترمة.

قائمة المصادر

١) أبو بكر الهوش. الجوانب الإدارية والفنية في المكتبات الإسلامية - تراث الشعب - ع٦ (١٩٨٢) - ص ١٨، ٢٨.

٢) محمد ماهر حمادة. المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها - بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.

بين العامّية والفصحى

إعداد: مصطفى الدغيدي

قد تتفق اللهجات العامية مع اللغة الفصحى في كثير من الألفاظ، وإن كانت أحياناً تأتي مختلفة في التشكيل فقط.

(الدِّهليز) بكسر الدال: ما بين الباب والحجرات، أو ما بين الباب والدار، أو المدخل إلى البيت. والجمع دهاليز. والدَّهليز في العامية بفتح الدال.

(المَرْجوحة) بفتح الميم. والأرجوحة: بضم الهمزة، والرجَّاحة: حبل يعلق ويركبه الصبيان. وفي العامية يُقال: المُرْجيحة بضم الميم.

(البَوْس) بفتح الباء وتسكين الواو – وهو التقبيل. وفي العامية بضم الباء البُوس.

(الدون) يُقال: شيء من دون، ورجل من دون أي حقير وساقط. وقد تحذف مِنْ كما في العامية فيقال: رجل دون. ودان يدون دونا صار خسيساً أو ضَعُف بعد قوة. والكذب هو خصلة الآدمي الدون.

(المرأة) مؤنث الرجل ويجوز نقل حركة الهمزة إلى الراء مع حذف الهمزة فتصير (مَرَه) كما في العامية. والمرء: الإنسان أو الرجل وجمعه رجال من غير لفظه. ويُقال للأنثى:

امرأة أو مرة والجمع نساء أو نسوة من غير لفظها.

(الريق) يُقال: أنا على الريق لم أذق طعاماً، وشربت على الريق. هذا صحيح في اللغة. كما أنه في العامية كذلك. والريق: ماء الفم. والرائق: الخالص أو كل ما أُكِلَ أو شُرِب على الريق.

(الزِّرب) والزريبة بفتح الزاى موضع الغنم وفي العامية بكسرها وجمع الزرب زروب مثل فَلْس وفُلُوس. وجمع زريبة: زرائب مثل كريم وكرائم والزِّرب بكسر الزاى لغة.

(الزغردة) زغردة النساء في الأفراح معروفة. وأصلها ما ورد أن آدم وحواء لما هبطا من الجنة واجتمعا بعرفة بعد فراق ولولت حواء من شدة الفرح بالزغردة فاعتادتها النساء. وفي العامية زغروتة وزغاريت وزغرتي.

(الشجاع) يُقال: هذا رجل شجاع وشجيع والأخير نسمعه كثيراً على ألسنة العامة.

وفي القاموس المحيط: الشجاع يأتي مثلث الشين في الحركات، ويأتي على وزن أمير وهو الشديد القلب عند البأس. وشَجُع شجاعة قَوِيَ قلبه واستهان بالحروب جراءة فهو شجيع وشجاع.

(العجيج) عجعج وعجّ يَعِجُّ عجيجاً

صاح ورفع صوته مطلقاً، أو رفع صوته بالتلبية وهو مثل ضَرَبَ في الوزن. والعجَّاج والعجعاج من يرفع صوته بالصياح. وفي العامية يُقال: جعجع وهو جعجاع. وفي الأمثال العربية أسمع جعجعة ولا أرى طحنا.

(كَيْتَ وكَيْت) يقال كيت وكيت بفتح الكاف وتسكين الياء أي كذا وكذا وفي العامية بكسر الكاف كِيت وكِيت.

(كِخْ كخ) بكسر الكاف وتسكين الخاء أو تشديدها كِخٍّ كِخٍّ: كلام يُقال عند زجر الصبي ومنعه من تناول الشيء وتعاطيه. وفي العامية بالكسر كِخْ أو بالضم كُخْ.

(لحِسَ) يُقال: لحِسْتُ القصعة. وفعله مثل سَمِعَ في الوزن أي أخذت ما علق بالجوانب بالإصبع واللسان. يُقال: لَحِس يلحس لحسا ولحسة وفي العامية بفتح الحاء لَحَس.

(الموتان) يُقال: هو رجل موتان الفؤاد إذا كان بليداً ولم يكن حيَّ القلب. وفي اللهجة العامية ميتان. ويُقال: ما أَمْوَتَه أي ما أَمْوَتَ قلبه.

والمستميت هو الشجاع الطالب للموت أو المسترسل للأمر، واستمات: ذهب في طلب الشيء كل مذهب. وفي العامية: يتماوت ويستموت.

(الميزَاب) والمِرْزَاب بكسر الميم حديدة يجري فيها الماء. وفي العامية مُـرْزاب بضم الميم وزب الماء يزب زوبا أي سال ومنه الميزاب والمرزاب.

(الناموس) والبعوض عربية وعامية والناموسية وهي معروفة تقي من الناموس.

(الولْس) يقال: ليس في الأمر وَلْس ولا دَلْس بفتح الحرف الأول وتسكين اللام في الكلمتين أي ليس في الأمر خيانة أو خديعة. وفي اللهجة العامية يُقال: هو يوالس أي يخادع ويغش ويحابي.

وفي القاموس المحيط: ومالي دلْسٌ أي خديعة. والتدليس: كتمان عيب السلعة عن المشتري. والتدلّس: التكتم. ولا يدالس ولا يوالس أي لا يظلم ولا يخون. والوَلْسُ: بفتح الواو وتسكين اللام: الخيانة والخديعة.

والمُوالسة: الخداع والمداهنة. وهذا في العامية أيضاً وارد.

ثلاثيات ..

ثلاثة يجب ضبطها: اللسان - النفس - الأعصاب.

ثلاثة تجب حمايتها: الدين - الشرف - الوطن.

ثلاثة يجب التخلص منها: التملق - الوشاية - التبذير.

ثلاثة يجب اجتنابها: الحسد - الغرور - كثرة المزاح.

ثلاثة لابد منها: الموت - الهواء - الماء.

ثلاثة محبوبة: التقوى - الشجاعة - الصراحة.

ثلاثة ممقوتة: الكذب - النفاق - الكبر.

ثلاثة من الفواحش: الزنا - الربا - شرب الخمر.

ثلاثة مشرفة: الجهاد - الأمانة - الصدق.

ثلاثة ممتازة: الحب في الله - العفو عند المقدرة - الصمت.

القدوة بين الحقيقة والوهم

«نحـن الآن نعيش في عـالم غـريب حقـاً، يقتدي الشباب بكل ما هو مشهور وذي شهرة في مجتمعـة بصـورة همجيـة دون تـروٍّ أو تريث، فأصبحنا نقلـد الفنانين - كما يدعون - في كل جوانب حيـاتهم سواء الشخصية أو العامة، فانطلق الشباب إلى كل ما هو جديد في عالم الموضة والأزياء، فأصبحنا نرى قصات جديـدة لم ندركها من قبل للشعر، ورأينـا الشباب الذين هم عصب الأمة وقلبها وقوتها، يقلدون الغـرب المتقدم حضارياً - ظنـاً منهم وما أسـوأ الظن- في طريقة ملبسهـم ومشيهم وكـل تقاليـدهـم الـرديئة المنحطـة إلى عـالم الحيوان.

وللأسف امتـزجت هذه العادات الـرديئة بثقـافتنا الأصيلـة الساميـة، فمثلاً، أصبـح الشـاب يخجل عنـدمـا يتكلـم بالفصحـى، يخجـل عنـد منـاقشة أي قضيـة في الـديـن بحماس، لا يفقه شيئا في الدين.

فترك الشباب والصغار القيـادة الحقيقية المتمثلـة في سيد الـورى، وخير من اصطفـى، نبي الهدى، الرسول العظيم، والقائد الحكيم، والمرشـد الأمين ورحمة العـالمين؛ رسـول الله (ﷺ).

وانطلق وراء القيـادة الزائفـة المتمثلة، في العـادات الخبيثـة والأعمال القــذرة، وأَكَلَـة الخنازير، مجرمـي الماضي والحاضر، خائني العهود. وهي كل ما هـو غير إسلامي حقيقي. سواء غربي أو شـرقي.

فمن الأفضل يا عصـب الأمة ويا قلب خير أمة، أن نـأخذ منهـم كل مـا هو تكنـولوجـي تقدمـي، لنخجل من أنفسنا، كيـف وصلوا إلى هذا التقدم العلمي، ونحن قاعدون لا تحركنا دوافع الغيرة، ولماذا لم نقـل لأنفسنا عـاتبين في يوم «نحن أولى بهذا التقدم منهم».

فقد وهب الله تعالى لنا تعاليمه وكل ما هو من دعـائم التقدم، سواء في الدنيـا أو الآخرة، ولا يسمح لنـا المكان بـذكر الآيـات الكريمـة والأحاديث الداعية إلى ذلك.

فيـا شباب اليـوم وأمل الغـد هبّوا ولبّـوا وارجعـوا إلى أصـل الحضـارة حضـارتنـا العريقة، وثقافتنا الأصيلة..

لنكـون للعـالم كلـه منـارة ولكـل عـدو شرارة.

فهـل يعقــل أن نترك القـدوة الحقيقيـــة ونــذهــب إلى القـدوة الوهميــة.. فهـل يعقـل هذا؟!!!».

عبدالله العوضي الشرقبالي

أيها العاصي.. تأدّب

لـو أمعنـت النظـر في الكـون عـن كثـب، لأصبـت فعـلاً بـالعجـب.. فـالكـون بطيره وشجـره وحجـره ومدره راح يعـظ ابـن آدم لعلـه يعـي أو يتعلم.. فكـان هـذا المخلـوق الأعجم أبلغ عبارةً ممّـن يتكلم..

ابتدأ الـدرس الغراب فعلّـم ابن آدم كيـف يـواري سوأة أخيـه في التراب. وذكّـره بأنـه مهما يعلو في هـذه الدنيا أو يسـود فإنـه من التراب وإلى التراب يعود.

ثـم علّمتـه النحلة عظـةً في الحيـاة: بـأن

اعداد : حسين المحسي

يخرج من فِيه لأخيه طيّب القول حين يلقاه وليقل خيراً أو ليصمت، ليرضي بذلك مولاه.

وحين راحت تمتص من الزهر الرحيق، علَّمت ابن آدم كيف يختار الرفيق وذكَّرته بأن حامل المسك هو خير صديق: فإمَّا أن يعطيه و إما أن يبتاع منه و إما أن يشم منه رائحة طيبة.

والنملة التي اتخذت من العمل عبادة ضربت مثلاً لابن آدم في حُسن القيادة فكانت نموذجاً يحتذى للطاعة وغدت لأمر ربها منصاعة، فحذَّرت النمل حين توقَّف عن العمل مفتوناً بما أوتي سليمان من الجاه فكأنها ذكَّرتهم بألا تلههم تجارة أو بيع عن ذكر الله.

والهدهد كان أول من عمل من قومه بالدعوة، إذ كان صاحب إيمان ونخوة، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فحين رأى القوم يسجدون للشمس أبى ذلك واستنكر، وأطلع سليمان على ما رآه بصدق وأمانة، وانظر إلى الإنسان كيف حرّف كتاباً لله فأضاع الأمانة!.

وحين حمّله سليمان الرسالة، قال للقوم إنه من سليمان و إنه «بسم الله الرحمٰن الرحيم» فكأن هذا الهدهد الحكيم يذكّرنا بأن كل عمل لا يُبدأ فيه باسم الله فهو ناقص.

وهذه النخلة قدمت لابن آدم في التسامح والغفران درساً عملياً حين رجمها الناس بالحجارة فراحت تساقط عليهم رطباً جنيّاً.

أيها العاصي.. تأدب.

الكون بأكمله مطيع لله سبحانه، شاكراً لأنعمه وطالباً غفرانه..

حين أمر الله الشمس أن تحتجب عن القمر قال ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾، (وكأنها إيماءة لكل أنثى وذكر) انصاعت الشمس للأمر وامتثلت وحين قال للمرأة احتجبي تمردت وتبرجت..

امتثل البحر لكلمات ربه وانصاع أكثر من مرة، حين حمل نوحاً فأوصله بر الأمان وحين أنجا موسى مرتين من قوى الطغيان: مرة حين ألقته أمه في التابوت ومرة حين لاحقه ذلك الطاغوت، فضرب البحر موسى بعصاه.. وكثير من بني آدم لم يمتثل لربه وعصاه.

أطاعت البحار ربها فما أغرقت وانصاعت النيران لأوامر الرحمٰن فما أحرقت وأنت أيها الإنسان يا من تمردتَ لَكَمْ أغرقتَ وأحرقتَ وتجبَّرتَ.

أُنظر إلى الورود وقد ملأت الكون بأريج الرياحين وأُنظر كيف أفسدتَه بما تنفثه من سموم التدخين؟

أيها العاصي.. تأدب
تخرج النحل من بطونها عسلاً.. شفاءً
وتخرج دودة القز منها الحرير.. كساءً
ويخرج الظبي من المسك.. إهداءً

أوليس عجيباً حقاً أن تأتينا مثل كل هذه الإشارات والعظات الخفية من الطير والشجر والحجر.. ثم يغفل عنها بعد ذلك كثير من البشر!.

سمر عبد الهادي

بريد المنار

حقيقة الإنابة

عن حقيقة الإنابة، كتبت من الرياض بالمملكة العربية السعودية، الأخت سارة بنت شارع العتيبي، فقالت:

الإنابة، هي عكوف القلب على الله - عز وجل - اعتكاف البدن في المسجد، لا يفارقه؛ وحقيقة ذلك، عكوف القلب على محبته وذكره - بالإجلال والتعظيم؛ وعكوف الجوارح على طاعته - بالإخلاص له، ومتابعة رسوله (ﷺ) - فإذا كان في القلب تماثيل، قد ملكته واستعبدته - بحيث يكون عاكفاً عليها - فهو نظير عكوف الأصنام عليها، مصداقاً لقوله (ﷺ): «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم».

التوحيد الخالص

ومن الدار البيضاء بالمغرب، كانت مشاركة الأخ التازي حماد، حيث قال: لكلمة: «لا آله إلاّ الله»، دور طلائعي في حياة المسلم، فحينما يؤمن بأنه لا آله، ولا معبود ولا حاكم، إلاّ الله، تتغير حياته، فيصبح يعمل لله، ويفرح ويغضب لله، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾.. ومن المؤكد أن صاحب هذه العقيدة، يخلصه الله من كل أسباب الشقاء، فهو يرى الدنيا، دار امتحان، وأنه لا يستطيع - بأي حال من الأحوال - تعطيل حكم الله، أو السّعي لإرضاء غيره. ويبقى علينا نحن المسلمون، العمل على ترسيخ هذه العقيدة في أنفسنا، والعمل بما تتطلبه.

عظات وعبر

وهذه العظات والعبر، اقتبسها لنا، الأخ صلاح عبد الله محمد - من الخرطوم بالسودان - من خطبة القس بن ساعدة الأيادي، الذي قال:

«يا أيها الناس: اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم شيئاً فانتفعوا؛ إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ، آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات؛ جمع وأشتات، وآيات بعد آيات.. وإنَّ في السماء لخبراً، وإنَّ في الأرض لعبراً.. ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج».

فضل الصّلاة

وعن فضل الصلاة وعظمتها، يحدثنا الطالب بالثانوية، الابن ناجح علي عبد الرحمن - من المنيا بمصر - فيقول:

فضَّل الله سبحانه وتعالى الصلاة، على غيرها من الفرائض، لأنها عماد الدين؛ فقد قال رسول الله (ﷺ): «رأس الأمر، الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».. فالصلاة، هي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت، فسد سائر عمله. وتُعتبر آخر وَصِيّة، وصى بها رسول الله (ﷺ)، وهو يلحق بالرفيق الأعلى.. وقد ذُكرت الصلاة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، والحث على أدائها في مواقيتها، منها قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ - «المؤمنون/ ١، ٢».. وقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ -



«طـــه/١٤».. وقـولـه تعالى: «إنّ الصـلاة كـانـت على المؤمنين كتـابـاً مـوقـوتـاً» – «النسـاء/١٠٣».. وقـد شـدّد الله عـز وجل العقـوبـة، لمن يُفـرّط في صـلاتـه: ﴿فـويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾. وقـولـه تعـالى: ﴿فخلف من بعـدهم خلف أضاعـوا الصلاة واتبعـوا الشهوات فسـوف يلقون غيّاً﴾ – «مريم/٥٩».

ردود خاصـة

☆ الأخ الذي لم يـذكر اسمـه، من محافظة قنا، الجميرات، نجع أبو عروق، بمصر:

إن مـا حـدث لك، يشبه مـا حـدث لبعض شباب الصحـابة – رضـوان الله عليهم – وقد جاء يسـأل رسول الله (ﷺ)، عنه، فـأنزل الله قـولـه تعـالى: ﴿إن الحسنـات يـذهبن السيئات﴾.. فقال (ﷺ): «أتصلي الجماعة مع المسلمين؟».. قال الشاب: نعم.. فقال له رسول الله (ﷺ): «هذا يكفرّ ذاك»! أو كما قال (ﷺ).

فعليك أخي الكـريم، الاستزادة من صـلاة النـوافل، وتلاوة القـرآن مع التـدبر، وكثـرة التـوبـة والاستغفـار والإكثـار من فعل الطـاعـات، وحُسن الـرجاء في الله سبحـانـه وتعالى.

☆ الأخ ناجي إسماعيل نـاجي – الدقهلية – مصر:

اللوحة للآية القرآنية، جهد مبارك إن شاء الله، ونرجو أن تواصل كتابة الآيات القرآنية، ولك شكرنا وتقديرنا.

☆ إلى كل الاخوة، الذين كتبـوا إلينا مبدين الرغبـة في الكتابـة إلى مجلة «منـار الإسلام» نقول: إن المجلـة بابها مفتوح لكل الكتـابات الجادة المفيدة.

عناوين مطلوبة

☆ الأخ آيت الحسين محمـــد – فـــاس بـالمغـرب – والإخـوة الـذين طلبـوا بعض العناوين:

● عنوان العـلامة الشيخ خـواجة شمس الدين عظيمي، هو: كراتشي – ص.ب ١٨١٨ – باكستان.

● مـؤسسـة زايـد بن سلطـان آل نهيـان للأعمال الخيرية والإنسانية: ص.ب ٤١٣٥٥ – أبوظبي.

● هيئـة الأعمال الخيريـة – لـلإمـارات العربية المتحدة عجمان – ص.ب ١٢٨٦.

● د. عبـد المجيد القطمـة: الهيئة الطبيـة الإسلامية بلندن:

Dr. A. M. Katme Islamic Medical Association, C/o 233 Seven Sisters Road, London, N 4 2 DA, U.K.

فَضْلُ الأمِّ

وعَنْ فـضل الأم، اخـتـار لنا هذه اللوحـة الشعرية، الأخ ناصح علي عبد الرحمن:

كنتُ الجنين فكانت خـيـر حـاميـة
تحمي الجنين ورَبُّ الكون حـاميـها
كُنْتُ الرَّضـيع فكانت خير مرضـعة
قد أرضعتني صغير النفس صافيها
كنتُ الصَّـغـير فكانت خـيـر قـائمة
أحـبُـو فـتـحنو ولا تشكو لبـاريهـا
أغـفـو وتسـهـر طول الليل ترقبني
وإنْ تَعـرَّت يدي قـامت تغطيـهـا

من هنا وهناك

الإمـــارات
مركز إقليمي للزراعة الملحية

■ أبــوظبي: خصصت دولــة الإمـــارات العربية المتحدة قطعــة من الأرض مساحتها مائة هكتـار لتكون مـركزاً إقليميـاً للزراعـة الملحية، لاستضـافـة مشروع بنك التنميـة الإسـلامي، الـذي يـرمـي إلى تطـويـر قطـاع الـــزراعـة وتحقيق الأمـن الغـذائي للـــدول الأعضاء.

والهدف الأساسي لإنشاء هـذا المركز يتمثل في تطوير استخدام تقنية الري بالمياه المالحة وإجراء التجارب الميدانية على زراعة النباتات المقاومة للملوحة، لـزيادة الإنتاج الزراعي في الـدول الأعضاء ذات الطبيعـة الصحراويـة والتي يشح فيها الماء العذب مثل دول الخليج وبعض الدول الأفريقية.

في ألمانيا.. فتح من الله ونصر للمسلمين!!

■ بـرلين: صرح مسؤول في الحكـومـــة الألمانيـة، أن الحكومـة تفكر في إدخال تعليم الدين الإسلامـي إلى جميع المدارس الحكومية للطلاب المسلمين والنصارى، وأضاف أنه بدأ تـدريـس الـدين الإســلامـي في مـدارس أكبر ولايـات ألمانيــا وهي: نـورث وستفـــاليـــا، وبافـاريا، وبـادن ورشمبرج.. وذلك لجميع طلبة المدارس الحكومية في تلك الولايات.

وأضــاف المسؤول الحكـومـي: إن عــدد المسلمين في ألمانيـا يـربـو على مليـونين منهم مليون تـركي، وأن عدد المسـاجد بلغ ثـلاثة آلاف مسجـد منهـا ٢٥٠٠ مسجـد مملـوكـة للمسلمين، بينما البـاقي في شقق يستأجرونها لأداء صلـــواتهم. وعن اعتراف الحكـــومـــة الألمانيــة بـالــدين الإسـلامي قـال: إن تأخـر الحكومـة في الاعتراف بالمؤسسات الإسـلامية راجع إلى عـدم وجـود مؤسســة واحـدة تمثل المسلمين في ألمانيـا، أمـــا الاعتراف بـالـــدين الإسلامي فهـو أمـر واقع، والحكـومة تشجع وتتقبل النشاط الديني الإسلامي على أرضها.

انتعاش زراعي في السودان

■ الخرطـــوم: شهـــد قطـاع الـزراعـة في السودان زيادة ملحوظة في المنتجات الزراعية خـلال الموسم الـزراعي ٩٥/٩٦، حيث بلغت جملـة الإنتـاج من الحبـوب الزيتيـة حـوالي أربعـة مـلايين طـــن، في مســاحـة قـدرهـا ٢٠٫٥٤٠ فدان. أما زراعة القطن فقد ارتفعت مساحتها إلى ٣٩٨ ألف فـدان، بلـغ محصولها حوالي ٤٥ ألف طـن من القطن.

ويقول خبر بثته وكالـة الأنباء الإسلامية إن الســودان سيشهــد طفـرة كبيرة في مجال القطـاع الزراعي بعـد اكتمال تنفيذ عـدد من المشـاريع التنمـوية وطـرح إنتـاجهـا، مثل مشروع تعليـة خزان الـروصيرص واكتمال تجهيـز تـــرعتي كنـانـة والـــرهـد في وسط السودان.. هـذا، وقد أصدرت وزارة الـزراعة عـدداً من القرارات الهامـة، لـوضع سياسـة زراعيـة متكاملـة لتحقيق الطفرة الإنمائيـة، بعد أن قفزت المساحات المزروعة بالحبوب إلى ٢٥ مليون فدان.

المسلمون في ساحل العاج

○ بعـد أن استقــرت شـؤون المسلمين في

ساحل العاج منذ إنشاء المجلس الوطني الإسلامي عام ١٩٩٣، يعمل المسلمون هناك الآن من أجل إنشاء محطة إذاعة وتلفزة إسلامية في البلاد، للتواصل مع المسلمين المنتشرين في هذا القطر الأفريقي وما حوله، لتوعية المسلمين وتثقيفهم وتنمية مجتمعاتهم. وجدير بالذكر أن الإسلام وصل إلى ساحل العاج في القرن السابع الهجري على أيدي التجار العرب، الذين كانوا يترددون على القارة الأفريقية بهدف التبادل التجاري، وقد حدث الكثير من التزاوج بينهم وبين الأفارقة مما زاد من دعم العلاقات بينهم.

شعاع من الإسلام في كوبا

○ كوبا.. إحدى الدول الاشتراكية (الشيوعية)، التي كان التحدث فيها عن الإسلام سبباً من الأسباب التي تجر على صاحبها الويلات والمساءلات والسجن، ومع مطلع التسعينات بدأت الحكومة الكوبية في تخفيف قيودها على الحريات حتى جاء عام ١٩٩٣ فسمحت بتحويل البيت العربي في كوبا إلى مركز إسلامي يضم قاعات لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي وتقام فيه صلاة الجمعة حيث يؤدي الخطبة مستشار السفارة الجزائرية أو السفير النيجيري في كوبا.

هذا.. وقد تبرعت السفارة النيجيرية بمبنى تابع لها، لأداء صلاة التراويح والإفطار الجماعي في رمضان، وكذلك إلقاء بعض المحاضرات والدروس الروحية.

والمسلمون في كوبا بحاجة إلى دعاة ومواد ثقافية إسلامية (كتب وتسجيلات وغيرها) لإحياء عقيدتهم والمحافظة عليها في تلك الرقعة من أمريكا اللاتينية.

مخطط لتنصير ٢٤ مليون مسلم

○ لوزان.. منذ أسابيع قليلة قال القس توم هيوستن، المدير الدولي للجنة لوزان للتنصير المسيحي العالمي: إن النشاط التنصيري سيزداد في السنوات القادمة مع اعتناق نحو ١١ مليون شخص للمسيحية في جنوب وشرق ووسط أفريقيا، وأن الكنيسة تصارع ظروفاً مضادة لها ورغم ذلك فإن ما قامت به يعتبر إنجازا كبيراً.

وزعم القس هيوستن أن الكنيسة ستستمر في التوسع لأنها العنصر الوحيد الذي يقدم المساعدات السخية والفرح في الظروف الصعبة التي تمر بها الشعوب. (وهو يعني بذلك استغلال الكوارث في تنصير الناس مقابل مواد الإغاثة التي تسارع هيئات التنصير بنقلها إلى المناطق الفقيرة المنكوبة!!).

وفي نشرة تصدرها البعثة التنصيرية للأبحاث والاتصالات في منروفيا وكاليفورنيا عن التنصير، يقسمون العالم الإسلامي إلى عدة أقسام، هي: الشرق الأوسط وتركيا وغرب آسيا وشمال أفريقيا والباكستان وبنجلاديش وغرب أفريقيا. كما يزعمون أن التوصل إلى تنصير نسبة ٢٠٪ من معتنقي المسيحية في بلدان أندونيسيا وماليزيا وجزر القمر وسلطنة برونای وجزر المالديف سيكون ممكناً بعد عشر سنوات من الآن،

من هنا وهناك

وذلك يعني تنصير ٢٤ مليون مسلم (لا قدر الله) في تلك البلدان. •

إن مخططات التنصير على أشدها، ويزداد الإنفاق عليها بسخاء يعد ببلايين الدولارات بينما المسلمون يحاصرون وتكال لهم تهم التطرف والإرهاب لتحجيم دعوتهم وإبعادهم عن رسالتهم، فتنبهوا يا أولي الألباب.

حظر جزئي على الخمور في جزر القمر

□ جزر القمر: أصدر رئيس جمهورية جزر القمر قرارا يحظر استيراد الخمور إلا للديبلوماسيين والفنادق، ومنع القرار بيع الفنادق لهذه الخمور إلا للأجانب، حتى لا تتضرر السياحة التي تعتبر مصدراً رئيسياً ووحيداً للدخل في تلك الجزر الفقيرة، الواقعة في المحيط الهندي.

أطباء مصريون ينجحون فيما فشل فيه الأطباء الأمريكيون

□ لا يستطيع الغرب أن ينكر براعة العقلية العربية وتفوقها العبقري إذا ما وجدت المناخ الصالح للإبداع والتفوق.. وأحدث دليل على هذه الظاهرة جاء مع وصول المريض الأمريكي دونالد كيتزمان إلى القاهرة بعد معاناة مرضية دامت ثماني سنوات داخل المستشفيات الأمريكية حتى فقد الأمل في إيجاد علاج لمرضه العضال، وهو عدم القدرة على التحكم في البراز، وأخيراً نصحه بعض الأطباء الأمريكيين بالذهاب إلى القاهرة، بعد أن أجريت له ثلاث عمليات جراحية فاشلة بسبب الخطأ في التشخيص.

وفي القاهرة أدخل المريض إحدى المستشفيات، حيث قام الجراح الأستاذ أحمد شفيق بإجراء جراحة ناجحة له وضعت حداً لآلام دامت ثماني سنوات.

ويقول الطبيب الجراح الذي أجرى العملية: إن هذه الجراحة هي الأولى من نوعها في العالم، وأنه أجراها لعدد ٣٢ مريضاً مصرياً شُفِيَ أصحابها جميعاً.. وذكرت الصحف المصرية أن المريض الأمريكي لم يكن الوحيد، فقد سبق أن نصح طبيب أسباني متخصص في الجهاز الهضمي، أحد مرضاه بالذهاب إلى القاهرة لإجراء جراحة دقيقة له، كما أن طبيباً فرنسياً، هو الدكتور جاك موشيل الأستاذ بجامعة فرنسا قد أثنى على الجراح العربي الدكتور أحمد شفيق لإجرائه ثلاث جراحات ناجحة لثلاثة من مرضاه الفرنسيين... هكذا يثبت العرب أنهم على مستوى تاريخ عبقريتهم الحضارية إذا ما توفر لهم مناخ الإبداع والابتكار.

مسلمو تتارستان يتطلعون إلى العالم الإسلامي

○ قازان – عاصمة تتارستان:

إن جمهورية تتارستان، واحدة من الجمهوريات السوفييتية السابقة، التي عانت طويلاً من الأسر، وقد تسلط عليها أعداء الإسلام الذين فرضوا على الناس الجهل بدينهم وأغلقوا دور العبارة ودمروا

مؤسسات المسلمين وحرّموا على الناس اللغة العربية وتلاوة القرآن الكريم.

وفي حديث للدكتور آرثر سعدييف لصحيفة العالم الإسلامي حول الإسلام والمسلمين في هذه الجمهورية قال: لقد عانى المسلمون طويلاً من أسباب التقتيل والتشريد التي مارسها عبر التاريخ القياصرة المسيحيون ومن بعدهم الشيوعيون، وقد نجم عن هذا الوضع خلو الساحة من الدعاة والأئمة والعلماء المؤهلين، مع قلة المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية، وكذلك اختفاء اللغة العربية (لغة القرآن الكريم).. وخلال حديث الدكتور آرثر سعدييف، ناشد العالم الإسلامي الوقوف إلى جانب الشعب التتارستاني المسلم، ومده بالدعاة والأئمة والمدرسين وحفاظ القرآن الكريم، حتى يتمكن من استرداد هويته الإسلامية التي لم يستطع البطش القيصري ومن بعده الشيوعي أن يقتلع جذورها من قلوبهم.

لماذا هذه الضجة لارتداد «روبرت»

□ الكويت: الرأي العام الإسلامي في الكويت، مستاء هذه الأيام من الضجة المفتعلة، التي أثارها المرتد (روبرت) حسين قمبر، الذي ألصق العار بأسرته حينما أعلن على الملأ أن الإسلام فرض عليه بواسطة أسرته ومجتمعه وأنه لم يختر ديانته اختياراً حراً إلى أن اعتنق المسيحية!!.

إن ارتداد مسلم عن دينه ليس من الأمور المألوفة في مجتمعاتنا، ولكنه ليس بالأمر الذي يستأهل مثل هذه الضجة التي لا مبرر لها، فالنفايات كثيرة، والناس يلفظونها ويتخلصون منها لرائحتها النتنة وضررها بالبيئة والمجتمع.. والإسلام أكبر من أن يتأثر بارتداد عنصر اعترف على الملأ بانه لم يكن في يوم من الأيام مسلماً، أي أنه كان مسلماً بشهادة الميلاد وما أكثر أمثاله وأشباهه من المتسترين تحت أسماء إسلامية.. لكن، أن تتحرك هيئات ومنظمات عالمية غربية وخاصة في بريطانيا لمناصرة جاحد منكر يحاول أن يستعطف العالم النصراني للحصول على منافع دنيوية، فإنه يرسم أكثر من علامة استفهام.. فمن وراء تنصير قمبر وتحريضه على الإساءة للأمة الإسلامية على هذا النحو؟.

عدوان جديد على المسجد الأقصى

أقدمت إسرائيل على عدوان آخر على المقدسات الإسلامية والقرارات الدولية، حيث قامت بفتح نفق بطول (٣٥٠ متراً) على امتداد الجدار الغربي للمسجد، مما قد يؤدي إلى تصدع أساسات العديد من المباني الوقفية والتاريخية الملاصقة للحرم. وكعادة قادة إسرائيل في الاستخفاف بكل ما هو حضارة إنسانية وإسلامية تُرى فهل يكتفي العالم الحر بالتفرج على المظاهرات الاحتجاجية ووحشية القمع الصهيوني؟؟.

خواطر

أمة الصلاة.. إلى أين ؟!

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ الأنعام: ١٥٣.. هذه وصية الله تعالى لأمة الدين الخاتم، ينبههم إلى داء الأمم عندما تتفتح بين أيديهم آفاق الحياة.. وتتزين لهم الدنيا.. وتغدو بهم أطماع الملك إلى مذاهب شتى يظنون بها السبيل إلى عزهم وتمكنهم فيمن حولهم.. ناسين أن بين أيديهم دستور الله وصراطه المستقيم... دستور رسالتهم التي رسم لهم فيها منهاج الحياة الدنيا.. ودرب الهدى إلى سعادة الدنيا والآخرة.. ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض﴾ آل عمران: ٨٣.

إلى أين تذهب مذاهب الضالين التي يسمونها «أيديولوجيات» وما هذه التي يسمونها إلا ظلمات نبه الله عز وجل إليها.. ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ النور: ٤٠.

إنها ضلالات يزعمون لأنفسهم فيها الهدى، وما هم بمهتدين.. وما هي إلا أهواء.. يدعونها نظريات الحداثة.. يريدوننا أن نضل معهم فيها.. وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون.. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا..

إن الذين يزينون لنا دروب الشرق تارة ودروب الغرب.. ويدعوننا إلى أحلاف فرقت أمة التوحيد عن دينها وصراط ربها.. ونسوا فيها قبلتهم وكتابهم.. الذي هو الجد ليس بالهزل.. من استمسك به هُدِيَ إلى صراط مستقيم.

لقد مَنّ الله تعالى على أمة الحق بأرض ذات خيرات وفيرة.. فوق سطح الأرض.. وفي باطن الأرض.. لو تبادلنا خيرات الله فيما بيننا لكفانا سؤال غيرنا.. هذه الخيرات هي المطمع الذي لفت أنظار شتات الأمم.. فطمعوا فينا.. ولهذا اصطنعوا أساليب شتى من مذاهبهم وحبائلهم.. لتكون لهم الغلبة علينا.. ويوم دب فينا الوهن صرنا أمام وسائلهم عاجزين.

أما آن لنا أن نتوب إلى عروة الله الوثقى.. ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة: ٢٥٦-٢٥٧.

إلى أين يا أمة الصراط.. هداكم الله.

د. عبد المجيد وافي

في هذا العدد

شركة أبوظبي للطباعة والنشر



الخضرة الباسمة في أبوظبي